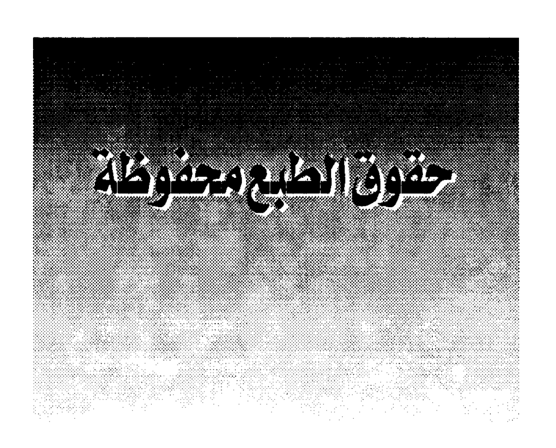
ثوابت المنهج الدراسى

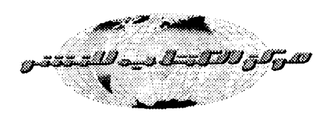
دكتور
ابراهيم محمد عطا
كلية التربية - جامعة القاهرة
وكلية التربية - جامعة الملك عبدالعزيز
بالمدينة المنورة

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م





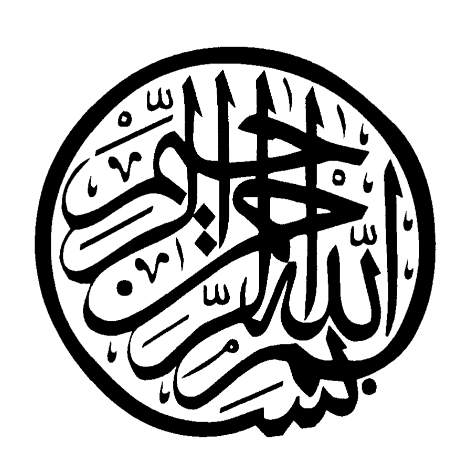
الطبعة الأولى
٢٠٠٢م



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب..

الحمد لله والصلاة والسلام على من بُعث رحمة للعالمين، ومعلما للخلق أجمعين يخاطب فيه فطرتها، وينادى فى البشرية استشرافها للحياة، من خلال قول الحق:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وبعد،،

فإن المنهج الدراسى فى العملية التعليمية، على اختلاف مراحلها يمثل أهم العوامل الرئيسية التى تشكل المواطن لوطنه والإنسان لبيئته، والمتعلم لما يجرى حوله. وهذا أمر لا خلاف عليه، بل إنه الآن أصبح مناط الأمل فى ربط المتعلم ببلده، خاصة بعد أن دق «اليونسكو ناقوس الخطر فى دليل عقد العمل العالمى للتنمية الثقافية، أنه قد أصبح من الواضح بطريقة متزايدة، أن ما يشكل الأساس القوى للحياة الثقافية للشعوب بات مهدداً بالخطر. فالتأثير الثقافى العالمى، الواسع المدى، لعدد معين من النماذج الثقافية، وتأثير الإعلانات، ووسائل الإعلام، أو نمطية الأذواق، وأساليب الحياة التى تغذيها الطرق النمطية للإنتاج، وتهالك بعض القيم المتوارثة، وصعوبة إيجاد قيم جديدة -كلها ظواهر تساعد على إثارة اهتمام عدد كبير من المجتمعات بالمحافظة على ذاتيتها الثقافية، والدفاع عنها، وتعزيزها.

وسيظل المنهج الرسمى الصادر عن المؤسسات المسئولة عن التعليم هو مصدر التأثيرات المتوقعة على المتعلمين؛ لأن هذا المنهج -حتما- استوفى حظه من العناصر الأساسية اللازمة له - أو كاد- من حيث التخطيط، والتنفيذ، والمتابعة، وبالتالى فإن مخرجات هذا المنهج عادة ما تكون شبه معروفة، أو متوقعة، انطلاقا من أن سلوكيات المرء ماهى -غالبا- إلا انعكاس لما تعلم.

ولعل مما يشير إلى توقعات المنهج الدراسى الرسمى، ما يقوم به المعلمون من اختبارات متعددة: شفهية أو تحريرية، وغير ذلك من أساليب التقويم المعرفية والنفسية، التى تتم وفق طبيعة كل مادة دراسية، وحسب نظام التعليم المعمول به عاما كاملا، أم نصف عام، دورية وغير دورية.

وهذه التوقعات قد تكون على المدى القريب أو البعيد، حسب تقبل المتعلمين لها، كل حسب قدراته وإمكاناته وميوله، بمعنى أن التغير فى السلوك، كميا وكيفيا يختلف باختلاف الفروق الفردية بين المتعلمين، كما يختلف باختلاف طبيعة هذا المنهج، ومقدار ما توافر فيه من قوة فى التأثير، ومن مضامين تشد المتعلم إليه، ويتعايش معها بل ويتقمصها فى حياته.

وإذا كان المنهج الرسمى، أو المنظور يعبر عما يراد تحقيقه لدى المتعلمين من أهداف - فإن المنهج الخفى أو المنهج غير المنظور غير محدد الأهداف بدرجة كبيرة، وإن كان كلاهما مكملا للآخر، لحاجة كل منهما لوسط يتم التفاعل فيه وصادر عن جماعة يجمعها -إلى حد ما- اتجاه مشترك، وثقافة مشتركة.

ويرى «برنستين» أن المدرسة هى إحدى القنوات المهمة التى أوجدها المجتمع، ووظيفتها الرئيسية نقل ما يقبله المجتمع ويرضاه إلى المتعلمين عن طريق وسيلتين:

الأولى: **استخدام ما أسماه الوسيلة المعبرة**، والتى تعنى المنهج غير المنظور؛ إذ أن ما يشاهده المتعلم، أو يصادفه داخل المدرسة وخارجها - يعبر ضمنيا عن أنه هو المرغوب والمقبول من الأقوال والأفعال، وبالتالى ربما يقوم بتقليده ومحاكاته.

الثانية: **هى ما أسماه بالوسيلة الآلية**، وهى التى تتعلق بإكساب المتعلمين سبل الحياة النفعية، ووسائلها، والتى تخدم المصلحة الذاتية، والاجتماعية كإتقان مختلف المهارات والمهن، وهاتان الوسيلتان تكمل بعضهما البعض من حيث تنشئة أفراد أسوياء.

ولعل البصمة، وعدم تكرارها بين بنى البشر، مهما تباينت أجناسهم، وتباعدت أقطارهم دليل على عظمة الخالق فى صنعته -فإنها فى الوقت نفسه دليل على تميز الإنسان بالاختيار المتفرد: دينا وخلقا، وعلما، وتربية، ومن هنا فإن الدعوة إلى ثقافة عالمية محض خيال.

وتجدر الإشارة إلى أن المنهج الرسمى، كما هو متفق عليه بين العاملين فى ميدان المناهج - هو تلك الخبرات المربية التى تقدمها المدرسة، وتشرف عليها إشرافا جادا داخل المدرسة وخارجها، أما المنهج الخفى فهو كما هو - على اختلاف فى تعريفه - كافة الخبرات والمعارف والأنشطة التى يقوم بها التلاميذ، أو يتعلمونها خارج المنهج المقرر تطوعا، دون إشراف المعلم، أو علمه فى معظم الأحيان.

ويبدو أن كليهما، أى المنهج الرسمى والمنهج والخفى، كان يمكن أن يؤازر الآخر، ويعمل على تنمية المتعلم، بما يسمى بالمنهج الموازى وذلك من خلال الاتساق بينهما فى المفهوم، وتواجدهما فى مجتمع واحد، تضمه ثقافة عامة مشتركة نسبيا، لولا أن المنهج الرسمى قد تقلص بفعل عوامل عدة، أبرزها إعداد المتعلم للامتحان، بما يضمن له مكانا فى الصفوف التالية، أو المراحل التعليمية التالية التى يرغب هذا المتعلم فى الالتحاق بها، بهدف الحصول على شهادة ما تهيىء له عملا مناسبا، أو وضعا اجتماعيا يطمح إليه. وكذا المعلم بما يستهدفه من تحقيق أعلى معدل للنجاح فى مادته.

ويبدو أن المنهج الخفى كان يمكن أن يسهم فى تنمية المتعلم بصورة أفضل، لو أن هذا المنهج تمت السيطرة عليه من قبل الدولة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، والمؤسسات التربوية التى تتحرى كل ما يتفق وقيم المجتمع وآماله وطموحاته، إلا أن هذا المنهج قد تعرض للاختراق بقوة من قبل الثقافات الأخرى، بحيث يمكن القول: إن هذا الاختراق وصل إلى المنهج الرسمى بصورة مؤثرة، وفاعلة.

وقد أصبحت وسائل الإعلام والاتصال ذات أثر فعال فى إحداث التغيير الاجتماعى والثقافى، الأمر الذى أصبح التعاون والتنسيق ما بين أجهزة الإعلام والمؤسسات التعليمية – من متطلبات التجديد التربوى.

ويعتمد هذا التعاون والتنسيق على تنمية الوعى الاجتماعى، بناء على خطط التطوير التربوى، وبرامجه وعلى تكامل جهود العاملين فى المجالين: الإعلامى والتربوى، مع الأخذ فى الاعتبار فلسفة المجتمع، والأهداف العامة للتربية وبرامج التجديد التربوى وآفاقه.

ويبدو أن تكامل جهود العاملين فى المجالين: الإعلامى والتربوى قد أصابه شرخ كبير، وهزة يصعب التنبؤ بآثارها، بسبب تعدد القنوات الفضائية، ومحاولة استقطاب المشاهد على طريق بعض البرامج التى تخاطب فى الإنسان غرائزه، وشهواته، بغض النظر عن مدى اتساقها مع قيم المجتمع وآدابه، أم لا. وهذه البرامج كثيرة ومتعددة، وتلقى على المشاهد شاء أم لم يشأ. وربما لا يستطيع لها دفعا، إما ضعفا منه، أو سدا لحاجة يطلب إشباعها، سواء أكانت هذه الحاجة مقبولة، أم غير مقبولة.

ولعل ما يطمئن العاملين فى ميدان التربية والتعليم من الغزو الثقافى، وبث الاتجاهات المغرضة، أن هذه التربية محروسة بضمير هذه الأمة، ومن كل المواطنين فيها، حتى وإن توارت أحيانا، فستظهر أحايين.

ولا يخفى أن التليفزيون يقوم بأدوار متعددة ومتداخلة. فمنها ما يتعلق بالدور التثقيفى، ومنها الدور التعليمى، والدور الإعلانى، والدور الإعلامى، وتنمية الأنباء، أو الأخبار. ومنها ما يتعلق بدور التبادل الحضارى أو الثقافى بين الشعوب المختلفة، ومنها ما يتعلق بالدور المهم فى تغيير القيم السائدة والتوجهات المختلفة للمواطنين. وقد تكون هذه الأدوار المختلفة أدواراً إيجابية، وأخرى سلبية.

وهذا الكتاب الذى بين يديك -عزيزى القارىء- هو محاولة للتخفيف من الضغوط التى تقع على المنهج المدرسى، حتى إنه يمكن القول -بشىء من

التجاوز- أن ما يقع داخل العملية التعليمية أشبه بما يقع بين المطرقة والسندان. ويقال: بين المطرقة والسندان أى بين أمرين كلاهما شر. والتعبير بالشر هنا تعبير مجازى يقصد به الضغوط الواقعة على المنهج المدرسى. وتعنى المطرقة هنا كثرة المستحدثات من العلوم العصرية، التى يتحتم على المتعلم معرفتها، وتضيق بها الخطة الدراسية، اللهم إلا إذا حدث نوع من الإزاحة، أو الإلغاء لبعض المواد الدراسية، التى اكتسبت قوة البقاء بالأقدمية، وهى ليست شرا بالمعنى المفهوم، وإنما ضرورتها أكسبتها قوة الطرق، والطرق بشدة مستمرة.

وقد يقصد بالمطرقة وسائل الإعلام المختلفة، وخاصة التليفزيون، وقنواته الفضائية، وما يحمله من مفاهيم وقيم، وآداب وسلوكيات تتعارض مع المنهج المدرسى، ليس هذا فحسب بل يتحطم محتوى هذا المنهج - أحيانا - تحت وطأة الضرب، والإزاحة، ومشايعة الثقافة الوافدة واستبعاد ثقافة المجتمع. وفوق هذا فإن بعض الناس -ومنهم المتعلمون- يضعفون أمام إغراءاته - أى التليفزيون - وقوة برامجه، وبالتالى يبتعدون عن الاتصال بالمنهج الرسمى.

ويبدو أن السبيل للتخفيف من وقع المطرقة، وكثرة ضرباتها على المنهج المدرسى اتخاذ الإجراءات التالية:

١- فك الثنائية للتقسيم المعروف: علمى وأدبى، وجعلها ثلاثية، أو رباعية أو أكثر، لتمكين المواد المستحدثة من أن تأخذ مكانها فى خطة الدراسة، دون أن تكون على حساب مادة دراسية أخرى.

٢- نظراً لاتساع المعرفة، يتحتم إيجاد مسارات جديدة فى إعداد المعلم، بحيث تخرج كليات التربية عن دائرتها المعروفة حالياً، لتشمل المواد الدراسية الجديدة مع الاحتفاظ بقدرة الاستيعاب العلمية لهذا المعلم.

٣- زيادة المساحة المخصصة للقنوات التعليمية: إعلانا، وكما وكيفيا، بحيث تعتمد على التشويق وإثارة انتباه المشاهد، وعلى الجرعة السريعة مع عدم التطويل، بما يضمن توسيع دائرة المشاهدين لهذه القنوات، ومراعاة التوازن بين الأبعاد الثلاثة: الماضى، والحاضر، والمستقبل للمشاهد.

٤- سرعة الرد المضاد لتصحيح المسار الطبيعى لمفهوم، أو فكرة، أو إدعاء، أو شائعة ترددت على الألسنة، وأخذت وضعا غير شرعى فى المجتمع، مع تكرار الرد من قبل متخصصين متعددين أكفاء.

٥- نظراً لكثرة الأعباء المالية، التى تتصل بطبع الكتب مرة أخرى بعد التعديل، أو التصحيح أو الإضافة أو الحذف، أو غير ذلك مما يتصل بالمحافظة على شكل الكتاب المقرر فى أيدى الطلاب - فلا مانع من اتخاذ مسلك مواز يحافظ على تجديد المعرفة لدى الطلاب، وتحقيق التطوير للمادة العلمية، وذلك بإصدار نشرات، أو تعليمات، أو توجيهات تحقق هذا التطور. وفى هذا الإصدار تحقيق لهدفين مطلوبين: الأول: تخفيف الأعباء المالية فى العملية التعليمية، والثانى: ضمان تحقيق تطوير المادة العلمية، وتقديم المتعلم لعصره.

٦- مراعاة القاسم المشترك من الثقافة بين التكتلات الكبيرة، مثل: الدول العربية، أو الإسلامية، وتضمين هذا القاسم المنهج الرسمى والمنهج الخفى. وفى ذلك تحقيق لعدة أهداف هى: الأول: مواجهة تيار العولمة الثقافية بثقافة أوسع تمثل كتلة، بينها رابطة من نوع ما، الثانى: تمتين العلاقة بين هذه الشعوب من خلال عملية التماسك الثقافى، الثالث: تبادل الخبرات المربية، من خلال الخصوصيات الثقافية لبلد ما، بما يعزز ألوان الثقافة المتعددة، والتى يمكن -فى النهاية- أن تصب فى قالب واحد نسبى.

وليس من المغالاة فى شىء القول، إن معظم ما يجرى فى العملية التعليمية - لا المنهج المدرسى فقط- ربما ينطبق عليه: المطرقة والسندان، بتبادل للأدوار بينهما، بمعنى أن المطرقة قد تكون سندانا، والسندان قد يكون مطرقة. فالأهداف التعليمية قد تكون مطرقة على سندانات كثيرة. منها: المعلم، أو مدير المدرسة أو ولى الأمر، أو المتعلم نفسه، وأحيانا أخرى قد تكون الناحية المالية مطرقة على عناصر كثيرة، منها: المعلم، أو الكتاب المدرسى، أو النشاط المدرسى، أو المعامل

والمختبرات، أو التطوير أو على سعة الفصل المطلوبة، وقد يكون النشاط المدرسى مطرقة على سندان الأهداف التعليمية. وهكذا فى كل أبعاد العملية التعليمية، بل أحيانا قد يكون سوق العمل مطرقة تدق بقوة على العملية التعليمية ككل.

من هنا تبدو قضية التطوير فى التعلم مسألة ملحة تفرض نفسها، لا تلبث أن تنتهى ثم تعود مرة أخرى، لا لخطأ فى عملية التطوير، وإنما استجابة للتسارع فى شتى مناحى الحياة، وإنطلاقا مما للتعليم من دور حاكم وأساس فى حركة المجتمع وتطوره، ولما له من أبعاد وآثار إنسانية واجتماعية، وثقافية، واقتصادية، وأمنية على الأفراد، وعلى المجتمع، بحيث يكون التطوير مبنيا على إحداث تغيير شامل من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية، لخلق نوعية جديدة من المتعلمين، وفرض وضع اقتصادى علمى متميز، يهتم بالكيف لا بالكم. وانطلاقا من هذا كله يقدم هذا الكتاب الأرضية الحقيقية للتعليم من خلال ثوابت المنهج الدراسى فى الوطن العربى، والتى تمثل صمام أمان لهذه الأمة، وحماية للعملية التعليمية من أن تذوب فى بعض الكيانات الكبرى، لأن سنن الله هى الغالبة، بما اقتضه من اختلاف فالأمم والشعوب، وتمايزها. وليس هذا التمايز مبعثه اختلاف الشكل، أو اللون فقط، بل مبعثه الثقافة أيضا، التى تمثل سندانا متينا صلبا يتحمل كل ألوان الضرب بالمطرقة، مهما كان كثرتها وقوتها.

أدعو الله أن يسد هذا الكتاب ثغرة فى ميدان التربية والتعليم..

هذا وبالله التوفيق

المؤلف

المدينة المنورة فى ٢٨ من شهر الله المحرم ١٤٢٢هـ/ ٢٢-٤-٢٠٠١م



محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول
(دعم البعد الفطرى فى الإنسان)

الفصل الثانى
(تضمين الثقافة العربية والإسلامية بالمناهج الدراسية)

الفصل الثالث

(فرض العين وفرض الكفاية فى العملية التعليمية)

الفصل الرابع

(تنمية التفكير)

الفصل الخامس

(المعلم والكتاب)

الفصل الأول

دعم البعد الفطرى
فى الإنسان



الفصل الأول

دعم البعد الفطرى فى الإنسان

يتناول هذا الفصل الثابت الأول من ثوابت المنهج الدراسى، وهو ما يتصل بالجانب الفطرى فى الإنسان من حيث الإيمان بالله، والفوائد التى تعود على الفرد والمجتمع من ترسيخه لدى النشء، وكذا الأخطار التى تهددهما من إهمال هذا الإيمان، إلى جانب بعض المقترحات التى يمكن أن ترسخه، كما يتناول القيم الخلقية التى لا يستغنى عنها أى مجتمع، انطلاقا من أن التربية هى وسيلة صنع الأفراد كما يريدها المجتمع. وفيما يلى بيان لهذه الجوانب..

تفسر الفطرة الإنسانية بأنها تلك الأفكار والمبادىء الموجودة فى النفس قبل التجربة والتلقين[1]، أو أنها الطبيعة السليمة التى لم تلوث بعيب، ولم يداخلها الأفكار المغرضة، والمبادئ المعيبة، والقواعد الذى صنعها الإنسان لنفسه، وصاغها بما يخدم تلك النفس، أو الجماعة، بعيداً عن التحيز أو المجاملة أو التعصب، وفى التنزيل ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]. فكأن الفطرة الإنسانية هى جوهرة الحياة، وأساس الممارسة فيها، ودستور التعامل بين بنى الإنسان، وما يضمه هذا الكون الفسيح.

ويمكن النظر إلى هذه الفطرة من جهتين أساسيتين، هما: الآلاهيات والنبوات، ثم القيم الخلقية. ويبدو أن الجانب الثانى وهو القيم فهو محل اتفاق أغلب الناس وإجماعهم، لأن الالتزام بالأخلاق والمبادىء الحياتية هو المدخل الحقيقى للمكسب السريع، والمستمر، وتيسر الأمور المعاشية بشكل يضمن للحياة

---

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جـ٢، القاهرة، دار الفكر، د.ت، ص ٦٩٤.

البقاء والنمو، فالتاجر والصانع والزارع، وغيرهم إذا فقدوا -مثلا- الصدق والأمانة، وشتى قيم المعاملات انصرف الناس عنهم، وكان مصير معاملاتهم البوار والفشل، لكنهم إذا التزموا بها فإن ثمن هذا الالتزام هو الربح فى الدنيا.. ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

أما البعد الأول وهو جانب الآلاهيات والنبوات فالظاهر للعيان أن محل اختلاف بين الناس، وذلك لصلته بالعقيدة، وهى التى تقوم على الإيمان. وهذا الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان. وهذا الإيمان له مذاق خاص «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا»[(١)]، كما جاء فى الحديث الشريف.

من هنا فإن وضع هذين البعدين: القيم ويساندها الإيمان فى صميم العملية التعليمية -أمر له الأولوية- نعرضه فيما يلى:

أولاً: الإيمان:

يستهدف هذا الجزء ضرورة تقديم الإيمان بالغيب للناشئة، وإفهامهم إياه، بهدف ترسيخه لديهم فى المستقبل، انطلاقا من أن المناهج الدراسية، من وظائفها الأساسية ترسيخ العقائد لدى الأفراد، وصبغها بالصبغة التى تمليها طبيعة هذه العقيدة مع الوضع فى الاعتبار أن عملية التطبيع الاجتماعى، عملية تشترك فيها المؤسسات التعليمية والتربوية، وكذا الجماعات، والوسائط التربوية المختلفة فى المجتمع.

والإسلام -كدين- جوهره العقيدة. ومنذ أن جاء على لسان محمد ﷺ وإلى يومنا هذا لم يتغلب عليه من الأديان متغلب، وإن تغلب على أممه من شدائد الظلم، وألوان التحكم ما جعلها أشد بالله إيمانا، ولحكمه إسلاما وفى رحمته، وفى غفرانه أملاً ورجاء[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم، الجزء الأول، ص ٦٢.

(٢) محمد حسين هيكل، حياة محمد، ط١٣، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨، ص ٢.

ولعل قيمة الإنسان تتلخص فى كلمة واحدة هى عقيدته. فالعقيدة أثمن عند من يقدر معنى الإنسانية، من المال، ومن الجاه، ومن السلطان، ومن الحياة نفسها. من هذه الحياة المادية التى يشترك فيها الإنسان والحيوان، إذ يأكلون ويشربون، كى تنمو أجسامهم، وتقوى عضلاتهم. والعقيدة فى هذه الصلة المعنوية بين الإنسان والإنسان، والصلة الروحية بين الإنسان وربه - هى هذا الدليل الذى يمتاز به الإنسان على سائر الحيوان، مما فى هذه الحياة والذى يجعله يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويؤثر البائس والفقير، والمسكين على أهله، ولو كان به، وبهم خصاصة، ويتصل بالكون كله ليعمل دائبا كى يبلغ الكون ما قدر الله له من كمال[١].

والعقيدة وإن كانت فطرية، إلا أنها تحتاج إلى معايشة، وتوجيه، وإفهام من قبل كل من يحيط بالطفل. والمدرسة تضم بين أسوارها العديد من الأطفال، تمدهم بالمعلومات، وتشبع بعض حاجاتهم النفسية والاجتماعية والمعرفية، إلى أن يبلغ حد التكليف وما بعد هذا التكليف.

وتجدر الإشارة إلى أن المعرفة المنظمة، واستراتيجيات التعلم، التى تستخدم فى تطبيق هذه المعرفة -وهو مجال علم نفس التعلم- مازال مملوءا بالخلافات بين نظريات التعلم التى حاولت اختزال كل ما يحصله الإنسان من معرفة وتعلم، فى عدد محدود من أشكال التعلم «التعليم عن طريق المثير - الاستجابة- التعلم بالمحاولة والخطأ، التعلم بالملاحظة، وغيرها»[٢].

ويتم اكتساب المعرفة، والمفاهيم المجردة، والمفاهيم الأكثر تعقيداً عن طريق تعميم بعض المفاهيم الحسية، واكتسابها بحيث تصبح متنوعة، حتى يمكن اكتشاف علاقات جديدة. على سبيل المثال مفهوم «النسيج» محسوس والآن، هناك نسيج الفكر، والسوق مفهوم يزداد تعقيدا باستمرار كلما زاد ارتباطه بسوق الاقتصاد[٣].

---

(١) محمد حسين هيكل، المرجع السابق، ص ٢٠٢.

(٢) باول برونهوبر، مبادئ التدريس الفعال «تلخيص وتعليق وترجمة: المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية»، القاهرة، قطاع الكتب، ١٩٩٥م، ص ص ٣٥، ٣٦.

(٣) المصدر السابق، ص ص ٣٨، ٣٩.

وتعليم الله للبشر يتفق وينسجم مع العظمة الإلهية، وهو محدد بنص القرآن الكريم ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]. وهذا فى كلام الله للبشر، أما فى التعليم فالأمر مطلق، والكيفية مفتوحة ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [العلق: ٤، ٥].

وليست عملية تنمية الإيمان بالغيب مطلبا دينيا، تحث عليه الأديان السماوية، ومدخلاً حقيقيا، ليكون الإنسان مسلما، أو مسيحيا، أو يهوديا -لكنه- إلى جانب ذلك- تربية للفرد وإنماء للجماعة، ذلك لأن «الغيب» من معناه -فى اللغة- الشك، وجمعه: غياب وغيوب. قال:

أنت نبى تعلم الغيابا لا قائلا إفكا ولا مرتابا[1]

والشك بداية لإعمال العقل، ومدعاة لممارسة عمليات العلم من الملاحظة والاستقراء، والاستنباط، والتجريب. وهذه العمليات وغيرها، لا يقوم بها -عادة- إلا من أوتى حظا من المعرفة والعلم أو التوجيه الإلهى. ومن كان هذا حاله لا يهدأ إلا بعد الوصول إلى مرحلة العلم، أو يقطع الشك باليقين. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ [الأنعام: ٧٤-٧٩].

(١) لسان العرب، ص ٦٥٤.

والغيب من معناه:

كل من غاب عنك، ومن قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] أى يؤمنون بما غاب عنهم، مما أخبر به النبى ﷺ، وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به – فهو غيب.. والغيب أيضا ما غاب عن العيون، وإن كان محصلا فى القلوب، ويقال: سمعت صوتا من وراء الغيب، أى من موضع لا أراه[١]، وكل ما غاب عن العيون وكان محصلا فى القلوب فهو غيب[٢].

ويمكن تحديد معنى الغيب فيما يتصل بالتربية -وهو موضوعنا- انطلاقا مما ورد فى لسان العرب بأنه: فى المجال الحسى كل ما كان له وجود فى الواقع، وان لم تصل إليه حواسنا: الآن أو بعد الآن وصولا مؤقتا مثل: سماع الصوت من موضع لا أراه، وكل ما وقع فى مكان لا يدرى ما وراءه، سواء أكان كشفا علميا، أو حدثا عاديا، أو أمراً طارئاً. وهذه الأشياء يمكن الوقوف عليها الآن بشكل أسرع بفضل تقدم وسائل الإعلام والاتصال، وفى المجال المعنوى: كل من أو ما كان له وجود فى الواقع، وان استحال إدراكه، مثل: الجنة والنار، الثواب والعقاب، السعادة والشقاء. ويقف فى قمة الغيب واجد الوجود وهو الله ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وتساعد مفردات اللغة العربية المتعلم على تنامى الفهم فى الأمور المجردة، إذ أن بعض الكلمات لها بعد حسى، يستقبلها الطفل وفق إدراكه، ومع مرور الزمن ينتقل المتعلم إلى المعنى المجرد مباشرة، دون المرور بالمعنى الحسى. ويمكن أن يطبق هذا الأمر على كلمة الغيب، فهى تعنى أى شيء موجود ولا أراه، حتى إذا زاد التصور واكتمل الإدراك فهم المعنى المجرد بقلبه، أو بعقله، أو بهما معاً، كما أن بعض الكلمات المجردة يتم فهم معناها عن طريق المواقف التى يمر بها المتعلم،

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٥٤.
(٢) أبو منصور إسماعيل الثقالبى النيسابورى، كتاب فقه اللغة وسر العربية، ص ١.

مثل: كلمة الاحسان، وتعنى الإتقان فى كل شىء، كما جاء فى الحديث: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك». وهذا المعنى كان سلسلة بدأت -مثلا- بتقديم الطفل صدقة لمحتاج رغبة وحبا فى القرب من الله، وانتهى إلى ماهو عليه من التجريد، وكذلك فى كثير من المفاهيم.

بعض فوائد الإيمان بالغيب:

لعل السر فى دعوة تقديم الغيب للمتعلم، وإفهامه اياه، والوصول به إلى الإيمان بالله - يكمن فى الفوائد التالية:

١- ان اختراق حاجز المكان من بعض المتعلمين، إن لم يكن كلهم لفهم الغيب فيه، زيادة فى فهم الكون، وتخط للبيئة التى يعيشون فيها إلى بيئات أوسع، قد تكون زاخرة بألوان من النشاط، وحافلة بكثير من المعلومات والمعارف والإنجازات العلمية، والتى يمكن أن تدفع المتعلم إلى التأمل والتفكير وزيادة الخبرات، مما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع والفائدة.

ولا يخفى أن تعدد عملية اختراق غيب المكان بتعدد الأفراد يحقق معنى تكامل المعرفة البعيدة للمعرفة القريبة، وفى هذا إثراء لعملية التعلم وذلك بتلاقح الخبرات النمطية التى تعود عليها مجتمع ما بخبرات غير نمطية، لم يألفها هذا المجتمع.

٢- ان اختراق حاجز الزمان لفهم الغيب فيه - يدفع الفرد لتفسير أحداث التاريخ تفسيرا علميا، للإفادة من خبرات الماضى. وليس صدفة أن تهتم الشعوب بتاريخها اهتماما يحدد كيانها، ويبرز شخصيتها، بل قد تعيد صياغته بالشكل الذى تراه مفيدا لمواطنيها. ومن هنا فإن العيب كل العيب أن يقدم التاريخ للطلاب تقديما مبنيا على السرد والحكاية، والنقل كما هو بدون إعمال العقل فيه، والتأمل فى أحداثه، وتوجيهه وفق أهداف محددة،

ومرام مخططة. وفى الحديث لما هجا حسان قريشا، قال: إن هذا الشتم، ما غاب عنه ابن أبى قحافه، أرادوا أن أبا بكر كان عالما بالأنساب والأخبار[١].

٣- أن اختراق الغيب من خلال الأشياء مدعاة لفهم طبيعتها، والجوانب التكنولوجية فيها، فى الوقت الذى تحاط فيه تلك التكنولوجيا بالسرية التامة، وعدم كشفها للآخرين مهما ارتفعت درجة العلاقة بينهم، بل إن الكشف عنها - يعد أحيانا - بمثابة العمالة، أو الخيانة للوطن. وليست المنافسة فى مجال لعب الأطفال بما فيها من تنوع وتعدد وإتقان - إلا لعظمة دورها التربوى لدى الأطفال، وتنمية مواهبهم، وإن أدى اللعب بها إلى كسرها من قبل هؤلاء الأطفال، لأن كسرها يعنى التفتيش فيها. وكشف ما فيها من أسرار يمثل غيبا لهذا الطفل. واللعبة بهذه المثابة عملة لها وجهان: وجهها الأول الترفيه عن الطفل، واستغلال طاقته، ووجهها الآخر تنمية التفكير منذ الطفولة، وإثارة اهتمامه تجاه الأشياء. وتتوقف الإفادة على ما فى الأشياء من تكنولوجيا معقدة، وأسرار تستحق الوقفة والانتباه. وما فك الطائرة الأمريكية التى هبطت فى الصين ومحاولة الصينيين معرفة أسرارها إلا دليل على الرغبة فى معرفة ما غاب عن الصينيين، وذلك فى بداية عام(٢٠٠١م).

٤- أن الغيب بالمعانى السابقة: مكانا، وزمانا، وأشياء - يعول عليها فى تطوير الحياة وتحسينها إلى ما فيه إسعاد الإنسان، وتعمير الكون. وهذه هى رسالة الإنسان، لأن حسن استغلال الإنسان لما فى الكون - هو الطريق لمعرفة الله، واليقين بوجـوده ان خلصت النية، وتسامى الهـدف، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

---

(١) لسان العرب، ص ٦٥٤.

٥- أن الغيب بالمعانى السابقة أداة لربط الإنسان بأخيه الإنسان من خلال ضرورة الاحتكاك بالآخرين والتعلم منهم، ومعرفة خلفيتهم الثقافية والحضارية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات:١٣]. ولعل الفعل «لتعارفوا» فى الآية من الأفعال المحملة بكثير من المعانى، فهى تعنى -ضمن ما تعنى-: لتقاربوا، لتحتكوا، لتتفاهموا، لتتبادلوا المنافع، والمعارف، والخبرات، لينقل منكم ما ليس لديه..إلخ، ومجمل هذا التعارف، رفع المستوى، وتطوير الحياة، وإبداع المنجزات الحاضرية التى تسعد الإنسان، وترده إلى خالقه وتربطه بربه.

٦- أن الغيب بالمعنى الذى لم يُطْلِع الله أحدا عليه يدفع الإنسان إلى العمل، وتجويد ما يسند إليه، بهدف تخليد اسمه، وتسجيله ضمن المبدعين الذين يستحقون التمجيد من شعوبهم. كل فيما برع فيه، لأن كل مبدع فى فنه يدرك أن عمره قصير، والفرق بين المغمور والمشهور، أن الأخير لن يكون كذلك إلا إذا قدم شيئا يستحق عليه تلك الشهرة، وما الإصرار على تسجيل براءة الاختراع، إلا تعبير عن هذا الاتجاه، من قبل المبدع أو المخترع. وهذا يتطلب الاجتهاد فى تخصصه، والإتقان فى عمله، والاستمرار فى أدائه. ولا أدل على ذلك من تلك اللوحات التى يحرص عليها هذا وذاك. وتتضمن بطولاتهم، أو أعمالهم أو إبداعاتهم قبل أن ينتهى بهم العمر، ولا يعرف الناس عنهم شيئا، انطلاقا من شهوة الشهرة وحب الفخروالتمجيد. وتقف الخلفية الثقافية الأصيلة خلف هذا الاتجاه تحثه وتؤازره، عن أبى هريرةرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (حديث شريف). وحتى فى الإحساس بإرهاصات يوم القيامة يكلف الفرد بالإنجاز والعمل «إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها».

ويبدو أن الحديث الأخير، لا يقف عند حد المعنى الحقيقى للفسيلة، وإنما

يشمل كل إنجاز بشرى يفيد الناس، ويوسع دائرة حمايتهم وسعادتهم. انطلاقا من أن خير الناس أنفعهم للناس، وأكثرهم بصمة أكثرهم خيرا فى الحياة.

ويبشر الله عباده الذين يعملون وينجزون وهم مؤمنون بالجزاء الحسن ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. لأن اقتران العمل بالإيمان دليل على القرب من الله، وبرهان على صدق العبودية له سبحانه. وفى هذا طمأنة لكل جهد يبذل، وعمل يتم، وليس بعد سخاء الله سخاء.

٧- أن الإيمان بالغيب يشجع القوة المنتجة، والقادرة على الإنجاز وأعنى بها الشباب الذين إذا عمرت قلوبهم بالإيمان، استطاعوا أن يفعلوا ما يوكل إليهم، ويتغلبوا على كل صعب وعسير.

وقد يفسر شرط اقتران العمل الجيد بالإيمان بالله، والتوجه به لله سبحانه أنه يحقق ثلاث فوائد، هى:

(أ) تحقيق أعلى معدل للأداء فى العمل - وهذا فى حد ذاته فائدة للبشر- لأنه خلا من المشتقات وهى الشهرة، أو مدح الناس له، أو ذكر اسمه فى مقام المكرمين...إلخ، إذ أن هذه المشتقات تستهلك جزءاً من طاقة الإنسان، وربما تبعده عن الإتقان فى عمله.

(ب) ضمان المدد من الله، لأن العمل موجه لله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل، والإخلاص فى العمل يكفل لصاحبه النجاح والتوفيق. أما الذين يجودون عملهم، وقلوبهم خالية من الإيمان فحسبهم من الدنيا ما يلاقون فيها من المجد والشهرة، وكثرة الثناء، والعبرة بالنية. ونية المرء محسوبة عليه. والله هو المطلع على السرائر.

(ج) توفير البعد الأخلاقى والإنسانى الجوهرى، إذ أن التعليم القائم على

الإيمان حق من حقوق الإنسان. وينبغى له على هذا الأساس، أن يحظى بالأولوية فى كل المواد الدراسية «ومن قصر النظر الشديد، ترك التعليم مقيدا مكمما فى دور إنتاج الأيدى العاملة المدربة، أو الحكم على النجاح فيه بعدد من الأطفال والكبار الذين استوعبوا رزمة من التعليم، ذلك أن اعتبار التعليم حقا إنسانيا، إنما يكون كذلك، لأنه يؤدى إلى إطلاق الطاقات الفردية الخلاقة، وإلى مشاركة أفضل فى الأدوار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالمجتمع، ومن ثم إلى إسهام أقوى تأثيراً فى التنمية البشرية[١].

وهذا البعد الأخلاقى يتجلى - ضمن ما يتجلى - فى «العدل، والإحسان، والبر، وصلة الرحم، والتعاون على البر والتقوى، واحترام النظام، والصدق، والعفاف، ورعاية الأمانة، والوفاء بالعهد، والإخلاص فى السر والعلانية، وقول الحق فى الرضا والغضب، والقصد فى الفقر والغنى، والصبر فى البأساء والضراء وحين البأس، وكف اليدين واللسان عن إيذاء الناس، وطهارة القلب من الغل والحسد والرياء والنفاق وحب الدنيا وسائر أمراض النفوس. وهى كلها من الركائز المعنوية التى لا يقوم مجتمع مسلم إلا عليها[٢].

٨- أن معنى الغيب فى أعلى مستواه - وهو الإيمان بالله وملائكته وسائر مفردات العقيدة الإسلامية هو المحصلة النهائية لفهم الغيب لمعنى المشهود، وما فى مستواه، وهو المستهدف من الإنسان باعتباره العاقل، والمفكر.. وباقى الصفات التى توصله إلى الإيمان. وهذا الإيمان يضمن له السعادة فى الدنيا والآخرة **﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾** [النساء: ١٢٤].

---

(١) جاك حلاق، الاستثمار فى المستقبل تحديد الأولويات التعليمية فى العالم النامى (ترجمة: وفاء حسن وهبة، مراجعة: جابر عبدالحميد جابر) (يوند باس) عمان، مكتب اليونسكو الإقليمى للتربية فى الدول العربية، ١٩٩٢، ص ٦٨.

(٢) يوسف القرضاوى، الخصائص العامة للإسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م، ص ٢٠٥.

ومعنى هذا أن الأعمال الموجهة إليه سبحانه تجلب رضاه، وتحقق للإنسان نوعا من القرب منه، بل وتزيده إيمانا على إيمانه، لأن ملاحظة العمل الصالح، وما يترتب عليه فى دنيا الناس -باعث على الثقة فى الله، والانتماء له سبحانه. ومع أن الغيب ينكره بعض الناس، إلا أنهم يمارسونه - على مستوى الفرد والجماعة، والأمة، وذلك فى شكل عمليات التخطيط، سواء فى المجال السياسى أو الاقتصادى، أو العسكرى، أو الاجتماعى، وفى التربية -بطبيعة الحال- وهذا التخطيط فى أبسط معانيه- ما هو إلا تصور مستقبلى فى رحم الغيب، وهو تصور داخل فى إطار الممكن. فما لا يتم تحقيقه اليوم يمكن أن يتحقق غدا. ولعل أقرب مثال يمكن أن يساق فى مجال حتمية الإيمان بالغيب قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]. وهى عملية تتم كل يوم مع كل البشر ومع ذلك يظل عجز الإنسان باقيا، لأن الكسب بمعناه الشامل يستحيل التكهن به. وفى مقابل التصور الممكن، وتوقع معرفة الغيب فيه - إن أمكن قبوله - هناك تصور آخر، لكنه داخل فى إطار المستحيل، لعجز العقل البشرى عن إدراكه، وقصور حواس الإنسان عن تصوره. وبما أن العظيم المطلق لا يعرف بالعقل -فى كثير من الأحيان- فإن إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام جاء لسد العجز عند هذا العقل، وتلافى جوانب القصور فيه، وأيضا لإدخال جانب الراحة والطمأنينة له. ولم تقتصر عملية التبليغ عن الله عند رسول واحد، أو مصدر واحد، بل تعددت الرسل وتعددت المصادر، نظراً لأن الإيمان بالله مستوى عال، لا يصل إليه، إلا من انفتح قلبه للإيمان، وتخطى الفهم القصير للألوهية. وتتابع الرسل شاهد صدق على وحدة التبليغ. وجاء تسجيل تاريخ الإنسان ليكون وثيقة تدعم إيمان المؤمنين، وتزيدهم عمقا فى كشف أسرار الحياة، إلى أن انتهت رحلة الرسل إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، ومعه المعجزة العقلية الباقية، ليكون القرآن الكريم ملاذ الذين يحبون أن يحققوا لأنفسهم نعمة الإيمان لمقابلة الرحمن والملائكة جند الله ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. وما أشبههم - قياس مع الفارق - بجنود الملوك- فى الأرض. فهم حراس وسدنة، لملك الملوك يقومون بشئون العباد،

وتسجيل ما لهم وما عليهم، وهم لا يكفون عن التسبيح لله، والالتزام بطاعته، لتستقيم أمور الناس، وينصلح حالهم. والكتب السماوية يتناقلها أبناء كل ملة لمعرفة أحوال شريعتهم ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

والقرآن الكريم - وهو كتاب سماوى من عند الله - هو مصدر الهداية، ومنبع كل توجيه، ولذا يتحتم الإيمان به، وبمن أنزله ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. وقد وصف النبى ﷺ القرآن الكريم فى حديثه بأنه «لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عبره، ولا تفنى عجائبه. وهو الفصل ليس بالهزل، لا تشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة وهو الذى لم تلبث الجن حين سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

والرسل - وما أكثرهم - ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٤، ١٦٥]. وما تركوه مسجل فى تاريخ الإنسانية، وشأن هذا التسجيل مكتوبا وغير مكتوب، يتوقع منه زيادة المؤمنين إيمانا على إيمانهم لأن قراءة التاريخ مطلب إنسانى، وضرورة حتمية لضمان تقدم الإنسان، وازدهار حضارته، وإهمال هذه القراءة جريمة، وردة إلى الوراء.

واليوم الآخر أمر مشهود، بصفة مصغرة لكل من فى هذا الوجود، وما فيه، فالحياة والموت - وهى عملية تتم يوميا - ليست مقصورة على فئة دون فئة، ولا حضارة دون حضارة ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. والتاريخ يعلمنا أن القمة هى أقرب نقطة إلى الهاوية[1]. والله هو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية. واليوم الآخر فيه أيضا لفت الأنظار إلى الحى الباقى، ودعوة إلى

---

(١) جاك أتالى، الألفية الجديدة الرابحون والخاسرون فى النظام العالمى القادم، (ترجمة: سعيد حسن عبدالعال، سلسلة الكتب المترجمة (١)، القاهرة: وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٥م، ص ٢٩.

الإيمان به سبحانه بقليل من التأمل والعقل ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك اتساقا بين اليوم الآخر، بمعنى يوم القيامة، واليوم الآخر بمعنى نهاية أجل الإنسان. فكلاهما مجهول، وعلمه عند الله، بهدف استغلال كل لحظة فى عمر الإنسان للعمل الصالح: لنفسه، أو لمجتمعه، أو للإنسانية. وهذه الأعمال الصالحة تتوج فى النهاية لتعمير الكون، وتطوير الحياة، والوصول إلى رضا الله فى الدار الآخرة.

واليوم الآخر للفرد، وتذكيره به على الدوام - لعل المستهدف به الأمور التالية:

الأول: إثبات الفرد لذاته عن طريق سرعة إنجاز ما يمكن إنجازه، لأن العمر قصير مهما طال. وعليه أن يسلم راية الخير والحق لغيره مرفوعة.

الثانى: حماية الفرد من نفسه، وحمايته من التطاول على الآخرين، لإيمانه بأن قوته مؤقتة، وحياته زائلة.

الثالث: زيادة القرب من الله، بسبب الحرص على توخى رضا الله فيما يقول، وما يفعل، وصيانة النعمة هو الضمان الوحيد لبقائها ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

والقضاء والقدر، وهو الإيمان بأن كل ما يقع فى هذا الكون، إنما هو بقضاء الله وقدره. ومع هذا فقد يتصور البعض أن الأحداث التى تقع فى محيط الكون تخضع للصدفة، أو أن الأمور بهذا الشكل تسير كيفما اتفق، ولكن الواقع -وباليقين- هو نوع من التدبير الإلهى الذى قد يخفى على البعض منا، أو كلنا فى بعض الوقت إلى حين يقوم الإنسان بعملية ربط هذه الأحداث، أو المواقف بعضها ببعض. حينئذ تظهر الحقيقة ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢]. وكأن الحاضر الغائب وهو الله

أراد ذلك لاستقطاب الذين يعملون عقولهم، ويفكرون فى نسيج هذه الحياة وما يجرى فيها من أحداث ومواقف. وربطها بالخالق سبحانه، واستحضار عظمته، ولعل ذلك ينطلق من مسلمة قوامها، أن الله لا يقع فى ملكه إلا ما يريد ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. ولعله من المؤكد أن الله منح لعباده القدرة على المشاركة فى أمور دينهم ودنياهم، ليشعرهم بوجودهم، وليدخل على قلوبهم مشاعر الاحترام، والتقدير لذواتهم، فضلا عن الإحساس بالمسئولية، وهى التى تميز الإنسان عن غيره، أيا كانت هذه المسئولية: خيرا أم شراً ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة: ٦]. وليس معنى الإيمان بالقضاء والقدر أن يعيش الإنسان سلبيا، ينتظر جريان الأحداث عليه، فإن هذا مناف للفهم الصحيح له. وليس أدل على ذلك من مقولة عمر بن الخطاب: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقنى، فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة. ناهيك عن أن ما يجرى على الإنسان لا علم له به. فهو غيب بالنسبة له، فكيف يستسلم الإنسان لأمر لم يقع بعد؟ أو غيب قد يدخل فى عالم التهاويم والخرافات؟

والبعث - وهو إخراج الناس من قبورهم يوم القيامة - يجب الإيمان به، والتأكد من وقوعه، لأن هناك كثيرا من المظاهر التى تقع تحت سمعنا، وبصرنا تشير إليه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحج: ٥، ٦].

٩- أن الإيمان بالله إيمانا حقيقيا فى ظل تدنى موقف المسلمين، وشيوع الضعف بينهم الآن - يمكن أن يحقق رفع معنوياتهم فى الأبعاد الآتية:

أ - الإحساس بمعية الله للمؤمنين، وأنه معهم يؤازرهم، ويمدهم بفضل من عنده ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

ب- التأكد من أن الله وضع المسلمين فى مرتبة عالية بالشكل الذى لا يشعرون فيه بأنهم أقل من غيرهم، أو يتسرب إلى نفوسهم الشعور بالدونية ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

جـ- اليقين بأن المؤمنين هم خير أمة أخرجت للناس بما يتصفون به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والإيمان بالله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

د - القطع بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين إذا التزموا بشرع الله، وأعلوا كلمته، وكانوا يدا واحدة على من عداهم وعاداهم ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وخبر من الله بهذه الصورة، ربما يحث المسلمين على أن يبذلوا كل ما فى وسعهم لإزالة حالة الضعف التى يعانون منها، وإزالة الضعف فى مجتمع ما لا يتم إلا فى ضوء من الدراسة والبحث لتشخيص العلاج بالأسلوب الملائم لزمانهم، انطلاقا من قاعدة الأخذ بالأسباب، وهذه الدراسة والمراجعة بداية الاتجاه إلى المسار الصحيح.

هـ- الاحتفاظ بالثقة بالنفس على مستوى الفرد ومستوى الجماعة، لأن الانتماء إلى الله يقضى على كل عوامل الشك، ويبعد عن الهزيمة، ويحول قوة الأعداء إلى وهم وخيال - ومن آمن بالله فإن الله لن يضيعه.

الآثار المترتبة على إهمال ترسيخ العقيدة الإسلامية لدى النشء:

ومن كل ما سبق يمكن القول: أن العقيدة الإسلامية - وأساسها الإيمان بالغيب ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢-٥]. تحمى العملية التعليمية ومخرجاتها من المخاطر الآتية:

١- عدم الإيمان الصحيح المتسق مع الفطرة الإنسانية، والذى يلبى مطلبا أساسيا لها.

٢- عدم الاستقرار النفسى، خاصة لدى هؤلاء الذين يعانون من الظلم، والأضطهاد من غيرهم. والإيمان بالبعث والثواب والعقاب، والحساب فى الآخرة - كفيل بترميم ما تهدم من نفسياتهم.

٣- التطاول على الآخرين، وحرمانهم من أبسط حقوقهم فى الحياة: من مأكل ومشرب وأمن، وممارسة أنواع من الظلم ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. والحد من هذا التطاول، ينطلق من الفهم الصحيح لقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٢٠]. ذلك أن القوة الشاملة، التى تتوافر لدى بعض الأفراد والجماعات - ربما تكون مدعاة لتجاوز حدود الله ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝﴾ [العلق: ٦، ٧]. والإيمان بالغيب صمام أمان لهذا التجاوز، إذ يراجع الإنسان نفسه مرة ومرات إذا استشعر طغيانه على الآخرين، أو تعدى ما ينبغى أن يكون.

٤- تضييع الوقت، واستنفاد الجهد فيما لا يفيد، خاصة لتلك المعارف التى يقف الإنسان أمامها عاجزا، ولا يستطيع الوصول فيها إلى قرار نهائى، سواء منها ما يتصل بالغيب ﴿أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٥].

أو ما يتصل بنعم الله على خلقه، استنادا إلى كلمة لا يعلمها إلا هو ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٣٦]. والرزق هنا يشمل كل نعمة: ظاهرة وباطنة، أنعم الله بها على عباده، وليست خاصة بالمال، أو الولد أو الصحة فقط. ومكمن الراحة هنا يتمثل فى الإيمان بعدل الله المطلق بين عباده، ولعل المشكلة تتحدد فى هؤلاء الذين لديهم أفق واسع، وعقل راجح، ومع ذلك يكرسونه فيما لا يمكن الوصول إليه، مكابرة وعنادا، مع أن الحواس التى أوتيها الإنسان عجزت، وتعجز عن فهم كل، أو بعض ما يجرى فى هذا الكون، إذ أنه لو كان كل شىء فى متناول العقل الإنسانى لما كان هناك حاجة إلى إرسال الرسل لهداية البشر. وهداية البشر يعول فيها على شيئين رئيسيين هما:

الأول: ما جاء عن طريق الوحى، وبلغه الرسل عليهم السلام، خاصا بأصول العقيدة الصحيحة وهى ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات: ٤]. وكذا أحوال الشريعة التى قد تختلف فيها بعض الأديان السماوية ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

الثانى: ما توصل إليه العقل البشرى السوى، واطمأن إليه الناس فى تيسير أمور حياتهم. وهذا البعد من مظاهر تقدير العقل الإنسانى ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. ولعل من هذا القبيل أن الإسلام حين جاء لم يلغ كلية ما كان عند العرب، بل استبقى من ما يتفق والفطرة، ويسمح باستمرار المجتمع.

٥ - عدم احترام الإنسان لأخيه الإنسان، وزيادة نعرة الاستعلاء والسيطرة، بمقدار ما لدى الفرد، أو الجماعة من نفع وكسب، بسبب استبعاد القيم الإنسانية النبيلة فى التعامل، والأخذ والعطاء.

٦- عدم تحقيق التوازن بين الجانب الروحى والجانب المادى، وهو أمر مشاهد على مستوى الأفراد والجماعات.

٧- زيادة التيارات المغرضة، التى تحقق مكاسب موقوتة، وذلك على حساب مستقبل الأفراد والشعوب. والتاريخ الإنسانى حافل بمثل هذه التيارات، التى انتهى بها المصير إلى الفشل والإخفاق، لأن هذه التيارات كثيرا ما تؤثر على توجهات الأفراد، بسبب عدم فهم الأصول الأولى للبعد الفطرى فى الإنسان، وذلك يؤدى إلى خسارة فادحة فى حالة فقدان العناصر الإنسانية المتميزة، والتى كان يمكن أن تؤدى دوراً مهما فى الحياة.

ويبقى قبل هذا كله، وبعده الخطر الأكبر وهو فقدان الانتماء إلى الله، إذ أن الانتماء إلى الله عاصم من كل شر، وعدم الانتماء إليه سبحانه - حاشا لله - مبعث الشرور والكوارث **﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾** [النساء: ١٣٦].

يقتطف أنور عبد الملك (أهرام ١٥/٦/١٩٩٩) عن دراسة الأب كولنباخ، فتقرأ معه عن ضرورة العودة إلى البعد الروحى، وعنده أى كولنباخ أن مجموعة الكنائس المسيحية الكاثوليكية حول روما، والكنائس الأورثوذكسية فى أوروبا الشرقية، تملك تراثا روحيا مشتركا.. لينتهى إلى أن ثمة محاولات تهدف إلى طرح البعد الروحى كأساس لوحدة أوروبا ثم يشير إلى دعوة البابا إلى السعى والتنقيب عن طرق جديدة لنشر الإيمانية[1].

كيفية ترسيخ الإيمان:

تجدر الإشارة إلى أنه ليس هناك طريقة واحدة محددة لترسيخ الإيمان لدى المؤمن لعدة أسباب منها:

---

(١) يحيى الرخاوى «البعد الإيمانى ومستقبل البشرية (مستقبلنا)»، الأهرام، العدد ٤١١١٥، السنة ١٢٣، ص ١٠.

١- أنه أى الإيمان ليس عملا معرفيا محضا يمكن تعليمه، وإنما هو أمر يغلب عليه الجانب الوجدانى، لأن الإيمان مقره القلب ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]. وهو أمر لا يطلع عليه إلا المولى سبحانه ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].

٢- أنه مبنى على الاستعداد الطبيعى لدى الفرد، وتقبل فكرة الإيمان، أو عدم الاقتناع بها ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. ومعروف أن المشيئة هنا مشيئة انكشاف لا مشيئة جبر، حتى لا يكون هناك مبرر لمن اختار الكفر على الإيمان، والتذرع بأن ذلك مقدر له، أو مكتوب عليه، مع أن الله لم يطلع أحداً على غيبه، أو عرفه شيئا مما يتعلق بحياته.

٣- أن الإيمان مرتبط بأهلية التكليف. وهو أى التكليف مرهون بالبلوغ، والعقل، والقبول، والعمل، كما أنه مرهون أيضا بمواصلة مسئولية سعيه، ويقف وراء ذلك البعد الفطرى فى الإنسان.

ولعل من طرق ترسيخ الإيمان بالعقيدة الإسلامية، ووسائطها، ووسائلها مايلى:

(أ) البيئة الصالحة - أحيانا - التى يغلب عليها القيام بما تفرضه تلك العقيدة، وارتباط السلوك الصادر عن أفرادها حيالها. يستوى فى ذلك بيئة المنزل، والمدرسة، والحى ثم المجتمع الكبير.

(ب) قيام الأطفال والصبيان، ومن هم دون البلوغ بممارسة شعائر الدين، ونسكه، أملا فى أن يؤدى بهم ذلك إلى الإيمان، واستمرارية هذا الإيمان فيما بعد، إذ أن تعود الطفل على الصلاة فى المسجد ربما يؤمل لديه نعمة الإيمان فيما بعد.

(جـ) متابعة الأولاد، وملاحظة التيارات التى يمكن أن تبعدهم عن طريق الإيمان،

سواء أكان ذلك من قبل الآباء، أو المدرسين، ومن فى حكمهم، ممن يهتمون بالتربية ومعالجة ذلك فى حينه، لأن مظاهر الحياة المعاصرة يمكن أن يكون لها تأثيرات سلبية عليهم.

(د) رصد جماعة الأقران، لأن تأثير هذه الجماعات أقوى من أن يواجهها الشاب، وإذا كانت الطيور على أشكالها تقع، والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل - فإن الحيلولة دون اندماج الشاب مع الجماعات المغرضة- أمر واجب، ولا خلاف عليه، بل يحتمه واجب الاستقامة.

(هـ) تغليب جانب السلوك المقبول على جانب الوعظ والإرشاد، لأن السلوك التلقائى أقوى فى التأثير من الكلام المشحون بالأنفعال ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمل: ١٩].

(و) تأليف القلوب، عن طريق الهدايا، والمنح والمكافآت وتقديم الخدمات المجانية، خاصة الفقراء والضعفاء، لأن الجانب المادى يمس شغاف القلب ويرطب المشاعر الجدبة. وما إعطاء الزكاة إلى المؤلفة قلوبهم إلا دليل على صدق هذا التوجه.

(ز) حفظ ما يمكن حفظه من القرآن والسنة، أملاً فى تأثير هذا المحفوظ، يوما ما، لأن القلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. وربما يوحى الحفظ بمعنى يطرأ على ذهن الإنسان فيغير اتجاهه إلى الأحسن، والمسلمات التربوية تؤكد تنامى المفهوم فى ضوء زيادة العمر وكثرة الخبرة وتنوعها.

(ح) اللجوء إلى التلقين أحيانا، خاصة إذا صدر من شخص له فى النفس معزة، وفى القلب حب وتقدير. وكلام الحبيب له الصدارة والأولوية.

(ط) استخدام أساليب الإقناع العقلية والنقلية، خاصة فى قضية التوحيد، والتى تمثل القاسم المشترك بين الديانات السماوية كلها، ولعل من أمثلة هذه الأساليب ما يلى:

١- أن تعدد الألهة فى هذا العالم - كفيل بإفساده ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

٢- أن وجود آلهة آخرين مع الله - حاشا لله - يفتح الباب لكل إلاه يطلب العرش لنفسه، استنادا إلى واقع الحياة، لتكون له اليد العليا، وبحيث لا يشاركه فى الحكم أحدا ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لأَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢].

٣- أن الرسل عليهم السلام، على اختلاف مناهجهم التى كلفوا بتبليغها - أجمعوا على وحدانية الله، واستخدموا أساليب الإقناع التى تفحم الخصم، والتى لا سبيل إلا إلى التسليم أمامها تجاه القضية المعروضة. وهذا الإقناع يتطلب الفطنة، واستخدام مهارات العقل، التى تفتح أبواب الفهم الصحيح للقضية. فإبراهيم عليه السلام بعد أن اتهم أباه وقومه بالضلال لأنهم اتخذوا الأصنام آلهة - أراد الله أن يصل إلى مرحلة اليقين بأن الله واحد، فبدأ بالكوكب، ثم بالقمر، ثم بالشمس، إلى أن انتهى به المطاف إلى قوله ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. وهذا الاتجاه التصاعدى سبيل إلى أخذ القارىء أو السامع، أو الشاهد إلى التسليم بصحة ما ينتهى به الأمر.

وموسى عليه السلام فى حواره مع فرعون، حين قال فرعون فى نبرة حادة جازمة[1]: وما رب العالمين؟ أى ما كنه إلهك هذا. قال موسى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤].

وعيسى عليه السلام فى حواره مع الحواريين، يعاتبه ربه بقوله: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. فيرد

(١) عمر محمد عمر باحاذق، أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البيانى، بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ص ١٨٤.

عيسى عليه السلام على لسان ربه: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام يقرر بأنه ملتزم بما أمر به ربه، وهو أن الله واحد، ومن يقل بغير ذلك فليأت بالدليل، أن كان معه دليل ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

والقرآن الكريم حافل بكثير من الأدلة التى تؤكد وحدانية الله. وهى مع أنها نقلية إلا أنها متطابقة مع العقل، وتتفق معه، إذا لا تنافى بين العقل والنقل، لأن مصدرهما واحد وهو الله سبحانه.

٤- أن الاتساق فى هذا الكون بجميع من فيه، وما فيه دليل على أن الخالق واحد، وهو الله.

٥- أن الخروج عن نواميس الطبيعة من زلازل، وبراكين، وأمطار، ورعد وبرق لا يقدر عليها إلا الله، كما أن ما يشذ عن قوانين العلم -وهى ثابتة- لا تتأتى إلا من قوة خارقة وهى الله.

٦- أن الأرزاق لا يقدر عليها إلا الله ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

ومعنى ذلك أن تربية النشء على الإيمان بالله، وباقى مفردات عقيدة الإسلام ضرورة دنيوية ودينية، لأنها خط الدفاع الأول والأخير عن النفس وعن المجتمع، بها يكسب وينمو، ويحيا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. وبها يحقق أهدافه والتاريخ يسجل أن العقيدة الإسلامية منحت أصحابها قوة البناء، ما كانوا متمسكين بها، وقد حدد الله لها مستواها الذى يليق بها، بعد استبعاد جانب التخفيف، فى معركة الابتلاء والاختبار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]. وكفة المؤمنين راجحة، وإن تأخر النصر.

إن تربية النشء على الإيمان بالله معايشة، وتعليما، فى وقت مبكر يفوت الفرص على الذين يحاولون إبعاد المسلمين عن مصدر قوتهم، وسر بعثهم من جديد، والمطالبة بالمواطن العالمى مطلب يقصد به سلخ هذه الشعوب من عقيدتها، وما يترتب على تلك العقيدة من ثقافة تتسع باتساع الحياة.

ولما كان المنهج المدرسى هو الوثيقة الرسمية التى تقدمها المدرسة، ويعطيه التلميذ كل ثقته- فإن ذلك يستوجب اختيار الجرعة المناسبة لهذا المتعلم، بحيث يعيها ويتشربها، لتصبح جزءاً من حياته فى المستقبل، وما غاب عن المنهج يمكن أن تغطيه الوسائط التربوية الأخرى، ووسائل الإعلام المختلفة.

ثانياً: البعد القيمى:

تتميز الفضائل الخلقية بأنها كلها مطلوبة فى كل زمان ومكان، لأنه لا وجود لأى مجتمع إنسانى بدونها، الأمر الذى يتطلب تعليمها، وترسيخها لدى المتعلم، حتى تصبح ممارستها أمراً تلقائيا فى الحياة اليومية من غير فكر، أو تأمل، أو إعادة نظر إزاء ما يواجه الإنسان، أيا كان صغيراً أم كبيراً، وفيما يعترضه من مواقف أو مشكلات تستدعى -ولو مؤقتا- تحايلا، أو خروجا عن القيم الخلقية.

أن القيم الأصيلة تعبر عن نفسها، وتعلن عن وجودها داخل النفس الإنسانية، ولو توارت فترة فإنها لا تلبث أن تعود لأنها إذا لم تظهر فإنها تؤرق صاحبها، وتجلب له الكثير من المتاعب النفسية، والقلق المستمر. والقيم الأصيلة نصت عليها الأديان السماوية، فهى صادرة من الله، وليست مفروضة من أحد. وإذا حدث أن هناك قيمة مرفوضة من الناس، فمن المؤكد أنها قيمة وضعية، تلبى حاجة فئة من الناس، وتحقق لها مصلحة خاصة، ورفضها دليل على عدم اتساقها مع النفس الإنسانية.

والقيم الثابتة نص عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، ومنها الحق والصدق: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧]. ومثل العدل والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. ومثل الصبر والتوكل على الله: ﴿الَّذِينَ

صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [العنكبوت: ٥٩]. والشورى كما فى قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الشورى: ٣٨]. ومثل الإيمان والعمل: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾ [الكهف: ١٠٧]. والذكر والعلم: ﴿ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ [العنكبوت: ٤٥]. والأمانة: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وتجدر الإشارة إلى أن القيم الفاضلة لها معيار تستند إليه «فكل أمر لا يكون موافقا للحق فهو فاحشة. وكل شيء تصير عاقبته الهلاك فهو تهلكة»[1]. واحتراما من الإسلام للمؤمنين به جعل المعيار نابعا من داخل المؤمن. عن النواس ابن سمعان الأنصارى قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم. فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»[2]. وهذا المعيار من المسلم السوى الذى يتسم بالموضوعية والحياد، وقلبه خال من الأمراض العقدية والنفسية - دليل على ثقة الإسلام فى من آمن به.

ولما كانت التربية عملية موجهة لصالح المجتمع، تخدمه، وتقدم الحلول للمشكلات التى يعانيها- فإن الأمراض الخلقية، والآفات القيمية يتحتم أن توضع فى سلم الأولويات، بل وتحدد القيم التى يتم تضمينها فى المنهج المدرسى، بهدف تنميتها لدى النشء. ومجال المناهج واسع يمكن أن يستوعب القيم المستهدفة ويكون هذا التوجيه علميا إذا وزع على المواد الدراسية من قبل واضعى المناهج، ناهيك عن المؤسسات التربوية الأخرى.

وحين أمر الإسلام بالالتزام بالقيم الخلقية - وهى قيم تتطلب المجاهدة وحمل النفس على عدم الخروج عنها - طمأن الملتزمين بها على أن الله معهم، يعينهم، ويؤازرهم، ويحمى مصالحهم. ففى باب الوفاء بالعهد «حدثنا حذيفة بن

(١) أبو منصور إسماعيل الثعالبى النيسابورى، كتاب فقه اللغة وسر العربية، ص ٢.
(٢) صحيح مسلم، جـ٤، ص ١٩٨٠.

اليمان، قال: ما منعنى أن أشهد بدرا إلا أنى خرجت أنا وأبى حسيل. قال: فأخذنا كفار قريش. قالوا: أنكم تريدون محمدا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر. فقال: انصرفا، نفى لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم[1]».

وقد أكد القرآن الكريم أن الله وراء من يلتزم بشريعته، مهما التبست الأمور، واختلط الحابل بالنابل وذلك ليشجع ضعاف الإيمان، ويزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم، حتى فى مجال إنهاء القتال، والشروع فى السلم ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦١، ٦٢]. فالسلم قيمة ثابتة، وهو الأصل، أما الحرب فهى طارئة، ومع هذا - والعلاقات بين المسلمين وعدوهم لم تستقر بعد- فالمسلمون مطالبون بالسلم، والله هو الكافى.

ان الخلق الفاضل ترجمته السلوك، وعائده لا يعود على الفرد وحده، وإنما يعود على المجتمع ككل. وهو سمة حضارية، وأداة التقدم الحقيقى، وصمام أمان لبقاء القوة، واستمرار الحياة، بشكل يليق بكرامة الإنسان. والاختلال فى القيم مدعاة للخلل فى المجتمع، لأنه يهزه، ويصرفه عن مجال العمل والإنتاج، وبل وتشيع فيه روح الفرقة والانقسام، ويضيع فيه جهد الأمة، ويفرغها من نعمة الأمن والأمان. وفى مقدمة هذه القيم قيمة الأمانة، لأنها تدخل فى كل نشاط إنسانى فهى ثقيلة وعبؤها كبير ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٢].

أن الأمانة هى أهم القيم الإنسانية السوية والإسلامية، بشقيها المادى والمعنوى، وهى تسرى فى كل معاملات الناس وحياتهم: فى العلم، والفن،

---

(١) صحيح مسلم، جـ٣، ص ١٤١٤.

والأدب، والعمل وهى بهذا الاعتبار جديرة بأن تمارس عمليا، يراها النشء رأى العين بعيدا عن الخطابة والوعظ، لأن العمل خير معلم. وكم من مواقف استخدم الوعظ والتوجيه بالقول فيها، ثم لم يحققا ما حققه الفعل والممارسة!!

من هنا فإن التربية الخلقية يتم الاطمئنان إلى تنميتها لدى النشء، إذا عاش هذا النشء فى جو يرتبط فيه القول بالعمل، حتى لو التزم البعض من المحيطين به الصمت، وكانت أفعالهم محمودة، ويتجلى ذلك بصورة أساسية فى البيت والمدرسة، إذ هما الوسطان التربويان اللذان يملكان قوة التأثير على الطفل، ولذلك فإن هدف الرسالات السماوية فى معظمها ركزت على الجانب الخلقى. يقول ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وعندما سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن» بمعنى أن ما جاء فى القرآن متصلا بالخلق، كان مطبقا تطبيقا أمينا فى رسول الله ﷺ، فى بيته، ومع أصحابه: سلماً أو حرباً.

ويأتى التأكيد على ضرورة تقديم القيم الخلقية، وتعويد النشء عليها، بل وترسيخها لدى هذا النشء من جهات خمس هى:

الأولى: إن لها قوة التأثير على كل مناحى الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية والنفسية والسياسية، بل إنها الموجه الأساسى للإنسان، من حيث كونه إنسانا(فى تصرفاته الحياتية) مستقبلا.

الثانية: أن تواجد القيم لدى شريحة من الناس كفيل بضمان الحقوق، والحفاظ عليها لأصحابها، بل وردها إليهم. فالحق -كقيمة- فوق القوة، مهما كانت سطوتها.

الثالثة: أن هذه القيم - خاصة القيم الثابتة منها- مصدرها الأديان السماوية، لاسيما القرآن الكريم والسنة النبوية. وبالتالى فإن الإلزام بها يلقى قبولا وترحيبا لدى الإنسان الفطرى، لأنها من الله. أما القيم التى يختلقها الأفراد، ويحبون أن يفرضوها على من حولهم فإنها تواجه

-أحيانا- بالامتعاض، وعدم استمرار الالتزام بها، بل ورفضها نهائيا.

الرابعة: أن الحق مكروه من غالبية الناس، يدل عليه قوله تعالى: ﴿**بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾ [المؤمنون: ٧٠]. وكراهية الحق تقلب موازين القيم فالمساواة تنقلب إلى محسوبية، والعدل يصير إلى محاباة.. وهكذا فى بقية القيم.

الخامسة: أن القيم - وهى معايير ترتبط بسلوكنا إزاء موضوعات معينة، ونحن فى العالم العربى لنا قيمنا الروحية والأخلاقية والدينية - ليس من السهل اطلاقا التخلص منها، أو التنازل عنها[١].

ويبدو أن وجود القيم الخلقية المتغيرة - ان صح الحكم عليها بأنها قيم - وقبول شريحة من الناس لها يخضع لثلاثة أسباب هى:

الأول: إذا استشعر الفرد، أو الجماعة القوة. وأصبح فى الإمكان فرض القيم الكفيلة بتحقيق هدف معين، يلبى احتياجاتها، ومطالبها، انطلاقا من الآية الكريمة ﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾**﴾ [العلق: ٦، ٧]. إذ الطغيان لا يأبه بقيم، ولا يهتم بشرع، ولا يخضع لقانون. وتشمل القوة، قوة المال، وقوة النفوذ والسلطان، وقوة العلم، وما يصاحبه من إنجازات حضارية، يقف الإنسان أمامها حائراً.

الثانى: طغيان المادة، وغياب أثر الدين، الذى يحفظ للإنسان وللمجتمع توازنه القيمى، ومفاجأة الطفرات الاقتصادية والاجتماعية، التى يتمخض عنها فراغ قيمى، يؤدى إلى إحلال قيم غير مرغوب فيها.

---

(١) أحمد زكى صالح، الأسس النفسية للتعليم الثانوى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٢، ص ٣٣٢.

الثالث: اختلاف مصدر هذه القيم والتى تختلف باختلاف الثقافات، فهناك من يرى أن الفرد هو المصدر والبعض الآخر يرجعها إلى الإحساس الشخصى، ويعتبره معيار الحكم على الأشياء، وتحديد الخطأ والصواب بينما يرى آخرون أن المجتمع هو مصدرها، فهو يخلقها، وعلى الأفراد أن يلتزموا بها، طالما أن المجتمع ارتضاها لنفسه، كما يرى آخرون أن القانون الطبيعى هو الذى يتمشى مع طبيعة الأشياء، ويتفق مع العقل والمنطق، فالحق حق، والعدل عدل، لأن الحياة لا تستقيم إلا بهما، وهناك من يرى أن سعى الإنسانية للكمال هو المنبع الأساسى للقيم[١].

وهناك علاقة بين القيم والاتجاه، وعلاقة بين الاتجاه والميل، فأما علاقة القيم بالاتجاه فتذكر فى الموافقة، أو المعارضة لموضوع الاتجاه، وخضوع ذلك للقيم والمعايير السائدة، أما بالنسبة لعلاقة الاتجاه بالميل، فإن الميل يتعلق بنواح ذاتية شخصية، ليست محل خلاف أو نقاش، كأن يميل الفرد لنوع معين من أنواع اللحوم.. أما إذا كانت هذه النواحى تتعلق بأمور اجتماعية، يدور حولها خلاف أو نقاش، وتساؤلات كانت احتجاجات الأفراد بشأنها اتجاها[٢].

ويحد القيمة فى الإسلام بعدان أساسيان هما: الواقعية والمثالية، فالقصاص قيمة اجتماعية واقعية تشفى غليل أهل القتيل، وهى قيمة مطلوبة ولا يعاقب من يطالب بها، بينما العفو من أهل القتيل قيمة مثالية، وفيها تسام بالإنسان المسلم، ينطلق من إيمان عميق بالله، يطمئن إلى أن ما عند الله خير وأبقى، وكذلك اهتمام الإنسان بنفسه بعد واقعى، يؤكده الرسول ﷺ فى قوله: «ابدأ بنفسك، ثم بمن تعول». فإذا تسامى هذا الإنسان إلى إيثار غيره عليه، وصل إلى البعد

---

(١) محمد منير مرسى: فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣، ص ٧٥.

(٢) محمود السيد أبو النيل: علم النفس الاجتماعى، جـ٢، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٥، ص ٤٥٤.

المثالى، وهو ما يؤكده القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وقد حدد مجمع اللغة العربية[١] القيمة من حق وخير وجمال تكون:

أ -صفة عينية كافية فى طيبة الأقوال «فى المعرفة» والأفعال «فى الأخلاق» والأشياء «فى الفنون». وما دامت كافية فى طبيعتها فهى ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والملابسات، وبهذا قال المثاليون العقليون.

ب- صفة يخلعها العقل على الأقوال والأفعال والأشياء طبقا للظروف والملابسات، وبالتالى تختلف باختلاف من يصدر الحكم، وبهذا قال الطبيعيون من الحسيين والوضعيين والبراجماتيين.. ومن إليهم.

ويقصد بالقيم فى معناها العام بأنها: مجموعة قوانين ومقاييس تنبثق من جماعة ما، وتكون بمثابة موجهات للحكم على الأعمال والممارسات المادية والمعنوية، ولها القوة والتأثير على الجماعة، بما لها من صفة الضرورة والإلزام والعمومية، وأى خروج عليها، أو انحراف عنها، يصبح بمثابة خروج عن أهداف الجماعة ومثلها العليا[٢]، ومعنى هذا أن مفهوم القيم يختلف باختلاف المجتمعات.

ويطلق لفظ القيمة فى علم الأخلاق على ما يدل عليه لفظ الخير، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما تضمنه من خيرية، فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائبة للخير أكمل، كانت قيمة الفعل أكبر، وتسمى الصور الغائبة المرتسمة على صفحات الذهن بالقيم المثالية، وهى الأصل الذى تبنى عليه أحكام القيم[٣].

وانطلاقا من أن العالم يميل الآن إلى التوحد، أو إلى إيجاد لغة مشتركة، تفتح الباب إلى فهم مشترك فقد ورد فى إحدى نشرات اليونسكو (منظمة الأمم

---

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفى، القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص ١٥١.

(٢) لطفى بركات أحمد، القيم والتربية، الرياض: دار المريخ، ١٩٨٣، ص ٤.

(٣) جميل صليبا، المعجم الفلسفى، جـ٢، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٤م، ص ٢١٣.

المتحدة للتربية والعلوم الثقافية) أن «القيم هى مجموعة اعتقادات راسخة، بأن سلوكا محددا، أو نتائج معينة تشكل على الصعيد الشخصى، أو الاجتماعى حلولا أفضل من السلوك والنتائج المغايرة. ونظام القيم هو ترتيب المثل والقيم حسب سلم الأولوية، والأهمية، وبمقدار ما يزداد عدد المقتنعين بقيمة ما، يزداد الطلب الاجتماعى، والوجوب الخلقى الناجم عن هذه القيمة. وغالبا ما تشكل القيم بوادر تسبق الأنماط السلوكية، وتعلن عنها[1].

ويشترط لهذه القيم - خاصة الفطرية منها - العمومية بحيث لا تمثل أدنى خلاف، مثل: الحق، الخير، الجمال، الأمانة، الصدق، وكذلك الثبات، والاستقرار فى كل المواقف، مثل: إتقان العمل، والشورى والعدالة والمساواة. ولعل مما يميز الإسلام أنه دين القيم، وشريعته مبنية على الخلق العظيم، انطلاقا من قول الحق سبحانه لرسوله ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

العائد من ترسيخ القيم:

القيم الفاضلة هى الحياة برمتها، والدليل على ذلك أن الحياة إذا شاع فيها: الخيانة، والكذب، والغدر، والنفاق، والتضليل، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان.. إلى آخر القيم (غير التربوية) فإن الحياة لا يمكن أن تطاق، إذ أنها تفقد مذاقها، والهدف منها، من هنا فإن العائد من تواجد القيم الفاضلة، ربما يظهر فيما يلى:

١- تدفع الفرد إلى إتقان العمل، تحت أى ظرف من الظروف لأن رصيده من القيم يحميه من التهاون فى العمل ويبعده عن ممارسته، كيفما اتفق، والقيم هنا تمثل الصخرة التى يتحطم أمامها، كل أسباب العجز والإحباط، ومعروف أن الحياة تنمو وتزدهر، بجودة العمل وإتقانه.

---

(١) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم، والثقافة، النشرة الإعلامية لبرنامج اليونسكو، جـ١١، ع٣، ١٩٨٦، ص ٢.

٢- تحمى الفرد من بعض الأمراض النفسية، التى قد تصيبه فى مشوار حياته، سواء أكانت من ذاته. أم من الآخرين، وتقدم له الخلفية الأساسية لفهم ما يجرى من حوله، وفهم الحياة فهما صحيحا، هو جزء من النجاح، ومعظم الآفات النفسية وراءها اختراق للقيم الأصيلة، وبعد عما تعارف عليه الناس من مبادىء وأخلاق.

٣- تفتح الباب أمام المكاسب المناسبة والسريعة، أيا كانت هذه المكاسب: مادية أم معنوية لأن الالتزام بالقيم مدعاة إلى تحقيق المكاسب الشخصية، والصفقات المربحة، فضلا عن كسب الأصدقاء، والأعداء على السواء. «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة»[1].

٤- تحدد القيم المثل العليا للمجتمع، وتضع له أهدافه، وتحفظ له تماسكه عن طريق المبادىء الثابتة المستقرة إلى جانب إعطاء العالم مؤشرات التعامل معه، والمعايير التى تحكمه.

٥- توفر الثقة بين المتعاملين: أفرادا، كانوا أم جماعات، الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى توسيع العلاقات وربما تنتهى إلى الحب.

٦- يشعر الإنسان بإنسانيته وترقى به إلى المستويات التى لا تتحقق إلا بين بنى البشر.

٧- تدفع الفرد لأن يضحى فى سبيلها، ويزود عنها بكل ما أوتى من قوة، وهكذا معالى الأمور تجند لها الأعوان والمساندون.

٨- تجعل للحياة معنى وقيمة لأنها الباقية، والأشخاص زائلون. الخير فِىَّ وفى أمتى إلى يوم القيامة. وتتناسب القيم مع طالب المرحلة الثانوية من حيث نموه، وقدرته على فهمها، والتشبع بها، بل والتشيع لها، واستقطاب الغير

إليها، حتى الدفاع عنها، لأنه لم يلوث بعد، ولم تداخل فطرته المؤثرات النفعية والمصالح الشخصية.

مجالات القيم:

لا يوجد مجتمع إنسانى خال من القيم، ولا قيم بدون مجتمع إنسانى، فكلاهما ملازم للآخر، من هنا فإن القيم تشمل كل المناشط الإنسانية، ولعل من أهم القيم الإسلامية قيمة الإيمان، وما يشتق من مادتها مثل: الأمانة والإيمان، والأمان، والأمن ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: ٣، ٤]. ويفسر البعض هاتين الآيتين بأن عبادة الله الواحد الأحد واجبة، لأنه سبحانه وفر للناس حاجتين أساسيتين لا غنى عنها. هما: الطعام- وهى حاجة بيولوجية لا حياة للإنسان بدونها وحاجة الأمن -وهى حاجة نفسية- لا طعم للحياة بدونها.

ونظراً لقيمة الأمن من أهمية، ومن تداخلها فى كل الأنشطة الإنسانية، فإنما نسمع هذه العبارات: الأمن الغذائى، الأمن العلمى، الأمن الأدبى، الأمن الفنى، الأمن الثقافى، الأمن الاقتصادى، الأمن التربوى، من هنا تناول الدارسون موضوع القيم من جهات شتى، وان كانت داخلة فى الإطار العام لقيم المجتمع، وقد تم تصنيف القيم إلى قيم اجتماعية، وقيم اقتصادية، وهما متداخلان يصعب فصل بعضهما عن البعض الآخر، وقيم سياسية، وقيم دينية، وهما متداخلان أيضا، فقيمة الشورى، قيمة اجتماعية، سياسية، اقتصادية، عسكرية، دينية، وهناك القيم الجمالية، مثل التناسق، التكرار، النظام، والدقة، وهناك قيم علمية، مثل: الأمانة وملكية الفكر، وهناك القيم الأدبية مثل: حرية التعبير، المقيدة بقيم المجتمع وعقيدته، وهناك القيم العقدية مثل: قيمة الإيمان وقيمة التأمل والنظر فى إبداع الكون، وهذه القيم المختلفة، وفى مجالاتها المتعددة، تمثل النسيج الأساسى للمجتمع، التى تحفظ له تماسكه، وانسجامه.

كيف تنمو القيم؟

تنمو القيم، وتتأصل من خلال مراحل العمر المختلفة، وعند الاحتكاك بمن نتعامل معه من الناس، وما يحيط بنا. وتكتسب بمرور الأيام متانة وصلابة، إلى أن تصبح موجها للفرد فى حياته، لكنها لا تكتسب بين يوم وليلة، بل تأخذ وقتا ما، بدءا من معايشة الخبرة وانتهاء بالتشبع بها، إلى أن تصير قيمة يلتزم بها، بعد تجربة واقتناع.

ولعل أول من يضع البداية الأولى للقيم للإنسان أسرته الصغيرة، التى تتمركز فى البداية فى الأم والأب وينضم إليهما الأخوة والأخوات والأقارب والجيران، باعتبارهم أكثر التصاقا بالطفل، وينقل تلك القيم عن طريق المحاكاة والتقليد، وأغلب الظن أنها ليست مفهومة من الطفل، ولكن يغلب عليها طابع العادة وهذا ما تطمع إليه التربية، أن تكون القيم فى صورة عادة يمارسها الفرد طواعية واختياراً، وبتلقائية ومع الوقت يتم فهمها، إما بالتأصيل، أو التعديل، أو التوجيه.

ومن هنا كانت العناية فى الزواج مركزة فى البداية، على حسن اختيار الشريك من قبل الطرفين، كما جاء فى الحديث الشريف: «إذا أتاكم من ترضون دينه فزوجوه»، وروى البخارى ومسلم، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولنسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»، لأنها بصفة الدين أمينة فى الحفاظ على ماله، وأمينة فى تربية أولاده، وترى أن زاد القيم لا يقل أهمية عن زاد الفم، فهما وجهان لعملة واحدة هى الإنسان المسلم القوى، القوى فى قيمه، والقوى فى جسمه.

وتسهم المدرسة فى تنمية القيم لدى المتعلم. إما عن طريق المنهج المدرسى، وإما عن طريق الأبعاد الأخرى التى ترتبط بهذا المنهج، أيا كان هذا المنهج، سواء أكان منهج تربية إسلامية، أم منهج علوم، أم رياضيات، وهذه المناهج، إما أن ينص فيها صراحة على القيم مثل منهج التربية الإسلامية،

ويتضمن - ضمن ما يتضمن - قيم العقيدة الإسلامية، والقيم المستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وصفات الرسل مثل: الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة، إلى جانب القيم المستنبطة من القصص القرآنى، والتى تدعو إلى مكارم الأخلاق، وإما أن تكون هذه القيم المستنبطة من القصص القرآنى، والتى تدعو إلى مكارم الأخلاق، وإما أن تكون هذه القيم مقدمة بصورة ليست منصوصة عليها، بل هى محملة على المواقف التى تتم بطريق مخطط لها مثل القيم المحملة فى طريقة التدريس، أو فى الوسيلة التعليمية، أو فى النشاط المدرسى، أو فى الاختبارات التى تجرى فى المدرسة، هذا فضلا عن المواقف التى تتم فجأة وبطريقة عشوائية ولكن يراعى فيها جانب الخلق الكريم، انطلاقا من المسئولية التربوية التى تحتم على من يعمل فى الميدان أن يكون ملتزما، ومصدرا لكل سلوك قويم. ومعلوم أن هذا السلوك القويم، هو الذى يتسق مع المرحلة العمرية، وبالمستوى الذى ينسجم مع الرصيد الخبرى للمتعلم، ويمكن تغيير القيم عن طريق توجيه العلاقات الوجدانية «الانفعالية والعاطفية» سواء نحو الأشخاص، أو نحو الأشياء باستخدام أساليب المدح والتشجيع واللوم والتأنيب، وأيضا عن طريق التوجيه إلى سلوكيات أخرى، لاعتبارها أكثر فائدة، وأكثر تقبلا.

وتعمل الإدارة المدرسية على دعم قيم الحق والخير والجمال، عن طريق مدير المدرسة، الذى يمكنه أن يحقق أهداف العمل التربوى داخل المدرسة، على الوجه الأكمل، الأمر الذى يتطلب أن يكون اختياره تمكنه من الإشراف الكامل على مجريات الأمور فى المدرسة فضلا عن قدرته على تكوين علاقات طيبة، وفاعلة مع المؤسسات الاجتماعية خارج المدرسة لكى يضمن توظيفها فى خدمة العملية التعليمية[1].

---

(١) وزارة التربية والتعليم، مؤتمر تطوير مناهج التعليم الابتدائى، مرجع سابق، ص ٥٠.

وتسهم جماعة الأصدقاء فى تبادل القيم، وانتقالها بطريقة مؤثرة، وقد ترسخ لدى البعض، لأن تأثير الند فى الند من أقوى المؤثرات، التى تكتسب بعداً تطبيقيا فى سلوكيات الآخرين؛ إذ أن احتكاك الإنسان بأصدقائه يكسبه معاييرهم، وقيمهم، ويتأثر بهم، ويزداد عدد الأصدقاء بالتقدم فى العمر، وقد تزيد القيم بزيادة الأصدقاء.

ونظراً لقوة تأثير الصحبة على الإنسان، فإن أحد الآباء لما حضرته الوفاة أوصى أبنه بقوله: يا بنى.. إذا أردت صحبة إنسان، فاصحب من اذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإذا قعدت بك مؤنة مانك (أى احتمل مؤنتك، وقام بكفايتك). اصحب من إذا مددت يدك للخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وأن رأى منك سيئة سدها، اصحب من إذا قلت صدق قولك، وان حاولت أمراً أعانك ونصرك، وإن تنازعتما فى شىء آثرك.

قال على -رضي الله عنه- رجزا:

ان أخـاك الحق من كان معك   ومــن يضـر نفسـه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك   شتت فيك شمله ليجمعك[1]

وقال ﷺ : «ما اصطحب اثنان قط، إلا وكان أحبهما إلى الله تعالى أرفقهما بصاحبه» وفى رواية أخرى ما تحاب اثنان فى الله، إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه[2]». ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له.

وتسهم دور العبادة -ومنها المسجد- فى تعديل بعض القيم، أو إنمائها، لأن المسجد يستوجب الصلاة فيه، ليكون المسلمون -دائما- متذكرين عظمة العلى الأعلى فيتبعون أوامره ونواهيه ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وجعل أفضل الصلاة ماكان جماعة،

(١) محمد الحجار، بداية الهداية، دمشق: دار التراث العربى، د.ت، ص ١٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٨.

ليذكر المسلمون بعضهم بعضا فى شئونهم واحتياجاتهم، ويقووا روابط الألفة والاتحاد بينهم[(١)].

ويسهم المسجد فى تنمية القيم لدى الطلاب، وذلك من خلال خطبة الجمعة التى لها صفة التكرار والاستمرارية، وهى إلى جانب الوعظ والإرشاد، تدعو إلى التعلم، وربط الشريعة بالحياة وتوظيف ما تدعو إليه الخطبة فى المجالات المختلفة، وهذه الخطبة لها قوة التأثير من جهة الثقة فى مصدرها: واحدا كان أو أكثر.

وهذه المصادر -بخطبائها المختلفين- نبعها واحد وهو الشريعة الإسلامية، والتأثير ان لم يجد طريقة إلى سلوك الفرد ساعتها- فلن يغيب عن وجدان هذا الفرد غدا، وهذا هو المنطق الطبيعى فى التعامل مع القيم.

ولعل من المناسب عرض الأهداف التى تتوخاها خطبة الجمعة، وما فى مستواها، وهى:

١- تفقيه المسلمين، وزيادة الوعى الدينى لديهم وتعليمهم حقائق دينهم من كتاب الله وسنة نبيه، مع العناية بسلامة العقيدة من الخرافات وسلامة العبادة من البدع وسلامة الأخلاق والآداب من الشطط والانحراف.

٢- الوعظ والتذكير بالله واليوم الآخر، وبالمعانى التى تحمى بها القلوب والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.

٣- تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، ورد الشبهات والأباطيل، التى يثيرها خصومه، لبلبلة الأذهان، بأسلوب مقنع حكيم، بعيداً عن المهاترة، والسباب، ومواجهة الأفكار الهدامة، بتقديم الإسلام الصحيح.

---

(١) محمد الخضرى بك، نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦، ص ٥٨

٤- ربط الخطبة بالحياة، وبالواقع الذى يعيشه الناس، وتقديم الحلول لمشكلات هذا الواقع على ضوء الشريعة الإسلامية.

٥- استغلال المناسبات الإسلامية لتشويق المستمعين إلى المعارف، التى تجدد حياتهم وتدعو على الطريق القويم.

٦- تثبيت معنى الأخوة فى الإسلام، ووحدته الكبرى، ومحاربة النزاعات والعصبيات العنصرية والمذهبية، وغيرها.

٧- إحياء روح الجهاد فى نفوس الأمة، وإشعال جذوة الحماس، لحماية حرمات الإسلام، ومقدساته وأوطانه.

٨- البعد عن الدعاية والإعلان، لأن الخطبة لله ولدينه، وتبليغ دعوته ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن: ١٨].

وهناك لون آخر يتم فى المسجد، وهو حلقات العلم المختلفة التى تنعقد فى ساحة المسجد، وفيها تتاح الفرصة لكل راغب فى العلم أن يسأل عما يعن له، أو يعانيه، بدون حرج، انطلاقا من تجانس الحاضرين فى الهدف، ومن القاعدة الشرعية التى تؤكد: أنه لا حياء فى الدين. وإلى جانب ذلك توجد المصاحف، ومكتبة المسجد -مهما كان وزنها- التى تسمح للمصلين باستغلال وقته فى القراءة، والبحث عما يريد من حل لمشكلاته التى يستنكف من طرحها أمام الغير. وقد تؤدى هذه القراءة إلى تنمية قيمة ما. ولا يخفى أن تواجد المصلين فى مكان واحد يتيح الفرصة، لأن يتعلم الكل من الكل.

وتسهم وسائل الإعلام المتعددة فى غرس القيم، وإنمائها سواء المقروءة منها أو المسموعة، أو المرئية وتقف الأخيرة فى موقف الصدارة بين الوسائل الأخرى، لأنها تستقطب شريحة كبيرة من المشاهدين، ولأنها تخاطب أكثر من حاسة لدى الإنسان، فتأثيرها -ان شئت القول- مضاعف، وعند الصغير والكبير على السواء.

وتشير بعض الدراسات إلى أن التليفزيون يؤثر على قيم الطفل، فمشاهدته الدائمة لأحداث الجريمة والقسوة قد تخدش -بمرور الوقت- أحاسيسه، وتؤثر فى قيمه، وتجعله يتقبل سلوك العنف، كجزء من حياته الطبيعية المستقبلية، وقد ينمو الطفل محبا للعنف، عندما يعتقد أن العنف وسيلة مقبولة فى العلاقات الاجتماعية[١].

ويبدو أن المعول الأساسى فى التحكم فى القيم -إلى حد ما- هو الأسرة، ودورها فى التوجيه الأسرى، إلى جانب قدرتها على الإسهام إلى حد كبير فى صنع طالب متزن نفسيا واجتماعيا، من خلال ما تقوم به من ملاحظة تامة، ورعاية شاملة لسلوكيات أولادها نظراً لأمانة هذه الملاحظة، وتوجيهها إلى العلاج الصحيح. وتشترك وسائل الإعلام المسموعة، والمكتوبة فى تقديم بعض القيم، وتزويد القارىء والمستمع بها، خاصة إذا كان مصدر المادة المسموعة والمقروءة ممن يوثق فيهم، الأمر الذى يفرض رقابة تامة على تلك المادة، وتوجيهها إلى ما فيه مصلحة الوطن والمواطن.

وأيا كان الأمر فإن الحفاظ على القيم الفاضلة وتنميتها مسئولية الكل، لأن عائدها لا يقف عند حد الفرد، بل يتعداه إلى الكل.

ولعل طالب المرحلة الثانوية أقرب الشرائح العمرية للاستجابة للقيم الخلقية الفاضلة، لأنها تتمشى مع طبيعته، ويمكن اكتسابها وتنميتها عن طريق الممارسة العملية، الأمر الذى يمكنه فى ضوء الأحكام الموضوعية، وبطريقة تدريجية إلى استنتاج المعايير القيمية، وعلى المربين ألا يضيعوا الفرص التى تسمح لهذا الطالب باختيار الموضوعات المناسبة للتربية الخلقية، بهدف إعادة بناء قيمه وشخصيته. «واكتساب المراهق قيم الولاء، والصدق، والتعاون، والمشاركة، والأمانة والجمال، والتثقيف واحترام الذات، واحترام الغير..هو الضمان الوحيد لمساعدة المجتمع الكبير على ما فيه من صراع قيمى نتيجة للفترة العبورية التى يمر بها»[٢].

---

(١) وزارة المعارف «ألف باء العنف»، المعرفة، العدد ٥٢، رجب ١٤٢٠هـ/ أكتوبر ١٩٩٩م، ص ١٦.
(٢) أحمد زكى صالح، مرجع سابق، ص ٣٣٢.

ويمكن اختيار القيم التالية كنماذج يرجى من المنهج تأكيدها وتأصيلها، وهى:

أولاً- تربية علو الهمة:

جاء فى المعجم الوسيط فى معنى العلو أنه الرفعة والعظمة، وفى معنى الهمة أنها ما هم به من أمر ليفعل. والهمة فى الاصطلاح توجيه القلب، وقصده بجميع قواه الروحانية، إلى جانب الحق، لحصول الكمال له، أو لغيره، وهى مرادفة للحماسة والحمية والمروءة[١]. والمروءة هى: مراعاة الأحوال إلى أن تكون النفس على أفضالها، حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق. ويرى الماوردى[٢]: أن الداعى لها أمران هما: علو الهمة، وشرف النفس، ويرمى ذلك أن علو الهمة يعنى أن ما يقوم به الإنسان من قول أو فعل ينبغى أن يكون أمراً رفيعا عالى المستوى، يتسق مع كرامة الإنسان، ولا يهبط إلى سفاسف الأمور وصغارها، لأن ذلك أدعى إلى احترام الشخصية، ووضعها فى المكان المشرف، وقد قال رسول الله ﷺ: «أن الله تعالى يحب معالى الأمور، ويكره سفاسفها».

وتستهدف تربية علو الهمة أن يتعود النشء على التطلع إلى ما يسمو بالإنسان، مما يجعله سيدا فى قومه، مناط الأمل، ومضرب المثل، تتعاون فى ذلك الأسرة، مع المدرسة، مع المجتمع، ليس بالوعظ والإرشاد وإصدار التعليمات، ولكن بالسلوك والعمل من قبل من يحيطون به، على الأقل فى المراحل الأولى، والمبكرة من حياته، إذ بعد ذلك يستطيع أن يشكل نفسه بالقراءة والاحتكاك بالغير وتكوين خبرة شخصية لها تميزها، لتكون المحصلة لتلك التربية أن يربأ بنفسه عن صغائر الأمور، وينأى بها عن خدش كرامتها، أو التقليل من شأنها، أو التدنى لمستوى لا يقبله الإنسان السوى، إذ لابد لطالب العلم من الهمة العالية فى العلم، فإن المرء يطير بهمته كالطير يطير بجناحيه.

---

(١) جميل صليبا، المعجم الفلسفى، جـ٢، مرجع سابق، ص ٥٢٣.

(٢) أبو الحسن الماوردى، أدب الدنيا والدين (تحقيق: مصطفى السقا)، ط٤، القاهرة: مطبعة الحلبى، ١٩٧٣، ص ٣٠٣، ٣٠٧.

وتلعب القصص دورا مؤثرا فى تعليم النشء تلك القيمة ولعل من ذلك القصة التالية:

أرسل أحد التجار ولده فى تجارة، فرأى فى طريقه ثعلبا طريحا يتلوى من الجوع، فقال: من أين يتغذى هذا الحيوان الجائع، وإذا بأسد يحمل فريسته، فانزوى الولد، وهو يرتعد من الخوف من هذا المنظر، ثم راقب الأسد حتى أخذ حظه من الأكل، وترك بقية فريسته، لا خير فيها، ومضى ذلك الأسد إلى حاله، فقام الثعلب وأكل من فضلة الأسد، فأراد الولد أن يقتدى بالثعلب ورجع إلى أبيه، وأخبره بما رأى، فقال له والده: إنك مخطىء يا بنى، لأنى أرجو أن تكون أسدا تأكل الثعالب ما أبقيت، ويسوؤنى أن تكون ثعلبا تأكل من بقايا الأسود، وتشرب من سؤرها، ورده عن خطئه، وقال:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فكل طالب فى الناس أعلى المراتب

ولعل من الأدب النبوى متصلا بتربية علو الهمة، مايلى:

١- الإصرار على العمل ومحاولة الكسب، لإغناء الفرد نفسه بنفسه، عن طريق تنمية هذا العمل، وتكوين مهارة عالية فيه، تجعله يستغنى عن الآخرين مهما كانت نوعيته. عن أبى هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره، فيتصدق به، ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا، أعطاه أو منعه ذلك. فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»[1]. ولن تتأتى اليد العليا إلا إذا صاحبها تطلع إلى أعلى، ويقف وراء هذا التطلع همة عالية ونفس طموحة، ومهارة متخصصة، لأن الإسلام يكره مسألة الناس.

ويلاحظ أن هناك اتجاها من بعض الشباب يستنكف العمل بأجور أقل مما يتوقع فى ظل زيادة البطالة، وعدم قدرة سوق العمل على استيعاب كل

(١) صحيح مسلم، جـ٢، ص ٧٢١.

الخريجين. ويفضل البقاء بدون عمل، لأن ذلك أحسن من وجهة نظره، وهذه مخالفة تربوية، يرفضها العقل، ولا يقبلها الدين. فمن يستعفف يعفه الله. ومن يستغن يغنه الله. ومن يصبر يصبره الله. وما أعطى أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر[١]. لأن عدم العمل إهدار لطاقة يمكن أن تعطى عائدا للمجتمع، فضلا عن شغل أوقات العامل.

وليس معنى ذلك القبول بالتدنى من العامل، وإنما توجيه تلك الطاقة فى عمل ما إلى أن يتيسر ما يتفق وخبرة هذا العامل، والظروف تقدر بقدرها وصاحب الحاجة أولى أن يكفى نفسه بنفسه. لأن معظم الناس فى أعمالهم يبدأون صغارا والأيام كفيلة برفع مستواهم فيما بعد.

٢- عدم تراجع الإنسان عما أقدم عليه من معروف أو خير، أو صدقة، لأن ذلك يتعارض مع علو الهمة، ويصاحب ذلك استبعاد جانب المن والأذى ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]. وقوله ﷺ: «إنما مثل الذى يتصدق بصدقة، ثم يعود فى صدقته، كمثل الكلب يقىء، ثم يأكل قيأه»[٢]. وفى هذا ترفيع للإنسان وحمايته من التدنى.

٣- الاستمرار فى العمل بجدية، لمزيد من الكسب، ولمزيد من إضافة للعائد منه، طالما كان ذلك فى مقدور الإنسان، وما شرع المعاش إلا لفتح الباب أمام الذين يقفون فى طابور الوظيفة، و إذ أنه بمثابة عملية إحلال وتجديد، كتلك التى تتم للآلة، أمام الذين يعشقون العمل، ويحبون ممارسته، فلا يأبهون للسن ولا يلتزمون بالمعاش. ولعل هذا المعنى هو الذى يرمى إليه الحديث الشريف «إنك ان تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون

---

(١) صحيح مسلم، جـ٢، ص ٧٢٩.
(١) صحيح مسلم، جـ٣، ص ١٢٤١.

الناس، ولست تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا وأجرت بها»[١]. وما ترك العامل الوظيفة وراء ظهره إلا وقد حقق ثروة طائلة له ولأولاده من بعده - غالبا. وكثرة الإنجاز فى هذه الحياة دليل على علو الهمة، ورفض الركون للواقع.

٤- استبعاد روح الأنانية، وتخطى نفع الذات إلى نفع الآخرين، وإشاعة المودة والأخوة بين الناس، قال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له»[٢].

ويمكن القول أن تربية علو الهمة تحقق مايلى:

أ - رفع مستوى الأفراد والجماعات عن طريق تطلعها إلى الأعلى فى كل مناشط الحياة من علم أو فن أو أدب.

ب- تجنيب الناس معظم المشاكل التى يمكن أن تنشأ من الأشياء الصغيرة، فمعظم النار من مستصغر الشرر.

جـ- زيادة روح التماسك الاجتماعى عن طريق المسارعة فى تقديم النفع والمصلحة للآخرين.

د - شعور الإنسان بإنسانيته وبأنه أكرم خلق الله، إذ التكريم لا يتم إلا، إذا مارس ما يليق بإنسانيته.

هـ- الجد والمواظبة، والملازمة لطلب العلم، إليه أشار القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٥- طمأنة الإنسان - من قبل الله- عز وجل- على شيئين رئيسيين يشغلان باله بإلحاح هما: الرزق والأجل وهما مصدر الخوف والقلق فى هذه الحياة.

---

(١) صحيح مسلم، جـ٣، ص ١٢٥١.
(٢) صحيح مسلم، جـ٣، ص ٥٤.

وهذه الطمأنة أساسها أن يتمسك الإنسان بعزة نفسه، بحيث لا ينسى لهذه النفس علو همتها، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

ويفسر بعض الناس -إن لم يكن كلهم- الرزق، الممثل فى الأشياء العينية، سواء أكانت عقارا أم مالا إلا أن التفسير -كما يبدو- للرزق: أن كل نعمة أنعم الله بها على الإنسان: ظاهرة، أو باطنة، مرئية أو خفية، مادية أو معنوية، فى نفس الإنسان، أو خارجها، بالبيئة المحيطة به، أو بعيدة عنه- هى رزق.

ونظراً لأن هذه المسألة وهى: الرزق والأجل، لا يقف الناس فيها على معنى واحد، ولا يشعرون بهما بإحساس واحد- فقد جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ «اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجرى بالمقادير»[١]، كما رواه الطبرانى وأبو نعيم من حديث أبى أمامة «أن روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا فى الطلب» وفى لفظ «نفث فى روعى روح القدس أن نفسا لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب»[٢].

أن علو الهمة تعطى للإنسان الثقة بالنفس، والتعامل مع الناس من منطلق فهمه لذاته، ووضعها الموضع الذى يليق بها، مهما كانت الظروف. كان يزيد بن المهلب مسافراً بصحبة ابنه معاوية، فمر بامرأة بدوية، فاستضافتهما، وذبحت لهما عنزا، فلما أكلا، قال يزيد لابنه: ما معك من النفقة؟ قال: مائة دينار، فقال يزيد: أعطها اياها. فقال له ابنه: هذه امرأة فقيرة، يرضيها القليل، وهى لا تعرفك. فقال يزيد: ان كان يرضيها القليل، فأنا لا يرضينى إلا الكثير.. وان كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى.

(١) المقدسى، من الأحاديث المختارة «تحقيق: عبدالملك بن دهيش» ٩/ ٥١-٥٢ برقم ٢٨.
(٢) الحافظ بن حجر، مسند الفردوس، العجلون، كشف الخفاء (١/ ١٥) برقم ٣٩٩.

ويبدو أن هناك وجهة نظر أخرى فى تفسير النعمة. وهى باختصار: الأمن، والصحة والغنى، والشباب قال الحجاج لخريم الناعم: ما النعمة؟ قال: الأمن، فإنى رأيت الخائف لا يتمتع بعيش. قال له زدنى، قال: فالصحة، فإنى رأيت المريض لا ينتفع بعيش. قال له زدنى، قال: الغنى، فإنى رأيت الفقير لا ينتفع بعيش، قال له زدنى. قال: فالشباب، فإنى رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش. قال زدنى. قال: لا أجد مزيداً.

وتحدد سور قريش قمة النعم فى قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ٣، ٤].

ومعنى ذلك أن علو الهمة من الفضائل الإنسانية العالية، التى تتفق مع كرامة الإنسان، التى أكدها المولى سبحانه، الأمر الذى يلزم تعويد النشء عليها منذ الطفولة لتكون ملازمة له طول حياته.

تنمية علو الهامة:

علو الهمة عملية داخلية بحتة، لا تعرف إلا بالسلوك والعمل من خلال المواقف المختلفة. ولعل ما ينميها تلك الظواهر الآتية:

أ - توافر العناصر الإنسانية التى تبرز فيها تلك القيمة، ممثلة فى المواقف التلقائية، التى لا يحس فيها بشبهة التكلف. ومن هذه العناصر: المحيطين به من الأسرة، وبعض العاملين فى المدرسة، وبعض قيادات المجتمع، التى تمثل القدوة والمثل أمام الطالب.

ب-تقديم بعض النماذج المقروءة من التاريخ الإسلامى والخبرة الإنسانية التى تؤكد معنى هذه القيمة، ومن ذلك أن الخليفة المعتصم بلغه أن «امرأة هاشمية صاحت، وهى أسيرة فى أيدى الروم: وامعتصماه! فأجابها وهو جالس على سريره: لبيك لبيك! ونهض من ساعته، وصاح فى قصره: النفير النفير ثم ركب دابته، وجمع العساكر، وأقدم على الروم فهزمهم، وأمر بعمورية

فهدمت وأحرقت، وكانت نزوله عليها لست خلون من شهر رمضان، وأقام عليها خمسة وخمسين يوما، وفرق الأسرى على القواد وسار نحو طرسوس[(١)]، والمواقف الجادة المشرقة تنادى أصحاب الهمم العالية، بأن يرتفعوا إلى مستواها، مهما كلفهم ذلك من أمر.

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

جـ- التركيز على الجانب الفطرى فى الإنسان، لأنها هى التى تدفع الإنسان إلى الإحساس بالعزة والكرامة. يروى أن الحجاج خطب يوما فأطال. فقام رجل وقال: الصلاة! فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرك، فأمر بحبسه، فأتى الحجاج قوم وزعموا أنه مجنون، وسألوه أن يخلى سبيله، فقال: ان أقر بالجنون خليته. قال الرجل: معاذ الله! لا أزعم إن الله ابتلانى، وقد عافانى، فلم يكذب الرجل، لأن الكذوب لا رأى له، ولم يطره، لأن الإطراء -أحيانا- ضعف، هذا إلى جانب الجرأة فى طلب الحق.

ومعنى هذا أن الهمة موجودة لدى من طلب الحرية، أو المال، أو الرئاسة أو غير ذلك من المطالب بحيث لا يقف عند حد الواقع، وإنما يتطلع إلى ماهو أعلى، وأسمى، وطلب العلم -بلا شك- مطلوب فيه الهمة.

د- توافر العناصر الأساسية التالية[(٢)] لدى المتعلم، وهى:

- الهمة.
- الجد.
- الربط بين الحياة الانفعالية، والنشاط «الهمة والجد».

---

(١) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، المجلد السادس، بيروت: دار صادر، د.ت، ص ص ٤٨٠-٤٨٨.

(٢) عبدالغنى قاسم، وأمة الرزاق الحورى، فى الفكر التربوى الإسلامى «دراسة مقارنة لنسق التعلم لدى كل من الزرنوجى والشوكانى»، مؤتمر: نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، ٢٤-٢٧/ ٧/ ١٩٩٠م، المملكة الأردنية الهاشمية، جـ١، ص ١٠١.

– الربط بين النشاط العقلى المعرفى «تأمل فضائل العلم» وبين الحالة الانفعالية الدافعية «الهمة».

والاهتمام بالمتعلم أساسه أنه المصدر لكل الكفاءات البشرية، التى تتصدر قيادة العمل الوطنى والاجتماعى.

هـ- الاعتماد على النفس، والقدرة على تحقيق الإنجاز الفائق، وهو المستوى الذى يفوق ما كان متوقعا من الفرد وفق قدراته، ولعل مما يؤكد الاعتماد على النفس، ويدعو إليه استقلال الذات. وتستعمل:

١- فى الأخلاق: وهو استقلال الإرادة. وهذا الاستقلال يرد السلوك إلى نزعات وأفكار عن الذات، لا عن سلطات خارجية. ويريد به «كانط» أن يسير الفرد فى سلوكه على مقتضى قانون يفرضه على نفسه بإرادته الحرة العاقلة. وهذا هو أساس استقلال قوانين الأخلاق عنده.

٢- فى السياسة: استقلال ذاتى، وهو وضع الجماعة، حين يكون لها الحق، فى أن تنظم شئونها بنفسها فى ظروف وحدود معينة[1].

والاعتماد على النفس لا ينمو بين يوم وليلة، وإنما هو وليد تربية سوية منذ الطفولة، نماها الآباء والأمهات بمزيج من الحب والتوجيه والفهم الحقيقى لمعنى الاستقلال، وتعهدتها المدرسة بالجمع بين المنهج المدرسى، والأنشطة المصاحبة له، وإسناد المهام المناسبة للمرحلة العمرية التى يمر بها النشء.

ثانياً: الاهتمام بتنمية الاتجاه نحو التفاؤل:

يقصد بالتفاؤل توقع النجاح، والفوز فى المستقبل القريب والاستبشار به فى المستقبل البعيد. والتفاؤل عملية نفسية إرادية تولد أفكار ومشاعر الرضا. والتحمل والأمل والثقة، وتطرد أفكار ومشاعر اليأس والانهزامية والعجز، وهو يفسر

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفى، مرجع سابق، ص١٢.

الأزمات تفسيرا حسنا، يبعث فى النفس الأمن والطمأنينة، وينشط أجهزة المناعة النفسية والجسمية، وهذا يجعل التفاؤل طريق الصحة، والسلامة والوقاية من الأمراض[1].

والحياة رحلة طويلة، أنعم بها المولى على عباده، أخفى عنهم مستقبلهم، بل وآمالهم فيها، لا يعرفها أحد من خلقه، مهما كانت قدرته، وبلغت سطوته، وقد احتفظ الله لنفسه بهذا الغيب، وذلك لعدة أسباب، منها:

١- ضمان استمرار تنمية الإنسان لنفسه على مختلف المستويات الإنسانية: خلقا، وعلما وجسدا، ومالا إلى آخره. وليس الفرد الإنسانى فقط، وإنما كذلك المجتمعات الإنسانية، وذلك بهدف تعمير الكون.

٢- الإصرار على ضرورة الإنجاز فى الحياة، وترك بصمة فيها، مهما كان حجم هذه البصمة، لأنها هى وغيرها ترسى معايير أخلاقية، وتبنى عمارة، لتكون حضارة قد يتمخض عنها من يعرف مولاه، ويقوم بدور الخلافة فى الأرض.

٣- فتح باب الأمل أمام الفرد والجماعة للعمل لآخر لحظة فى الحياة، دفاعا عن الحق، وقياما بالواجب، انطلاقا مما روى «عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال: لايزال طائفة من أمتى على الحق منصورين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتى أمر الله عز وجل»[1]، ولأن الناس إذا ظنوا بالله خيرا، ورجوا فضله، عند كل سبب ضعيف أو قوى فهم على خير. وبصيص الأمل، إذا كان وراءه روح متفائلة وإرادة قوية، أصبح طاقة هائلة، تحطم كل قيد، وتضرب كل إعاقة.

٤- الاستمتاع بالحياة فى الحدود التى أقرها الشرع، وخولها القانون، بعيدا عن النكد، ووسائل الإزعاج للنفس، أو للغير؛ لأن ذلك ربما يكون مدعاة إلى

---

(١) كمال إبراهيم موسى، مسئوليات الفرد فى الإسلام وعلم النفس «أبحاث ندوة علم النفس»، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢٦٨.

(٢) ابن ماجة «تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى» القاهرة: دار احياء الكتب العربية، جـ١، ص ٦.

تذوق نعمة الله على عباده، والإقبال على حياة بروح يغمرها التفاؤل، ويسودها الود والرحمة، خاصة وأن عمر الإنسان مهما طال، فهو قصير.

٥- تحقيق غلبة التفاؤل النفسى، وذلك إذا تعود المرء النظر إلى الأشياء الجميلة، كان استعداده الفكرى إلى التفاؤل أميل، فهو يعلم أن فى كل شىء خيرا وشرا، ولكنه يفضل الالتفات إلى كمال الشىء دون نقصه، وإلى جماله دون قبحه، حتى يكون له فى جهة رجائه فائدة وبهجة.. وبقدر عقل المرء يكون تفاؤله، لأن العقل أس الفضائل، وينبوع الآداب به تعرف حقائق الأمور، يفصل بين الخير والشر، فإذا كمل عقل المرء عاش فى نعيم دائم، لأن عقله يهديه إلى الخير[١].

ولعل مما يساعد على تنمية روح التفاؤل -وهو مفتاح النجاح- لدى النشء وتثبيته فى نفسه. أن يلمس فيمن حوله من الأسرة، والمدرسة، والمجتمع: كلها أو بعضها الممارسات التالية، انطلاقا من صعوبة توافر المجتمع المثالى. وهذه الممارسات هى:

١- حسن المعاملة خاصة فى البيت والمدرسة، لأن توافر ذلك فيهما ربما يجبر خلل ما يراه التلميذ، خارجهما. فوجود الألفة بين الناس، وإكرام بعضهم البعض، وبسط الوجه، إلى جانب الممازحة، والمخالطة، والمحادثة، والمداعبة، وعودة المريض، وقبول العذر، وزيادة التسامح، وتبادل المنفعة، ومناداة بعضهم الآخر بأحب الأسماء إليه. كل ذلك وغيره من مظاهر حسن المعاملة -يبعث الطمأنينة فى نفس التلميذ، ويدعوه إلى الاندماج فى التعليم، بصورة أفضل، وبمستوى أكبر، فى شتى مناحى الحياة، وقد تبين أن الأداء العلمى الإبداعى يزدهر فى جماعات البحث العلمى، التى يسودها الشعور بالتوحد مع الجماعة أو الانتماء إليها، ويكون رئيسها قديرا[٢].

---

(١) جميل صليبا، المعجم الفلسفى، جـ١، مرجع سابق، ص ص ٣١٢-٣١٣.
(٢) عبد الحليم محمود السيد، الإبداع، كتابك ١٥٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م، ص ص ٧٢، ٧٣.

٢- شيوع سلوك الرأفة والرحمة، فى البيت والمدرسة والمجتمع، وهما بمعنى واحد، والرحمة: الخير والنعمة[١]. أو أن الرحمة هى إيصال المسرة إلى المرء، والرأفة هى دفع المضرة عنه عند من يفرق بينهما. والرحمة تستلزم التسهيل على المتعلمين، والتخفيف عنهم، خاصة فى مرحلة الطفولة المبكرة، وهذا التخفيف مطلوب بما لا يضر بالعملية التعليمية، انطلاقا مما قاله ابن مسعود رضي الله عنه : كان رسولا الله ﷺ - «يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا» لأن إبعاد شبح الملل عن المتعلم مداعاة لتجديد نشاطه، وترغيبه أكثر فى التعليم.

٣- غلبة عاطفة الحب على غيرها، لأنها تزكى النفس، وتبعث على الراحة، وترغب فى الحياة، وتزيد فى الدرس والتحصيل، إذ الحب: إيثار المحبوب، أو هو: مواطأة القلب لمراد الرب، يحب ما أحب، ويكره ما كره.

والمحبة: ميل القلب إلى موافق له، من جهة إحسانه له، وإنعامه عليه، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها[٢].

ويتطلب الحب بذل فضل المال عند الحاجة، وكتمان السر، وستر العيوب والسكوت عن تبليغ ما يسوء من مذمة الغير إياه، وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه، وحسن الاصغاء عند الحديث، وترك المماراة فيه، وأن يدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن يثنى عليه بما يعرف من محاسنه، وأن يشكره على صنيعه فى وجهه وأن يذب عنه فى غيبته، إذا تعرض لعرضه، كما يذب عن نفسه، وأن ينصحه باللطف والتعريض إذا احتاج إليه، وأن يعفو عن ذلته وهفوته، فلا يعتب عليه.. وأن يحسن الوفاء مع أهله، وأقاربه بعد موته[٣].

---

(١) ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، جـ١، القاهرة: دار الفكر، ص ٣٣٥.

(٢) أبو الفضل عياض اليحصبى ٥٤٤هـ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، جـ٢، بيروت: دار الفكر، ص ٢٩٥٥-٣٠.

(٣) أبو حامد الغزالى، بداية لا هداية «قدم له وعلق عليه: محمد النجار»، دمشق: دار الصابونى، د.ت، ص ١٤٩.

وقبل هذا أو بعده فإن الحب من علامات الإيمان. قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه (أو قال لجاره) ما يحب لنفسه»[١].

٤- وضوح المفاهيم الخاصة بالحق والخير والجمال. ولعل مما يتطلب وضوحه فى ذهن المتعلم، مفهوم الصحبة لأنها أما مجلبة لخير، وتجلية لمعانى الحق، وكشف لمواطن الجمال، وإما وقوع فى الشر والأذى، والبعد عن الطريق السوى «فالمرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

٥- ونظراً لأهمية الصحبة، وقوة تأثيرها على الفرد: نجاحا وفشلا، حقا وباطلا، خيرا وشراً - فإن هناك شروطا لابد للإنسان - أيا كان - أن يراعيها: حفاظا على نفسه ومستقبله. وهذه الشروط هى[٢]:

أ - **العقل**: فلا خير فى صحبة الأحمق، إذ العدو العاقل خير من الصديق الأحمق، لانعدام التمييز فى كل.

ب- **حسن الخلق**: فلا تصحب من ساء خلقه، وهو الذى لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة.

جـ- **الصلاح**: فلا تصحب فاسقا مصرا على كبيرة، لأن من يخاف الله لايمكن أن يصر عليها، لأنها أثم كبير.

اذا كنت على قوم فصاحب خيارهم ولا تصاحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل، وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

د - **الزهد**: فلا تصحب حريصا، فصحبة الحريص على الدنيا بداية التدنى، والإسفاف، لأن الطباع الإنسانية مجبولة على التشبه والاقتداء به، بل الطبع يجارى الطبع من حيث لا يدرى. فمجالسة الحريص تزيد فى حرصك ومجالسة الزاهدين تزيد فى زهدك.

---

(١) ابن ماجه، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٢) أبو حامد الغزالى، المرجع السابق، ص ص ١٤٣-١٤٦.

هـ-**الصدق**: فلا تصحب كذابا، فإنه مثل السراب: يقرب البعيد، ويبعد القريب. وهو فى كل الأحوال بعيد عن الموضوعية، وقريب من الشراك الخداعية:

ان وعى المتعلم بالمفاهيم اللازمة له، والمحيطين به خاصة فى مجال الصحبة لكفيلة بأن تمنحه الثقة بالنفس والتفاؤل بالمستقبل. وقد قال ﷺ: «مثل الأخوين مثل اليدين تغسل احداهما الأخرى»[١].

٦- استبعاد المدرس للضغوط، التى يمارسها على تلاميذه، إذا قدم البعض منهم حلا مبتكرا، أو إجابة غير متوقعة، أو خرج عن الإطار الذى كان يفكر فيه هذا المدرس بل يشجعهم، ويأخذ بيدهم، ويفتح لهم مسارا آخر غير مسار تفكيره هو. هنا يحس التلميذ بالتفاؤل بالمستقبل، إذ أن تفكيره لا يقابل بالقبول والرضا فقط، بل بالاستحسان والتشجيع والثناء.

ويبدو أن الثقة التى تولد فى مراحل التعليم المبكرة، يكتب لها البقاء والاستمرار غالبا، بل أن انطفاءها قد يبدو صعبا، ان لم تتم، وتزدهر مع مرور الدرس والتحصيل، فى مراحل التعليم التالية. ويتطلب ذلك نبذ التلقين والالتزام الحرفى بما يصدر عن المدرس، لأن ذلك إذا كان يشفى غليل المدرس، ويشبع شهيته فى أنه مصدر المعرفة - فإن ضرره أخطر، مما لو فتح باب الحوار والمناقشة مع تلاميذه، والمستقبل -هنا- يغلب على الحاضر. ولا شىء يعلو على عملية إعداد رجال المستقبل.

إن تشجيع التلاميذ على إلقاء الأسئلة والتعبير عن أفكار جديدة، واحترام أسئلتهم، وأفكارهم التى تشير على إدراكهم لأنواع من الفجوات فى المعلومات القائمة، أو إلى ما لديهم من طاقات متجددة وقدرات على الدهشة والحيرة، إزاء ما يدركونه من مواقف بنظرة جديدة[٢] لأمر يجب ممارسته لا فى الفصل المدرسى فقط، ولكن فى كل المواقف الحياتية.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤٨.
(٢) عبدالحليم محمود السيد، الإبداع، مرجع سابق، ص ٦٧.

٧- ممارسة العادات الطيبة: العادة فى اللغة كل ما اعتيد حتى صار يفعل من غير جهد. والعادة هى الحالة تتكرر على نهج واحد[١]. ويقصد بها: ميل نفس متعلم، مكتسب بالتكرار والخبرة للقيام بذات الأعمال السلوكية، بحيث يقوم الإنسان بها بطريقة آلية عفوية إلى حد بعيد[٢]. وهى مطلوبة خاصة فى الجو المدرسى. وهى كثيرة، ومتعددة، ومنها على سبيل المثال: حسن الخلق: وهو الاعتدال فى قوى النفس وأوصافها، والمتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها، وثقابة الرأى وجودة الفطنة والإصابة، وصدق الظن، والنظر للعواقب، ومصالح النفس، ومجاهدة الشهرة، وحسن السياسة والتدبير، واقتناء الفضائل، وتجنب الرذائل والحلم: وهو الوقار والثبات، والاحتمال: وهو حبس النفس عند الألم والضرر، والعفو. وهو ترك المؤاخذة على الخطأ، ونقاوة الثوب والمتوسط فى جنسه وكونه لبس مثله، غير مسقط لمروءة جنسه. وقد روى سعد عن النبى ﷺ قال: «كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب»[٣].

وهذه العادات اما جسمية حركية، أو معرفية عقلية، أو انفعالية وجدانية، أو خلقية، والتغيير فيها أى العادات الخلقية صعب لاسيما إذا ثبتت العادة زمنا طويلا، وتقدم صاحبها فى العمر. وهنا تبرز العناية الشخصية فى اكتساب العادات النافعة أصلا، حتى لا يضطر الإنسان للتغيير الشاق فيما بعد[٤]. وفى الحديث الشريف أن معاوية بن أبى سفيان حدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخير عادة، والشر بجاحة، ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين»[٥].

---

(١) إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص ٦٣٥.
(٢) عبدالحميد محمد الهاشمى، أصول علم النفس العام، جدة: دار الشروق، ص ١٣٦.
(٣) أبو الفضل عياض اليحصبى، مرجع سابق، ص ص ٩٥-١٠٣.
(٤) عبدالحميد الهاشمى، مرجع سابق، ص ١٤٢.
(٥) ابن ماجه، مرجع سابق، ص ٨٠.

والتأكيد على مظاهر الخلق المختلفة، والتى جاء بها الإسلام، إنما جاء لسد باب أنانية الناس، ورغبة البعض منهم، ان لم يكن كلهم فى ابتداع خلق يناسب مزاجهم ويوافق هواهم، مما يفتح باب الفوضى، ويصبح كل فرد عالما خاصاً، يتصور صحة خلقه، بل ويحاول فرضها على غيره. وفرض الخلق من الغير أمر ترفضه الفطرة السوية لكنه يقابل بالرضا والاستحسان إذا كان صادرا عن الله.

ويمكن القول ان البعد الخلقى فى الإسلام بعد ثابت وأصيل، لا ينبغى إهماله، أو إحلال قيم خلقية أخرى كله. وإذا كان المشتغلون بعلم التوحيد قد حددوا صفات الرسل عليهم السلام بصفات أربع، هى: الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة- فإن التربويين يمكنهم الاعتماد عليها على أنها أمهات القيم التى يجب تعريف النشء فيها، والتحلى بالتزاماتها. فالصدق والأمانة معروفات. أما التبليغ فى جانب البشر فيمكن أن ينصرف إلى أن كل مسلم عليه مسئولية تبليغ كل ماهو مفيد إلى غيره ليأخذ بيده، ويرفعه إلى المستوى المطلوب. وفى هذا اتساق مع حديث: «الدين النصيحة». فالنصيحة للمؤمنين وأئمتهم فيه معنى التبليغ. ومعنى هذا أن كل مسلم رسول إلى نفسه، . وإلى غيره، يذكره، ويرشده، ويعينه، ما استطاع. وتبقى الفطانة وهى شدة الذكاء - قيمة أصيلة لكل مؤمن. انطلاقا من الحديث الشريف «المؤمن كيس فطن». ومن هنا فإن الغفلة، والاندماج فى عيشة الدروشة، وغير ذلك مما يبعد الإنسان عن ميدان حياته- أمر مرفوض لا تقره الشريعة الإسلامية.

الفصل الثانى

تضمين الثقافة العربية
والإسلامية بالمناهج الدراسية



الفصل الثانى

تضمين الثقافة العربية والإسلامية بالمناهج الدراسية

يستهدف هذا الفصل التأكيد على الثقافة الإسلامية والعربية كثابتة من ثوابت المناهج الدراسية الرسمية باعتبارها المصادر المقبولة لدى المتعلم، وتحظى بثقة كبيرة منه، وتؤثر فيه إلى مراحل متأخرة من حياته.

وليس من شك فى صعوبة تقديم هذه الثقافة كلها إلى المتعلم، ولكن الحس التربوى لدى من يتصدى لوضع المنهج ومعرفته بالجوانب الثقافية، التى تغذى الانتماء، وتقضى على روح الضعف والشك لدى المتعلم - هو المدخل لتحديد تلك الثقافة، وتضمينها الكتب الدراسية، وجعلها الإطار الذى تدور حولها التربية والتعليم.

وإذا كانت الثقافة هى تلك المعتقدات، والمفاهيم والأفكار والآداب، والتقاليد، والعادات، وأسلوب التعامل بهذه الأبعاد، وكذا الماديات التى وصل إليها أبناء مجتمع ما، وأصبحت تمثل رصيدا مكتوبا وغير مكتوب، يتم الاحتكام إليه كنسيج قيمى، وثقافى لهذا المجتمع - فإن الثقافة الإسلامية والعربية تمثل ثقافة أصيلة ومتفردة، بعيداً عن التحيز أو التعصب. ويمكن عرض ذلك فيما يلى:

أولاً: تفرد الثقافة الإسلامية:

١- أنها ثقافة فطرية تنسجم مع ما يليق بالإنسان، كإنسان، بعيداً عن التعصب، والتحيز والهوى بدليل أن الإسلام حينما جاء، لم يلغ كلية ما كان عند العرب من قيم وآداب. بل استبقى منها مالا يتعارض معه، وكان ذلك فى الوقت نفسه تعبيراً منه على احترام مايصدر عن الإنسان السوى، ولعل من ذلك تأكيده

على قيم العدل، والمساواة والإخاء، بغض النظر عن جنس أو لون أو دين. وكان من ضمن ما استبقاه قيمة الكرم والنجدة، وإغاثة الملهوف، وإنكار الظلم، والشعر العربى -وهو جاهلى- عبر عن معنى الظلم بقوله:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة   على النفس من وقـع اتسام المهند

بمعنى أن التعبير التلقائى، المعبر عن شفافية النفس الأبية، ومعدنها الأصيل.. هو الثقافة الفطرية.

٢- أن القرآن الكريم تضمن أساسيات الثقافة الإسلامية -وهى تسمية مجازية- وحدد ثوابتها، ولم يتركها تتغير وتتبدل، طبقا لشطحات الهوى، والرغبة فى التغيير، لدى بعض الثقافات الأخرى. فقد حدد أصول العقيدة، ومبادىء الشريعة التى تحكم العلاقات الإنسانية فى السلم وفى الحرب، ونظام الحكم، حيث نص فيها على العدل، والشورى، والمساواة، والإخاء، كما أكد على كرامة الإنسان وحقه فى طلب العلم، وضرورة القراءة فى كتاب الله المسطور، وكتابه المنظور، بهدف هداية الناس وتوفير الأمن لهم. وأوصى رسول الله ﷺ جنده فقال لهم: «أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيرا، اغزوا باسم الله، فى سبيل الله، من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليدا، ولا امرأة، ولا كبيرا فانيا، ولا منعزلا بصومعته، ولا تحرقوا نخلا، ولا تقطعوا شجرا، ولا تهدموا بناء». ومن هنا فإن الثقافة الإسلامية محكومة بالقرآن الكريم، والسنة النبوية والإجماع، كما حدد القرآن الكريم وظيفة رسول الله ﷺ فى المهام التى وردت فى الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]. وأكد القرآن على أن رسول الله ﷺ مبلغ عن ربه تبليغا أمينا بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]. ومن هنا فإن المسلم محاط بثقافة محددة، صادرة من المولى عز وجل، ولا دخل لأى فرد فيها، أو الإسهام فى مفرداتها، بدءا من قضاء الحاجة إلى أعلى شىء وهو أسلوب الحكم. وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام

دين العلم والثقافة والداعي إلى تقديس الحكمة، والاستنارة بها. وكتابه الحكيم زاد خبرة من الهداية والمعرفة.. والعلم في القرآن الكريم يشمل علوم الدين والدنيا في شتى أنواعها، وفروعها. وهذا العلم هو ثقافة المسلم خلال الأجيال، وهو واجب على المسلمين كافة. كما يعبر عن ذلك الحديث النبوى الشريف «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» وبلغ من إعزاز شأن العلماء فى الإسلام، أن جعلهم الرسول ﷺ ورثة الأنبياء، كما جعلهم فى الذروة من طبقات الأمة، فقال: «خيار أمتى علماؤها، وخيار علمائها فقهاؤها» يريد أن أفضل الناس هم العلماء، وأفضل العلماء هم المتخصصون فى شتى الدراسات، سواء منها الدينية والدنيوية[1]. نظراً للأدوار المهمة التى يقومون بها فى إنعاش الحياة، وازدهار الحضارة.

٣- أن اللغة العربية هى الوعاء الحقيقى لفهم الثقافة الإسلامية، وتقديمها للقارىء من حيث أنها المدخل الصحيح للتعامل مع القرآن الكريم، واكتشاف أسراره، ومعرفة نواحى الإعجاز فيه، واستخراج جوانب العظمة منه، وتقديمها للمسلم وللقارىء الراغب فى الهداية، انطلاقا من مبدأ الاجتهاد، وإعمال الفكر فيما فيه نفع للمسلم وللإسلام، وللإنسان بصفة عامة، حتى لا يتخيل من يتخيل أن ثقافة الإسلام ثقافة جامدة، وقفت عند حد الثوابت وما توصل إليه من توصل من السلف، وإنما هى ثقافة مفتوحة لكل من لديه القدرة على الدرس والبحث، وإضافة ما يمكن إضافته.

واللغة العربية حقل عجيب فى دقته العقلية، غزير فى خصوبته وثماره، كادت أبحاثه تبلغ مبلغ الدقة الرياضية فى دقة التحليل، وفى سلامة الاستدلال، وأول مايلاحظ فى هذا الصدد، تلك الصلة الحميمة بين بحوث الباحثين، وبين حياة الناس العملية.. وليس مبتور الصلة عن تلك الحياة كتلك التى نراها بين

(١) محمد عبدالمنعم خفاجى، الإسلام والحضارة الإنسانية، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ١٩٧٣، ص ٧.

رجال اللغة العربية، ونحوها، ومعاجمها، ومصادرها، وتصاريفها، رجلا غريبا على مسرح الحياة اليومية، لا تسيغ سمعه الآذان، إذا حرص على ضبط اللغة مقروءة، أو مكتوبة[١].

ومهما يكن من أمر فإن اللغة العربية ستظل هى المحملة بمضامين الثقافة العربية والإسلامية باعتبارها أداة الاتصال الأمينة بين الماضى والحاضر، وجسر العبور للمستقبل، إذ «باللغة يتحدد معنى الإنسان، باللغة تتنور جنبات الإنسان. باللغة يدرك ويفكر، ويتذكر ويتدبر. باللغة يتعامل مع نفسه، ومع الآخر.. اللغة هى الذات، وهى الآخر. اللغة هى الوعاء السحرى الذى يرى فيه الإنسان ذاته فيرى الآخر، ويرى الجماعة. فهى وعاء الذات والآخر والجماعة، وكلها انعكاسات بعضها من بعض. الإنسان ابن لغته[٢].

وانطلاقا من ذلك ينبغى أن تحظى اللغة العربية فى مرحلة التعليم العام بقدر كبير من الاهتمام بحيث تمتاز عن بقية المواد الدراسية الأخرى، فإذا حدث أن انتهى الطالب من دراسته الثانوية، ولا زال يعانى من الضعف فيها - كما هو الحال الآن- فإن الواقع يفرض تقديمها إليه، وهو فى التعليم الجامعى، لتلاشى هذا الضعف مستقبلا، لأن التربية والتعليم فى كل مراحل التعليم - ماهى إلا علاج لما يفرزه الميدان، أو الواقع المعاش من ضعف وتدن. ولعل الموقف فى هذه الحالة أشبه بقطار سكة حديد استهدف الوصول إلى محطة ما، وقائده يعرف أن فى القضبان خللا، أو فى التُّربَة رخاوة، يتعذر المرور فوقها، الأمر الذى يتعذر معه الوصول إلى الهدف. وإلى جانب ذلك الكشف عن مطالب الحاضر، وطموحات المستقبل.

ولعل من أولويات الطلب عليه، والتأكيد على ضرورة تحقيقه رفع مستوى

---

(١) زكى نجيب محمود، المعقول واللا معقول، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨١، ص ٨٤.

(٢) سيد أحمد عثمان، الاثراء النفسى دراسة فى الطفولة ونمو الإنسان، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٦، ص ص ٣٣ - ٣٤.

هذه اللغة، لدى خريجى الجامعة باعتبارهم الواجهة الحضارية للمؤسسات المختلفة فى الداخل والخارج. مع العلم بأن التحدى الحضارى بين الشعوب يزداد اليوم عنفا وضراوة. وأضعف الإيمان فى هذه الأولويات رفع مستوى هذه اللغة للمتخصصين فيها، لأن عدم التمكن منها ليس فى صالحهم، فقيمة كل امرىء فيما يحسنه.

وقد كان من أهم المشكلات التى تحوم حول اللجنة اللغوية الاستشارية الدولية المنبثقة عن اليونسكو «مشكلة لغة تكنولوجيا الاتصال الحديثة، أى الكمبيوتر والانترنت وما شابه. فمعظمها، أو كلها تستخدم لغة واحدة هى الإنجليزية. ولما كانت هذه الوسائل تمثل مستقبل الإعلام والثقافة فى القرن القادم، فهذا معناه أن لغة واحدة ستهيمن على العالم وهى اللغة الأنجلو أمريكانية، مما يعنى أن لغات العالم جميعا مهددة إما بالضياع، وإما بالتدهور نتيجة للإهمال أو للتأثيرات الضارة من موجات ووسائل الاتصال الحديثة[1].

وليست الحلول الخاصة بضعف العربية مجهولة، لكنها تحتاج إلى سرعة التنفيذ، سواء فى محتوى المقررات الدراسية، أو فى طرق تدريسها، أو الوسائل التعليمية التى تنهض بها، أو الأنشطة المدرسية التى تحتاج إلى بعث جديد، أو فى أساليب تقويمها، أو فى وسائل الإعلام المختلفة، أو فيما يتصل بها من أنشطة المجتمع، واستخدامه لها.

٤- أن الثقافة الإسلامية – وهو تعبير يجارى اللغة المعاصرة فقط- ثقافة ملزمة، بمعنى أن من ينتسب إليها، لابد أن يمارسها، إذ هى أسلوب حياة. وفى مقابل هذه الممارسة، فإن المسلم يؤجر عليها، وذلك بهدف الحفاظ على تماسك الجماعة الإسلامية، وربطها بالخالق سبحانه، فإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وابتسام المسلم فى وجه أخيه صدقة. وتكفل الله بإنزال

(١) أحمد عثمان، السياسات اللغوية فى اليونسكو، الأهرام ٧/ ٧/ ٢٠٠٠، ص ١١ الملحق.

رحمته على من راعى حسن المعاملة فى البيع والشراء. «رحم الله امرءا سمحا، اذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى».

ويتصل بتلك الثقافة الملزمة خاصية التميز للمسلم «فلا يجوز للرجل لبس الحرير، ولا للمرأة أن تلبس لبس الرجل. ومن هنا يستطيع المسلمان أن يتعارفا، بكل يسر، إذا التقيا دون أن يعرف كل منهما الآخر، ويستطيع غير المسلم أن يعرف المسلمين من غيرهم لأول وهلة، بمجرد إلقاء التحية «السلام عليكم» أوردها «وعليكم السلام» أو الأكل باليمين، أو «الحمد لله» عند العطاس، أو تشميت العاطس ونحو ذلك مما يكشف عن شخصية المسلم[1]. وبهذا يمكن القول إن الثقافة الإسلامية ليست مجرد سلوكيات تمارس فى الحياة كنمط اجتماعى، لقضاء المصالح فقط، لكنها إلى ذلك دين يثاب المسلم عليه، إذ فعلها.

٥- أن الثقافة الإسلامية، مع التزامها بالقرآن والسنة، فهى ثقافة مرنة فى غير أصول العقيدة الإسلامية، فقد أقر الإسلام مبدأ الاجتهاد، وجعله مصدرا من مصادر الشريعة انطلاقا من سنة التطور، التى تصيب الأشياء، حتى لا يحدث ما يلى:

أ - الوقوف عند حد معين فى مجال المفاهيم، والقيم المتغيرة، والعادات والتقاليد، والآراء والتى من شأنها أن تتغير باختلاف الزمان والمكان. وهذا أمر مخالف للواقع.

ب- التحلل من بعض أنماط الثقافة الإسلامية، التى تخرج عن دائرة البر والتقوى. وهى صمام الأمان لكل قيمة إسلامية، فاستقلال الشخصية حاجة إسلامية، وإنسانية، أكدها الإسلام بقول الرسول الكريم محمد ﷺ: «لا يكن أحدكم إمعة»... إلخ. وحين يخرج هذا الاستقلال:

---

(١) يوسف القرضاوى، الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق، ١٩٤.

ماديا ونفسيا عن دائرة البر والتقوى لا يعد قيمة إسلامية، وذلك مثل عقوق الوالدين، أو قطع صلة الرحم وغير ذلك، مما يمكن أن يندرج -خطأ- تحت مفهوم المرونة.

جـ- المصادرة على عقل المسلم، وذلك بتعطيل العقل عن التفكير، والاكتفاء بما توصل إليه السابقون. وإذا كان الإسلام يرفض أن يعيش الإنسان عالة على غيره فى مجال الإعاشة اليومية - فإنه يرفض تعطيل العقل عن التفكير، حتى لا يفكر له الآخرون، ويمسكون بزمام أمره. أخرج ابن حبان عن على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن الرسول ﷺ قوله: «لا عبادة كالتفكير».

ثانيا: أسباب التأكيد على أساسيات الثقافة الإسلامية:

ينبع التأكيد على الثقافة العربية والإسلامية من واقع مايلى:

١- أن التراث العربى الثقافى والدينى الذى اختزل إلى مستوى هامشى فى مؤسساتنا التعليمية، ولم يجعل فى موقع الأسبقية فى المناهج - مرده إلى عدم الوضوح فى مقومات الفلسفة الاجتماعية.. كما أننا نعتبر أن معرفتنا بأصول الفكر الإسلامى غير كاملة، وتحتاج إلى جهود ضخمة من الدراسة المتعمقة باستجلاء كنوز ذلك الفكر لنستمد منه وضوحا فى قيمنا الحياتية، وتطلعاتنا نحو مستقبل أفضل. وقد حان الوقت لعمل شامل وجاد فى هذا المضمار، والتوقف عن ترجيع أراجيف المغرضين الذين يضيقون ذرعا، حتى بمجرد الحديث عن كنوز الفكر العربى الإسلامى، ويتصورون أن ذلك فكر تراثى يلائم إنسان زمانه، ومجتمع زمانه[١].

---

(١) عبدالقادر يوسف، «حول النظرية العربية فى التربية» المستقبل العربى، السنة الرابعة، العدد السادس والثلاثون، فبراير ١٩٨٢م، ص ٦٨.

٢- ان الأقمار الصناعية التى ترصد كل تحرك على وجه الأرض، والقنوات الإعلامية الفضائية التى تبثها الأقمار الصناعية فى كل مكان من العالم - تنتهك اليوم الاستقلال الوطنى، والسيادة الوطنية، والأمر يحتاج إلى تفاهم دولى، لكى لا يتحول هذا الانتهاك إلى تضييع الثقافة الوطنية، وإذابتها فيما يسمى بالثقافة العالمية(١).

ولن يتأتى الحفاظ على الثقافة الوطنية، أو التقليل من إذابتها فيما يسمى الثقافة العالمية، إلا بتقديم منهج رسمى، وغير رسمى يربط المتعلم بثقافة مجتمعه، والتركيز على المضامين التربوية التى يغلب عليها طابع الثبات، وتبقى فى ذاكرة المتعلم مدة طويلة، توجه مساره، وتضحى مثار إعزاز وفخر له: إذ أن بعض المسلمين يتوارى خجلا فى بعض المجتمعات الأخرى، بسبب ضآلة جرعة ثقافته الوطنية، والإسلامية، التى لا تنهض به، ولا تسعفه فى الإعلان عن نفسه أمام الآخرين، خاصة فى ظل ضعف العرب والمسلمين، الذى لا يبدو منها إلا التغنى بالماضى وأمجاده. إن كان لديه الشجاعة فى ذلك.

٣- أن زيادة الطلب على خريجى المدارس الأجنبية، وكذا الاعتماد على خريجى الجامعات الأجنبية فى العمل - والتى أصبح الاهتمام بها - ربما أكثر- فى العملية التعليمية - وفى الأماكن الحساسة، والمتميزة سواء من حيث الشهرة، أو الدخل المرتفع - قد أوعز لشريحة ليست بسيطة أن الثقافة العربية لا تؤهل صاحبها للدخول فى الوظائف المرموقة، أو الأعمال التى لها طبيعة خاصة، بل ربما يفهم أن هذه الشريحة معوقة -أحيانا- فى إنجاز العمل، وعقبة فى سبيل تحقيق الهدف منه.

وليس معنى ذلك إهمال اللغات الأجنبية، فذلك أمر مرفوض، وإنما أن تعلم اللغة الأجنبية بمضامين الثقافة المحلية، أو التدقيق فى اختيار الكتب التعليمية،

---

(١) الفن وهايدى توفلر، «نحو بناء حضارة جديدة سياسات الموجة الثالثة» (تلخيص وتعليق: المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية)، القاهرة: قطاع الكتب، ١٩٩٥م، ص ١٨.

بحيث لا يتعارض مع ثقافتنا، ويقع العبء فى ذلك على من يتقنون اللغة الأجنبية من المسلمين؛ إذ عليهم أن يقدموا الثقافة الإسلامية لبنى بلدتهم. وذلك يحقق عدة فوائد. منها:

(أ) إتقان اللغة الأجنبية من الناحية الفنية كلغة يتم التعامل بها، وفهم أبعادها.

(ب) زيادة التصاق المتعلم بثقافته من خلال اللغة الأجنبية، والاطمئنان إلى نقل ثقافته إلى الثقافات الأخرى، إذ كان فى إمكانه ذلك.

(ج) التقليل من عملية الغربة الثقافية، التى تتأكد عبر المراحل التعليمية المبكرة، أو على الأقل تترك بصمة فى وجدان المتعلم.

٤- أن «من مهام التعليم الأساسية - منذ نشأته- المحافظة على الثقافة المتوارثة، ونقلها للأجيال الجديدة، واليوم يضاف إلى تلك المهمة إمكانية فتح طرق جديدة واسعة للتبادل الثقافى.. وعلى التعليم أن يتابع وظيفته الصعبة المزدوجة، وهى حماية الهوية الثقافية فى أثناء زيادة التعرض لثقافة الآخرين.

وسيحتاج هذا إلى إعطاء المزيد من الاهتمام فى المناهج لموضوعات مثل: الأداب، والبيئة، والجغرافيا والتاريخ، والتفاهم الدولى، واللغات المحلية والقومية والدولية. ويكمن فن التخطيط، وصنع القرار التعليمى فى العثور على مداخل متوازنة بين الحاجات الكثيرة الملحة، إلى محو الأمية الحرفية، والعددية والعلوم، والمواد المهنية، والتنمية الثقافية للدارسين[1].

٥- أن العولمة - وهى اتجاه مؤقت لا يمكن أن يكتب له البقاء، انطلاقا من منطق التاريخ، الذى هو حلقات متتالية من السياسات والمناهج، التى يصيبها التغيير والتبديل على مر الأيام - «لا تتحقق فى المجال الثقافى، إذ أن وسائل

(١) جاك حلاق، مرجع سابق، ص ص ٨٥، ٨٦.

الاتصال المتعددة ليست متاحة دائما، ولا فى مقدور كل فرد حيازتها، ولا توجد الرغبة دائما فى الحصول عليها، لأن الحاجة إلى المطالب الضرورية للمواطن، فى الدول النامية . . تفوق أى اهتمام بمتابعة أحوال الآخرين، فضلا عن أن قطاع العمالة لم يتم منحه حتى الآن حرية الانتقال، وهو قطاع مهم من قطاعات التجارة الدولية[1]، وهو الذى يمكن أن يلعب دوراً مهما فى نقل الثقافات، أو تقريبها، أو تذويبها، خاصة إذا كانت العمالة كبيرة، ويمكن أن تكون قوة فاعلة ومؤثرة.

٦- أن وسائل الإغراء والجذب للمواهب الفريدة، والقدرات الخلاقة فى التخصصات المختلفة، من قبل الدول المتقدمة - أكبر من وطنية المواطن، وأقوى من حماسة الانتماء للوطن الأم. من هنا يتحتم زيادة ربط هذه المواهب ببلدها عن طريق الثقافة الأصلية للوطن الأم، لكى تكون باعثا داخليا يحرك وجدانها. ويحافظ على بقاء مشاعرها، غضة حية، أطول فترة ممكنة له، ولأولاده فيما بعد.

إن إحداث أى تغيير فى العادات والاتجاهات التى استقرت عبر عقود من الزمان لدى الإنسان يمكن أن تكون صعبة، خاصة إذا كانت الجرعة الثقافية التى تم تقديمها للمتعلم تستند إلى مبادىء ثابتة، وقيم تتصل بالبعد الفطرى فى الإنسان.

وإذا كانت الصفوة - مهما كانت درجة التنوير لديها- لا تستطيع أن تصنع حضارة جديدة بنفسها - فإن الطاقة المتاحة لديها تنتظر أن يفجرها أحد. والدول المتقدمة هى الأمل المنتظر لتلك الطاقة. أما الدولة التى خرجت منها تلك الطاقة، فيكفيها التغنى بذكرى الميلاد، وإذاعة مآثر الآباء والأجداد.

٧- إن فى تراثنا ميلا شديدا نحو تحقير الحياة الدنيا، والتقليل من شأنها، وضرورة أن يصرف الناس أنظارهم عنها، حتى لا تفتنهم الفانية عن الباقية، وهو

---

(١) مصطفى سلامة، «العولمة بين التهويل والتهوين»، الأهرام، ١٣/٨/١٩٩٩، ص ١٠.

ميل قد تخفق له قلوبنا وتهتز له مشاعرنا لكثرة ما أوصينا به، لكنه يتناقض تناقضا صريحا مع أسباب النجاح والقوة فى عصرنا.

فإذا أردنا معايشة عصرنا فى حيويته وعقلانيته – وجب أن نسقط من حسابنا كل ما من شأنه أن يجمد فى عروقنا دماء الحياة، أو يتجه بنا وجهة اللا عقل[1] هذه؛ لأن مادة «عمل» وردت فى القرآن الكريم أكثر من مائتى مرة، وهى تحث دائما على العمل المرتبط بالإيمان؛ إذ هذا من شأنه رفع مستوى المعيشة أفرادا وجماعات، وتحقيق الرفاهية لهم، إذ العمل فيه متسع باتساع الحياة، وما فيها من أنشطة. والنشاط الحلال فيها موصول بالدنيا والآخرة ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

إن الآية صريحة، والأمر فيها مباشر فى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾... إلخ [الأنفال: ٦٠]. ولن يتأتى إعداد القوة الرادعة إلا بالأخذ بكل أسبابها. ولعل التفكير فى لفظ «قوة» يفيد الشمول والعموم لأى قوة، اتفق عليها أهل العصر. وبغير هذا الفهم يعد تخاذلا، وإهمالا فى تحقيق القوة المطلوبة. والمصدر الأول والأخير فى إعداد هذه القوة هى إعداد القوى البشرية، وتعليمها تعليما يناسب العصر. إن لم يفوقه، وليس قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]. إلا تعبيرا عن عدم الاستكانة لما وصل إليه الإنسان من علم، بل إنه يجب أن يكون هو الشغل الشاغل والمستهدف للإنسان.

٨- أن هناك انبهاراً شديداً بالثقافة الغربية والأمريكية. وما حققته فى مجال الحضارة الإنسانية. ومن الممكن أن ينقلب هذ الانبهار إلى كفر بالحضارة العربية والإسلامية لدى شريحة من المسلمين. ولعله فى المقابل حدث مثل هذا الانبهار لدى شريحة أخرى من المسلمين، لكنه لم يصل إلى حد الكفر بالحضارة

---

(١) زكى نجيب محمود، المعقول واللا معقول فى تراثنا الفكرى، مرجع سابق، ص ص ٤٣٢، ٤٣٣.

الإسلامية، إذ أنهم على يقين من أن هذه الحضارة قادرة على مثل هذا العطاء، أو أكثر، مثلما أعطته من قبل، واستمر قرونا طويلة - عشرة قرون تقريبا- إذا اتخذت من القيم الإسلامية أساسا لها، إلى جانب فهم معطيات العصر.

أن القرآن الكريم - كدستور ثابت- أكد أن سنة الله فى التغيير قائمة بقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. لكن هذا التغيير لا يتم كيفما اتفق، وإنما يتم استنادا إلى ما يلى:

أ - ليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء.

ب- لتحقيق العدل بين الناس، لأن الله لا يحب الظالمين.

جـ- إذا شاع الفسق وانتشر الفجور ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء: ١٦].

د- إذا لم يحافظ الناس على نعمة ربهم عليهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

ومعنى هذا أن ضعف المسلمين اليوم ليس ضعفا نهائيا، ولا أمل فيه بعودة السيادة لهم مرة أخرى، وإنما الريادة فى رحم الغيب، وظهورها مرة ثانية آتية لاشك فيها، ودور الثقافة الإسلامية هى شحن النشء بمضامين هذه الثقافة، لاسترداد الريادة مرة أخرى.

ثالثاً: بعض المظاهر الثقافية التى تراعى فى العملية التعليمية:

ليس المجال هنا حصر المظاهر الثقافية الإسلامية التى ينبغى الاهتمام بها فى مناهجنا الدراسية، وإنما نورد بعضا مما ينبغى تقديمه للنشء، وترسيخه لديه، ولعل من هذه المظاهر ما يلى:

١- التأكيد على أن لكل شىء مفيد له قيمة فى حياتنا، وضرورة تنبيه النشء إليه. ويأتى ذلك رد فعل لما هو شاهد وملموس لدى قطاع من الأطفال والشباب، وأحيانا بعض الكبار ممن لا يدركون قيمة ما معهم أو ما له صلة

بحياتهم. وهذه الأشياء إذا أخذت حظها من الاهتمام والعناية، فربما تغير مجرى حياتهم، ومستقبل أوطانهم، خصوصا أنه أشيع أن بعض الشعوب العربية والإسلامية شعوب تستهلك أكثر مما تنتج، وشعوب تجنح إلى الاسترخاء أكثر مما تميل إلى سرعة الأداء، وشعوب تحب الترف أكثر مما تحب العمل.

ولا ريب فى أن العملية التعليمية تسهم - ضمن ما تسهم - فى توجيه النشء إلى مجالات العمل التى يمكن أن يبدعوا فيها، ويثبتوا فيها، ويثبتوا وجودهم فى مهاراتها، كما أنها تربى فيهم روح الجد تجاه الأشياء، والتعامل معها بما يخدمهم، ويخدم أوطانهم. هذا إلى جانب وسائل الإعلام الأخرى، والبيئة المحيطة بالنشء التى يمكن أن تكون عاملا مثيرا للمنافسة، وداعيا من دواعى المثابرة، والإصرار على النجاح، وقبول روح المغامرة والتحدى.

وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام دين غنى بشريعته، أثرى الحياة الإنسانية فى كل الجوانب المختلفة وعمل المرء لحساب دنياه يثاب عليه لحساب آخرته، طالما أن أى قول أو فعل يتسق مع أصول الشريعة، ولا يخرج عن دائرة الحلال فضلا عن أنه مُوجَّه للخالق سبحانه. وفهم الإسلام بهذا المعنى بداية الانطلاق فى الحياة والقيام بمسئولية الخلافة فى الأرض، وتعميرها بما تسمح به قدراته.

والكون ملىء بكثير مما له قيمة مهمة، سواء أكانت حسية أم معنوية، ينبغى الحفاظ عليها، مهما تدنت فى نظر البعض بغض النظر عما إذا كانت هذه الأشياء ملكية خاصة، أو مملوكة للغير: ملكية شخصية أو اعتبارية، لأنها أولا نعمة من الله وهدية يجب احترامها، ولأنها ثانيا يجب الحفاظ عليها، وعدم إهمالها يعطى الفرصة لاستخدامها فى موقف ما، أو فى لحظة ما، وما لا نحتاجه اليوم، ربما نحتاجه غدا. فرب كتاب صغير لا تأبه له اليوم، ربما تكون فى أمس الحاجة إليه غداً.

ويندرج فى ماله قيمة فى الحياة، تلك الآثار التى يتم الكشف عنها بين الحين

والحين فى كثير من بلدان العالم، ويصرف عليها الملايين من العملات المحلية والأجنبية، بهدف الكشف عن معنى حضارة جديدة لم تعرف بعد، أو معلومات جديدة، يمكن أن تكون بداية لعمليات تطوير للحياة، أو إزاحة الستار عن مكنونات تتصل بحياة الإنسان فى مرحلة تاريخية، لم تتضح أبعادها إلى الآن، وحياة الأفراد والشعوب سلسلة تاريخية يتمخض عنها كثير من التوجيهات والطموحات، بل والسلوكيات التى تفيد المجتمع فى مستقبل حياته.

ويندرج تحت ماله قيمة معاصرة أيضا- المعرفة، والمعلومات، وكيفية الإفادة منها؛ إذ «أن دول الموجة الثالثة، تبيع للعالم المعلومات، والابتكارات، والإدارة، والثقافة الشعبية الصارخة (POP) والتكنولوجيا المتقدمة، وبرامج الكمبيوتر، والتعليم، والتدريب والرعاية الطبية، والخدمات المالية، وخدمات أخرى. وقد تتحول واحدة من هذه الخدمات إلى حماية عسكرية تقوم على أساس إدارتها، وقيادتها القوات العظمى للموجة الثالثة (وهذا فى الواقع ما قدمته دول التكنولوجيا المتقدمة للكويت والسعودية فى حرب الخليج)[1].

والمعلومات الخاصة بالعرب واضحة، ومعروفة للجميع على أى مستوى من المستويات فى الوقت الذى تسيطر فيه الدول الأخرى على المعلومات الخاصة بها، وتحيطها بكل أساليب الكتمان والسرية- وهى قيمة ثقافية إسلامية أصيلة. قال ﷺ: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» - وتضرب عليها أسواراً عديدة، تحميها من التسرب لأى جهة كانت، إلا إذا استهدفت رسالة ما تحقق لها الفائدة. وكثيرا ما يتبرع البعض بالكشف عن هذه الأسرار، دون إدراك لعواقب ذلك وقد يكون السبب أن المواطن العربى لم يتعلم، كيف يفرق ما يمكن أن يقال، وما يجب أن لا يقوله، بل أحيانا ما يمتد الكشف إلى النوايا التى لم تكتب بعد، مع أنها الجانب الذى لا يمكن اكتشافه عن طريق أساليب التجسس المختلفة والثقافة العربية تؤكد أن معظم النار من مستصغر الشرر.

---

(١) ألفن وهايدى توفلر، مرجع سابق، ص ٤٦.

ويبدو أن بعض رجال الاقتصاد والأعمال - يهملون عامل المعرفة، عندما يحسبون المدخلات التى تتوقف عليها إنتاجيتهم، فيعدون رأس المال، والعمالة، والأرض، ويهملون المعرفة، مع أنها أهم الموارد جميعا(١).

وإذا كان الله سبحانه قد قرر أن ﴿كُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]. فالأولى بنا أن نتعلم أن الحكمة تقتضى التعامل مع كل شىء بالقدر الذى يحقق المصلحة، ويجلب المنفعة. وتعليم الفرد هذا النمط من السلوك منذ البداية، يمكن أن يستمر معه ويلازمه فيما بعد، سواء أكان مواطنا عاديا، أو مواطنا مسئولا. ولعل من مؤشرات نجاح التعليم أن يتحول ما تعلمه الفرد إلى سلوك تلقائى، دون الحاجة إلى توجيه.

ويمكن القول إن إحدى الطرق إلى صناعة الثروة - هى المعرفة، وهذه «المعرفة وما تتضمنه من بيانات، ومعلومات، وصور، ورموز، وثقافة، وأيديولوجيات، وقيم - هى الآن المصدر الرئيسى لاقتصاديات الموجة الثالثة(٢).

وقد حدد الإسلام بعض الأمور التى لابد من الاهتمام بها، وضرورة العناية بمتابعتها، والتى يمكن القول إنها مفتاح عمارة هذا الكون، وتطويره «فعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال لايزول قدما ابن آدم يوم القيامة، حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه؟، وفيم أنفقه؟، وما عمل فيم علم؟ رواه الترمذى أيضا والبيهقى(٣). وفى رواية أبى برزه الأسلمى رضي الله عنه: وعن جسمه فيم أبلاه.

وهذه الخمس التى ورد ذكرها فى الحديث الشريف تمثل قمة المسئولية الإنسانية تجاه الحياة التى نعيشها، فالعمر هو الحياة والشباب عصبها، والمال الصالح قوامها، والعلم النافع أساسها.

---

(١) المرجع السابق، ص ٥١.
(٢) المرجع السابق، ص ٥٧.
(٣) الإمام الحافظ زكى الدين، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، جـ١، ص ١٢٥.

ويبدو أن قيمة الوقت مهدرة، والمال لا يوضع فى مكانه الصحيح، وكل ما يخضع لعملية البيع والشراء، لا يتم فى إطاره المطلوب، والشباب لا يستغل كل طاقاته فى العمل المنتج، كما أن هناك فصلا شبه تام بين العلم والعمل. ولعل هذا هو السر فى تقدم بعض الدول، وتأخر البعض الآخر. ومن هنا يفهم السر فى سؤال العبد عنها يوم الحشر.

إن «اقتصاديات الموجة الثالثة، تهتم بعنصر الإسراع، حيث سيكون للمزيد من السرعة أهمية كبيرة، وسيكون للجزء من الزمن أهمية قصوى. وفى ضوء ذلك، يرى البعض أن مقولة: الوقت هو النقود «ستعد بالية، ليحل محلها، ان كل فاصل من الوقت أكثر أهمية من الفاصل الذى سبقه، لقد أصبح الوقت متغيرا حاكما، وأصبحت اقتصاديات السرعة هى الأساس فى الموجة الثالثة[1].
ان تعويد المتعلم منذ الطفولة على تقدير قيمة الأشياء، ووضعها فى الأماكن المناسبة لها ضرورة تربوية، وضرورة اقتصادية. فالضرورة التربوية تظهر فى الإيمان بأن كل شىء منح للإنسان إنما هو نعمة. وهذه النعمة تتعدد بتعدد كل ما فى الحياة ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فالحق نعمة: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]. والنصر نعمة: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]. والرزق نعمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾ [فاطر: ٣]. وجريان السفن فى الماء، والانبهار بما فى البحر من مواد وأحياء وجمال - نعمة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ﴾ [لقمان: ٣١]. وركوب البحر، وتذليل الدواب، والأنعام والمركبات بشتى أشكالها، وأحجامها - نعمة: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣].

---
(١) الفن وهايدى توفلر، مرجع سابق، ص ٢٣.

ونظراً لأن نعم الله يستحيل عدها، وحصرها - وما ذكر فى القرآن الكريم ماهو إلا نماذج فقط للفت نظر الإنسان - فإن على الإنسان أن يتأمل فى نفسه، وفى من حوله، وفى ما يحيط به، لينهض للحفاظ عليها، تأمينا لحياته، وحياة من يعولهم، وإلا تعرض لزوال هذه النعمة عنه ﴿**وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [البقرة: ٢١١].

وتأتى الضرورة الاقتصادية من واقع التأكد من أن لكل شىء قيمة فى هذه الحياة، وتظهر تلك الضرورة الاقتصادية مما يلى:

أ - احترام العمل ونوعيته، طالما أنه داخل فى إطار الحلال، لأن كل عمل شريف مطلوب، ويؤدى دوره فى خدمة المجتمع، ونظام الكون لن يستقيم إلا بتعدد مستويات العمل فيه، فالحرفة والمهنة وجهان لعملة واحدة هى الحياة المنتظمة. فالسباك والنجار، وعامل النظافة -مثلا- فى جانب. والطبيب والمهندس، وأستاذ الجامعة فى جانب آخر - لا يستغنى كلاهما عن الآخر وكل متمم للآخر - ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾ [الزخرف: ٣٢]. والسؤال الذى تطرحه الآية الكريمة: ماذا يكون الحال إذا كان الناس كلهم مديرين، أو أطباء، أو مهندسين، أو سباكين، أو نجارين.. إذن هذا خارج عن معيار المفاضلة عند الله. والمعيار التقوى ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]. وقد أكد رسول الله ﷺ على قيمة العمل، حرصا على توافر الأبعاد الثلاثة: البعد الاجتماعى، والبعد الاقتصادى، والبعد النفسى من خلال الحديث الشريف: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتى الجبل، فيجىء بحزمة حطب على ظهره، فيبيعها، فيستغنى بثمنها، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[(١)].

ويتسق العمل فى الدنيا لتوفير الإعاشة الكريمة للإنسان، مع العمل للآخرة - شأن الاتساق فى أمور الشريعة الإسلامية - من خلال حديث أبى هريرة قال:

(١) ابن ماجة، مرجع سابق، ص ٥٨٨.

قال رسول الله ﷺ : الإيمان بضع وستون شعبة، أو سبعون بابا، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول «لا إله إلا الله» والحياء شعبة من الإيمان(١). ولا يخفى أن إماطة الأذى عن الطريق يحقق بعدا رابعا- إضافة إلى الأبعاد الثلاثة السابقة - وهو البعد الجمالى.

ومن هنا فإن النظرة المحترمة لكل عمل يؤديه الإنسان أيا كان هذا الإنسان- ينبغى أن تلازم الإنسان فى كل مراحل حياته، وذلك عن طريق ترسيخ هذا الاتجاه لكل متعلم. فكل ميسر لما خلق له، كما جاء فى الحديث الشريف.

وتجدر الإشارة إلى أن الاجتهاد فى العمل، وزيادة الكسب فيه لا حدود له فى الإسلام طالما لدى الإنسان المهارة فيه، والقدرة على تحقيق أعلى دخل منه، ومهما كسب فإن نسبة الزكاة عليه هى هى ٢,٥٪، ليستفيد المجتمع المسلم من مهارة الماهر، وتفوق العامل، يعكس القوانين الوضعية، التى تطبق الضرائب التصاعدية، التى يمكن أن تحد من نشاطه وتقلل من الرغبة فيه، أما صدقة المتطوع فمفتوحة، لأن القربى إلى الله مطلوبة.

ب- الحفاظ على البيئة إذا كان النار من مستصغر الشرر، فإن تعديل البيئة المحيطة بالإنسان إلى الأسوأ من شأنه إلحاق الضرر بالنفس، وبالغير «فالأرض تشبه مكتبة، يجب أن تترك سليمة، بعد أن نثرى أنفسنا بقراءة ما فيها من كتب، وبعد أن نكون قد اكتسبنا منها ثروة ثقافية، بواسطة مؤلفين جدد؛ ولذا فالحياة هى أغلى كتاب يجب أن نتداوله، ومن ثم يجب الحذر من تمزيق أى من صفحاته، حتى نمرره بدون تعليقات جديدة للآخرين، الذين سوف يعرفون طريقة فك رموز لغة أجدادهم، أملا فى تمجيد العالم الذين سيتركونه، أو سيورثونه إلى أبنائهم وبناتهم(٢).

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢) جاك أتالى، مرجع سابق، ص ٤.

أن تغيير البيئة دون هدف، مبنى على التخطيط العلمى، ومراعاة للبعد الصحى والجمالى للإنسان فيه هدر اقتصادى، وضرر يلحق بالوطن والمواطن. وتعليم النشء ذلك مصلحة قومية.

و منذ أوائل السبعينيات أصبح هناك اهتمام متزايد بأن التنمية الهادفة إلى نوعية حياة أفضل - تتأثر على نحو خطير بالاختلالات فى بيئة الإنسان التى كثيرا ما يسببها، ويدعمها سلوك الإنسان نفسه. ولم يعد من الممكن فى البلاد الصناعية إغفال أن التلوث، وآثاره المادية والبيولوجية جميعا هى النتائج غير المرغوب فيها للتصنيع بدون حرص، والسعى وراء النمو بلا حدود(١).

وثبت أن التعليم من أجل التنور البيئى، أو محو الأمية عن طريق الأنشطة خارج نطاق المدرسة.. هو أداة بالغة القوة لتغيير سلوك الإنسان تجاه البيئة. وعلى مستوى المدرسة جرت محاولات متزايدة بالفعل فى بعض الدول النامية، وعديد من الدول الصناعية لإدخال التربية البيئية ضمن المواد الدراسية المختلفة بالمنهج، وتوخى الخبرات المكتسبة للأبعاد البيئية فى تدريس العلوم.. إذ عن طريقها يمكن تغذية فهم الأطفال للقضايا البيئية. فضلا عن أنها تحسن تلقينهم للمعارف العلمية(٢).

والهواء مظهر من مظاهر البيئة، ينبغى صيانته من التلوث؛ ولذا فإن إحراق مخلفات نواتج استخدامات الإنسان، أو ترك السيارات المعيبة تنفث عوادمها فى الهواء أو ترك استخدامات المواد الكيميائية وصبها فى مجرى الماء، كل ذلك وغيره من شأنه الإضرار بالبيئة، والتأثير على صحة الإنسان سلبا، مما يضر بالاقتصاد القومى، والماء وهو مصدر الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. أساس الحياة، ولذا فإن استخدامه ينبغى أن يكون بقدر، بعيدا عن الإسراف، حتى فى العبادة، فعن عبدالله بن عمرو بن

(١) جاك حلاق، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٥.

العاص، أن النبى ﷺ مر بسعد، وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفى الوضوء سرف؟ قال: نعم. وان كنت على نهر جار[١].

ومعظم التنبؤات العالمية - إن لم تكن كلها - تشير إلى أن الحروب القادمة سيكون سببها الماء؛ لأن الزراعة تستهلك جزءاً كبيراً منها، فضلا عن ماء الشرب. ومن هنا فإن البحوث الزراعية تعمل على تقليل استخدامها فى الزراعة، وبات الرى بالغمر عملا غير مطلوب، وكان العدول عنه إلى الرى بالتقطير، وغير ذلك من المستحدثات التى تقلل فاقد المياه، حتى فى زراعة المحاصيل التى لا تستهلك الكثير منه وذلك بسبب تدنى نصيب الفرد من المياه عاما بعد عام.

والمعول فى ذلك أن يتعود النشء النظر إلى الماء كقيمة مهمة فى حياتنا، يجب الحفاظ عليها، مهما كان كثيرا، وسلوكيات البيت والمدرسة، والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية تجاه الماء من أفضل معززات لهذا السلوك.

جـ- الحفاظ على الصحة: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف». ومع أن القوة هنا هى القوة الشاملة: عقدية، ومالية، وعلمية.. إلا أن القوة البدنية مطلوبة، لأنها لازمة أساسية من لوازم الإنتاج، وسرعة الأداء. ومن هنا فإن الذين يفرطون فى صحتهم ولا يحافظون على سلامة أبدانهم. انما يمثلون هدرا اقتصاديا من جهتين:

الأولى: أن تكوين الخبرة العلمية، والعملية تستغرق زمنا طويلا، يتعذر استعواضه خاصة إذا كانت هذه الخبرة، خبرة متميزة، ونادرة.

الثانية: أن المريض يكلف أسرته، ودولته الكثير، ويكون عبئا على غيره، ناهيك عما يمكن أن يؤديه من عمل لو كان سليما معافا.

ومن هنا فإن الحفاظ على الصحة مطلب كل أمة، الأمر الذى يؤكد حرصها على محاربة كل ما يمكن أن يكون خطرا على صحة شبابها. ومن هذا الخطر

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ ١٢/ ٢٣/ ٧٠٦٥، القاهرة: دار المعارف.

«المخدرات والمواد الكحولية»، التى سوف يستخدمها الخاسرون فى الألفية القادمة، أو التى سوف يستخدمها من ليس لهم دور فى حركة الحياة، خلال الفترة القادمة، فهى تزودهم بوسيلة للهجرة الداخلية، والتى تعد نوعا من الهروب المعادى لعالم، لا يقدم لهم شيئا(١).

وقد حرم الإسلام الخمر، وكل مادة من شأنها تعطيل حركة العقل والحواس من التفكير والإبداع، حتى لا يعيش المسلمون مهمشين بعيدين عن الإسهام فى تطوير الحياة. وما يسرى على الخمر الحسية يسرى -كما يبدو- على الانعماس فى نشوة الحياة ونعيمها، بحيث تستولى تلك النشوة على أوقاتهم، وأعمالهم، فيبدون وكأنهم سكارى مغيبون.

إن الحياة صراع فى معظمها، ومنافسة فى كثير من مجالاتها. وتجنيب القوة الضاربة - وأعنى بها الشباب- عن حلبة الصراع والمنافسة فيه ضمان النصر للأعداء، والغلبة لهم. والمستهدف فى النهاية إضعاف الأمة.

وتلعب وسائل الإعلام المختلفة: المعلنة منها، والخفية، دورها فى تحقيق هذا الهدف. ان الحفاظ على الصحة ليس مسئولية المدرسة وحدها، وإنما هو مسئولية الكل فى المجتمع. والمنهج المدرسى بما فيه من مضامين، ومحتويات لابد أن يغذى هذا الجانب ويعمل على تنميته لدى المتعلمين. وفى مقدمة من يقوم بذلك الإدارة المدرسية، ما تملك من ضبط وربط، وقوة رادعة تجاه الطلاب المخالفين، وكذا المعلم باعتباره قدوة ليس فى المستوى العلمى فقط وإنما فى الجانب السلوكى، إلى جانب الاهتمام بالطلاب الرياضيين الذين يمكن أن يكونوا مصدر إثارة عقلية لغيرهم، وأداة محاكاة لمن يريدون أن يثبتوا ذوات أنفسهم.

ولعل مما يساعد الإنسان على أن تكون صحته أكثر حظا، وبعدا عن المرض، كما تجلت فى شخصية الرسول ﷺ «الزهد فى الطعام، ونيل القليل منه، والبساطة فى الملبس والعيش، والنظافة التامة التى يقتضيها الوضوء، واستخدام السواك، والنشاط الدائم: سواء من ناحية العبادة، أو النشاط الرياضى، والقصد

---

(١) جاك أتالى، مرجع سابق، ص ٣٩.

في كل شيء، وفي الملذات قبل كل شيء، والسمو عن عبث الأهواء، والرفعة النفسية والاتصال الدائم بالحياة والكون، في خير صور الحياة وأدق أسرار الكون[(١)].

د - الحفاظ على المال العام: ويعني بالمال العام كل ما تمتلكه الدولة من عقارات أو منقولات أو مال نقدي، أو طرق، أو مواصلات. ويشكل كل ذلك خدمة للمواطن. ووسيلة له لقضاء حوائجه. من هنا فإن غرس عملية الحفاظ على هذه الممتلكات، وصيانتها من التلف، أو الإفساد فيها - ضرورة اقتصادية ومهما كان من شبهة الملكية لهذه الأشياء فإنه ليس مبررا لسرقة هذا المال، أو إتلاف المقتنيات الحكومية، أو التعامل معها بما يلحق الفساد بها.

وقد حفل التاريخ الحضاري للتعامل الإسلامي للمال العام بكثير من المواقف وتعد - بحق - نموذجاً يفخر به كل مسلم، تتضاءل أمامه كل الحضارات، ولعل في هذه المواقف - وهي تعليمية - بلا شك ما يلي: لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة - قال: أن فدك كانت بيد رسول الله ﷺ فكان يضعها حيث أراد الله، ثم وليها أبو بكر، وعمر كذلك، ثم أقتطعها مروان، ثم أنها قد صارت إليَّ، ولم تكن من مالي أعود منها عليّ. واني قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ [(٢)].

هـ- الحفاظ على حسن الخلق، لأن عائده الاقتصادي أكبر مما يتصور، ولا يمكن تحويله إلى كم اقتصادي، إذ أنه يتصل بحسن المعاملة في البيع والشراء، وشتى مجالات التعامل. وحسن الخلق أن يكون المرء لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة. بهذا تدوم بين الناس مودته وتتأكد محبته، وتقال عثرته، وتهون زلته وتغتفر ذنوبه، وتستر عيوبه، فإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، وتسهلت له الأمور الصعاب، ولانت له الأفئدة الغضاب.

---

(١) محمد حسين هيكل، حياة محمد، مرجع سابق، ص ٤٩٥.

(٢) محمد الخضر بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية «الدولة الأموية»، بيروت: دار القلم، ١٩٨٦، ص ٥٢٨.

ومن ضاقت أخلاقه، ضاقت أرزاقه، والناس منه فى شؤم وبلاء، وهو من نفسه فى تعب وعناء. وأما من ألان للخلق جانبه واحتمل صاحبه ولطفت معاشرته، وحسنت محادثته - مال إليه الخلق، واتسع له الرزق، وهو من نفسه فى راحة، والناس منه فى سلامة، وأدرك المطلوب، ونال كل أمر محبوب. وفشل معظم حالات الاستيراد والتصدير- كنموذج سببه عدم الالتزام الخلقى.

٢- أن سلطان الدين ربما يقل فى نفوس بعض الأفراد. هذا السلطان الذى يعطى الإنسان إحساسا يجعل منه إنسانا متوازنا بين الحق والواجب، فقد صار الجوع المادى فوق كل جوع آخر، فانشغل الرجل بجمع المال، وانشغلت المرأة -أحيانا- بكل مشهيات الحياة، وصار كل من الرجل والمرأة يعانى من حالة جشع مادى، وجوع عاطفى، وخوف من تحمل المسئولية تجاه تكوين الأسرة.

ان الإنسان المعاصر يحمل جواز سفر، يتنقل به من بلد لآخر، كأنه بلا وطن، حيث يوجد المكسب والأجر المرتفع للرجال والنساء، لا بهدف تكوين أسرة بالدرجة الأولى، ولكن بهدف المكسب المادى الوفير، ويلى ذلك تكوين الأسرة. هذا ولم تعد احتياجات الإنسان متوازنة من حيث أسلوب إشباعها، كما لم يعد واضحا دور الفرد كرجل، ودوره كامرأة[1].

وإذا كان الإنسان مأموراً -بالضرب فى الأرض، والسعى فيها طلبا للرزق تحقيقا لقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك: ١٥]. فإن هذا السعى مرهون بقدرته على التوازن بين المطالب المادية والمعنوية، وتحقيق الهدف من قيامه بدوره فى الحياة. فعن أنس بن مالك. قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين، حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه»[2].

---

(١) بنجامين سبوك، تربية الأبناء فى الزمن الصعب (ترجمة: منير عامر، وشريف عامر)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩، ص ص ٢٠، ٢١.

(٢) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، صحيح مسلم، جـ٤، بيروت: دار احياء التراث العربى، ص ٢٠٢٨.

ومعنى عال جاريتين قام عليهما بالمؤونة والتربية، ونحوها، لأن صلاح الجارية على أى مستوى بنتا، أو زوجة، أو إمائيه صلاح المجتمع، وفى رواية «من ابتلى من البنات بشىء فأحسن إليهن كن له سترا من النار»[١]، وجاء التعبير بـ «ابتلى»، لأن الناس لا يتحمسن لولادتهن فى العادة. وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨].

وجاء التصريح بالنسبة للبنات، لأنهن مصدر كل تربية للإنسان، أيا كان نوعه، ولأن الأم فى العادة أكثر التصاقا بطفلها من الأب. ومن هنا فإنه لا يوجد فى أى مجتمع إنسانى حضانة نموذجية تقدم البديل العاطفى للأم والأب.

ان غلبة ثقافة المادة، وسيطرتها على سلوك الأفراد، ينبغى أن توضع فى إطارها الصحيح بحساب الأولويات المستقبلية، لا بحساب الأولويات الآتية، الأمر الذى يحتم تقديم تربية الأبناء على كل اعتبار «أن الفصيلة الإنسانية تعلم جيدا أن إعداد طفل واحد يحتاج إلى رعاية لمدة تزيد على خمسة عشر عاما، من التدريب، وتوفير الاحتياجات المادية والنفسية»[٢].

يقول على بن أبى طالب رضي الله عنه :العلم خير فى المال، لأن المال تحرسه، والعلم يحرسك، والعلم تفنيه النفقة، والعلم يزكوا على الإنفاق. والعلم حاكم، والمال محكوم عليه. مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة، وآثارهم فى القلوب موجودة.

٣- أن ثقافة الاتكالية يعتنقها كثير من الناس، لأنها تصادف هوى فى نفوسهم، من حيث الركون إلى الراحة، والتسليم بالمقادير التى يجهلونها، وبالتالى فإنها تحيل الإنسان إلى فرد كسول خامل لا علاقة له بالهمة أو النشاط، أو الحركة. وربما كان مصدر ذلك الإطار الثقافى الذى يعيش فيه.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٠٢٧.

(٢) بنجامين سبوك، مرجع سابق، ص ٤٤.

وهذه الثقافة التى تدعو إلى الاتكالية تلقى قبولا واستحسانا لدى البعض، اعتمادا على ما يقال من أمثال: «ما كان لك سوف يأتيك» و «اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب». وربما يكون لهذه الأمثال وغيرها التى يسمعها التلميذ، أو يقرؤها، وهى تدعو إلى التواكل وترك الأمور تسير كيفما اتفق، دون تدخل منه، أو اجتهاد للأخذ بالأسباب - آثارها الممتدة، والتى تعيش مع الإنسان لمدة طويلة بحيث تصبح نمطا عاديا وثقافة ملازمة له طول حياته.

ويبدو أن الإنسان يفسر الثقافة الأصيلة بالمعنى الذى يرضيه، ويشبع رغبته، ففى الحديث عن على، قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا، وفى يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار» قالوا: يا رسول الله، فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: لا. اعملوا. فكل ميسر لما خلق له. ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

والحق يقال: ان اطلاق لفظ الثقافة على المضامين التى حواها القرآن الكريم، والسنة النبوية، هو من قبيل التجاوز والنزول إلى لغة الخطاب التربوى، أو إلى لغة الخطاب المعاصر، انطلاقا من أن مفهوم الثقافة مفهوم قابل للتغيير والتطوير، وليس القرآن الكريم والسنة النبوية كذلك، بمعنى أن العمل هنا فى الحديث الشريف قيمة ثابتة لا تتغير مهما تغيرت المفاهيم الثقافية الأخرى، لأن القرآن الكريم والسنة النبوية لا يقدمان إلا ما فيه حياة للبشر. وهى حياة حقيقية شاملة فيها نفع للدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ان مثل «كل تأخيرة فيها خيرة» قيمة ثقافية سلبية، يقصد بها تبرير التسويف فى العمل، وبطء الإنجاز. وربما يكون هذا التأخير سببا فى إفساد العمل،

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، ص ٢٠٤٠.

والحرمان من الفوائد المترتبة عليه. ان العمل الآن لم يعد مخرجا لشغل أوقات الفراغ، أو التلهى به، أو توفير الحد الأدنى من المعيشة، بل أصبح أمراً ضروريا لتنمية الفرد والجماعة، وتوفير أسباب القوة والمنعة لهما أيضا. ان الخالق سبحانه قرر فى كتابه الكريم بأنه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]. ليعلم الخلق بأن العمل ليس مطلوبا فقط، وإنما العمل الذى يتميز بالدقة والحسن والجمال، ويكون باعثا على الراحة والسعادة.

إن ثقافة التواكل والإهمال فى العمل أمر مرفوض، بينما ثقافة التوكل وسرعة الإنجاز، والاعتماد على الله أمر مرغوب، والاعتماد على الله فى العمل، والإخلاص فيه ينتهى إلى إتقانه، وتجويده فضلا عن المثوبة من الله.

ان العمل التنموى، والذى يؤدى إلى القوة الشاملة، إنما هو محصلة نظام متكامل، على مستوى عال من الجودة، يقوم فيه كل عامل بدوره، مقام العضو فى الجسد فإذا اختل منه عضو ما اختل سائر الجسد. وهذا التكامل يشمل الجانب المادى والمعنوى. وهذا التكامل المادى يتمثل فى الأداء العملى العالى، والعقلى المتقد بكل نشاط إنسانى تنظيرا وتطبيقا، ويتمثل الجانب المعنوى فى حديث رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(١).

ان أى عامل – فى اقتصاديات الموجة الثالثة- لا يتمتع بمهارة كبيرة يمكن أن يستبدل، وبسرعة بأى عامل آخر، وبتكاليف أقل، بينما – على النقيض- سيكون الحصول على الشخص المناسب، ذى المستوى المرتفع من المهارة المتخصصة التى تتطلبها اقتصاديات الموجة الثالثة، أمراً أكثر صعوبة، وأكثر تكلفة(٢). من هنا فإن ثقافة التواكل فى العمل، أو التواكل على الغير، ثقافة مستبعدة بالضرورة فى عصرنا، وفى كل عصر.

---

(١) صحيح مسلم، ص ٢٠٠٠.

(٢) الفن وهايدى توفلر، مرجع سابق، ص ٥٩.

٤- رعاية الجار:

يحتل الجار: فرداً، أو جماعة فى الشريعة الإسلامية، أو بلغة العصر فى الثقافة الإسلامية مكانة مهمة، وذلك للأسباب التالية:

- أن العلاقة الطيبة مع الجار تحقق لكلٍ الأمن والأمان، وتبعد شبح الترقب والقلق والخوف، ولا ريب فى أن الأمن والأمان من المطالب الأساسية للإنسان أيا كان هذا الإنسان.

- أن العلاقة الطيبة مع الجار تعطى الفرصة للإنسان أن يتفرغ لعمله؛ مما يساعد على سرعة الإنجاز فضلا عن تحقيق التنمية الشاملة: فردا، أو جماعات، أو دولا.

- أن العلاقة الطيبة مع الجار، تساعد على إقامة علاقات أخرى متعددة مع الآخرين.. وبالتالى تتسع دائرة الطمأنينة والاستقرار لدى الناس.

- أن العلاقة الطيبة مع الجار تحقق مظهرا من مظاهر الشريعة الإسلامية، وتجلب رضا الله ومحبته؛ إذ هى بهذه الحالة علامة من علامات الإيمان. ففى الحديث الشريف من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، وفى رواية أخرى «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره»[1]. والجار فى المدرسة، وفى البيت، وفى الأرض وفى الأماكن العامة، وفى العمل، والجار بين الدول- له حقوق وواجبات مبسوطة فى أماكنها المعروفة. وكلها تؤكد على مراعاة هذه الحقوق، وذلك بهدف الحفاظ على الوحدة الإنسانية بين بنى البشر، وتحقيق معنى الوجود الإنسانى، من تراحم، ومودة، وتماسك اجتماعى، وتحقيق المصلحة والمنفعة للكل.

والمتأمل فى الشريعة الإسلامية يلحظ تأكيدها على ضرورة الاهتمام بالجار،

---

(١) صحيح مسلم، جـ١، ص ٦٨.

ففى الحديث أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مازال جبريل يوصينى بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»[1]. ومع هذا التركيز الواضح على حسن الجوار فإن المشاهد، والملموس فى حياتنا اليومية- ربما يبدو معاكساً لذلك، إذ يظهر النفور، والحساسية الشديدة، وكذا التنافس فى كل شىء من بعض الجيران بعضهم البعض، حتى ليخيل للرائى أن التباعد هو الأصل، والتقارب هو الفرع وربما تمتد هذه الحساسية لبعض الأطفال الذين يجلسون معا على كرسى الدراسة، الأمر الذى يمكن تفسيره إلى أن مصادر أخرى تغذى هذا التباعد أو شبهة التنافس مثل: الأسرة، أو وسائل الإعلام، أو الغيرة الشخصية، أو بعض الأقران.

ان رعاية الجيرة، وتأصيل ثقافتها، وضرورة الحفاظ عليها كمظهر من مظاهر الإيمان ينبغى أن تقدم للنشء، بحيث تصبح قيمة ثابته توجه سلوك هذا النشء فى حياته المستقبلية؛ إذ أن مقروءات التلميذ، وهو فى الطفولة، وكذا الممارسات المقبولة، يتعذر عليه نسيانها، أو التحلل من بعضها على الأقل، إذ صاحبها تعزيز من كل من يحيط بهذا النشء، وربطها بالمثل الإسلامية الرفيعة.

أما الجار بين الدول فقد وضع الإسلام الضمانات التى تكفل العيش فى أمان. وهو ما ينبغى أن نرسخه لدى النشء، ويشبوا عليه، ليصل إلى مرحلة العقيدة الثابتة، والتوجه المنتظر. ولعل من هذه الضمانات مايلى:

(أ) إعداد القوة اللازمة والمناسبة للعصر، لأنها الضمان الأكيد لردع كل من تسول له نفسه بالاعتداء سواء ماهو ظاهر العداوة، وما ليس كذلك، فضلا عن العدو الذى أشار إليه القرآن الكريم وحدده، استنادا إلى الممارسات التاريخية، التى لا يمكن أن يمحوها الزمن، مهما نادى بالسلام والأمان، ولعل ثقافة السلام التى يتشدق بها البعض، ويحاول أن يضمنها المناهج الدراسية - ماهى إلا ضرب

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، ص ٢٠٢٥.

من المستحيل. والذى لا يمكن أن يتحقق أبداً، فضلا عن التضليل الذى يحيط بها. وكيف تقبل ثقافة السلام والظلم قائم. والمواجهة مستمرة، وألاعيب الدس، والغدر لا تسكت!! ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

(ب) الأمر بالإصلاح، ورأب الصدع: فى حالة الخلافات بين الجماعات المسلمة بينها علاقة جوار أو غيره ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. وحتى الرجوع إلى أمر الله لا يحسمه إلا القوة، إذ أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ومعروف أن «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله ، وعرضه»[١].

(ج) الركون إلى السلم، واعتباره توجها ثابتا، وثقافة أصيلة، مالم يخدش بعدوان، أو يدنس بظلم. وحقوق الجوار لا يبررها ظلم ولا عدوان. فالأرض والعرض والنفس والمال والدين -حدود لا تعرف المرونة، أو المجاملة،أو الخوف، وإنما تتطلب الاستنفار وعدم السكوت على من يمسها، مهما كان. والتوكل على الله هو الظهر الذى يحمى من آمن به، واعتمد عليه.

وقد حدد القرآن الكريم معالم المعاملة التى ينبغى أن تكون فى قوله تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

(د) الترغيب فى الجهاد، والرباط فى سبيل الله، وليس المجاهدون فى سبيل الله جيشا من المرتزقة يبيع نفسه فى مقابل الحصول على غنائم من العدو، أو أجر محدد، وإنما هم يقاتلون للحق، ومن أجل الحق، وأى شبهة تلوث هذا الحق فلا

(١) صحيح مسلم، الجزء الرابع، ص ١٩٨٦.

يعد جهادا، بل يفوت رضا الله وثوابه، عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: «أى الناس أفضل؟ فقال: رجل يجاهد فى سبيل الله بماله ونفسه. قال: ثم من؟ قال: مؤمن فى شعب من الشعاب، يعبد الله ربه، ويدع الناس من شره»[١]. وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لغدوة فى سبيل الله، أو روحة، خير من الدنيا وما فيها»[٢]، ليتأكد المسلم أن حياته لن تضيع هدرا.

والجهاد فى عرف الشرع قتال من ليس لهم ذمة من الكفار، وفى العرف العام هو الحياة بأسرها، لقوله ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب»[٣]. ومعنى هذا أن الجهاد الأصغر، وهو ميدان القتال - جهاد مؤقت، وعمره قصير، أما الجهاد الأكبر فيتطلب مقاومة مستمرة للضغوط التى تقع على الإنسان، أو أمامه. وإنما يدخل ذلك فى باب الجهاد، لأن ضبط النفس، وكبت غرائزها والسيطرة على شهواتها -وهى قوية وملحة- يحتاج إلى إيمان ثابت، وقدرة على توجيهها إلى المسار الصحيح ووضعها الفطرى وهو ما يعد ترجمة حقيقية لشرع الله بدون تحيز للنفس، أو مجاملة الصديق، أومسايرة للهوى. ويخلق ذلك كله الاستقامة.

والقتال فى الإسلام، ينطلق من المبادىء التالية:[٤]

١- أن الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه بالقتال ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ولأن الدعوة الإسلامية قوامها التبشير والإنذار ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**﴾ [الأحزاب: ٤٥].

٢- أن من بدأ بالعدوان يحق للمسلمين رده بالقتال، لأنه اعتداء وظلم. والله لا

---

(١) صحيح مسلم، الجزء الثالث، ص ١٥٠٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٩٩.

(٣) رواه البيهقى. وفى رواية: «قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر، قال مجاهدة العبد هواه». أ. ت.

(٤) محمد الخضرى بك، نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين، مرجع سابق، ص ص ٦١، ٦٢.

يرضى بذلك ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

٣- أن من رئى منه خيانة، أو تحيزا للأعداء، قوتل، حتى يؤمن جانبه، ولأن السكوت عنه، يلحق الضرر بالمسلمين، ويغالى فى تصرفاته ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

٤- أن من أسلم فقد عصم دمه وماله إلا بحقه، والإسلام يقطع ما قبله.

ويبدو من استقراء حركة التاريخ، ومساره فى القريب والبعيد أن الأمة الإسلامية، والأمة العربية، أمة مستهدفة، يشهد بذلك طرد المسلمين من الأندلس، ومحاولة إخراج الفلسطينيين من ديارهم ومصادرة ممتلكاتهم، وقطع أى صلة تربطهم ببلدهم، ناهيك عن كثير من الدول الإسلامية، التى تتعرض للإهانة، والحصار، والتشريد، والإصرار على طمس هويتها، وحذف كلمة «الجهاد» من القاموس الثقافى لتلك البلاد، بل وتفسيرها وتحميلها معنى مغايرا لمعناها الحقيقى، ومعادلتها بالإرهاب.

ولعل المطالبة باستبعاد مفهوم الجهاد من المناهج الدراسية، لا يرجع فقط إلى المعنى الظاهر منه، وهو الاستبسال فى القتال، والدفاع عن العقيدة بالأسلوب المسلح، واستخدام كل آلة الحرب؛ وإنما يرجع إلى المعنى الحقيقى لمفهوم الجهاد، وهو الذى حدده الرسول ﷺ فى حديثه السابق بالجهاد الأكبر، ويتبلور من الخلفية الآتية:

(١) أن درجة الجهاد فى الإسلام عالية، وقيمته محددة بنص الآية الكريمة، والتى تؤكد أن حب الجهاد يأتى مباشرة بعد حب الله ورسوله ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤]. وهذا معناه أن حب الجهاد يدخل فى صلب الإيمان.

(٢) أن ثواب الشهيد عند الله ثواب عظيم، لا يصل إليه، إلا من جاهد فى سبيل الله فقط بعيدا عن أى مرمى آخر. فعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «يغفر للشهيد كل شىء (أو ذنب)، إلا الدَّين»[١].

(٣) أن مراعاة الجهاد الأكبر -وهو جهاد النفس- يحقق المعادلة الصعبة الناشئة عن عدم التوازن العسكرى، أو القوة المسلحة بين المسلمين وغيرهم، الأمر الذى يجلب المدد من الله لعباده المؤمنين. يدل على ذلك وصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبى وقاص، ومن معه من الأجناد: «أما بعد، فإنى آمرك، ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا فى المعصية، كان لهم الفضل علينا فى القوة وإلا ننصر عليهم بفضلنا، لم نغلبهم بقوتنا[٢].

(٤) أن مراعاة الجهاد الأكبر - لا يحمى المسلمين وقت الحرب فقط، بل -أيضا- فى حالة السلم، إذا ما مال العدو إليه، حتى وإن كانت نية هذا العدو موجهة إلى الخداع والتآمر. وطمأنة الله لعباده لا يعلوها طمأنة ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦١، ٦٢]. لأن إحسان الظن بالله - مع الأخذ بمقتضيات التوكل - مرفأ أمان، وموصل

(١) محمد بن علوى المالكى، فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب، جدة: مطابع سحر، ١٩٨٣، ص ٢٠٣.

(٢) أحمد زكى صفوت: جوهرة خطب العرب، جـ١، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٩٦٢، ص ١٥.

للهدف. ومهما يكن من أمر فإن الجهاد، بمعنييه: الأصغر والأكبر، لابد أن يقدم للمتعلم، ليفهمه، ويعيه. ومهما كانت الصفقة المتوقعة من تركه، أو التغاضى عنه، فهى صفقة خاسرة. ومهما يكن الاعتماد فى هذا الأمر على المنهج الخفى وما تؤديه بعض المؤسسات التربوية الأخرى - فإن ذلك لا يغنى عن المدرسة، باعتبارها المؤسسة المسئولة. ولا يخفى أن قيام المدرسة بدورها المسئول، إنما يعبر عن واجهة أصيلة للمجتمع، وان تعارضت مع وجهات نظر الآخرين.

(٥) أن ترسيخ مفهوم الجهاد بمعنييه: الأصغر والأكبر - يسهم- إلى حد ما، أو بنسبة ما - فى التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، فضلا عن الجانب العسكرى. ففى الجانب الاقتصادى يحافظ - من خلال رسوخ هذا المفهوم فى ذهنه بوعى - على الممتلكات، والإنجازات، التى تمت، أو التى لم يتم إنهاؤها، وفى الجانب الاجتماعى يقلل، أو يخفف من الخلافات التى قد تنشأ بين الناس الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى التماسك الاجتماعى. وعلى العموم فإن العائد من فهم الجهاد بمعناه الصحيح، لا يقدر بثمن، وهذا المعنى يدخل تحت قول رسول الله ﷺ «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروه سنامه؟ الجهاد»[١].

أن شكل العلاقات بين الدول الآن، وقبل الآن، لا يمكن أن يستقر على حال، فصديق اليوم قد يكون عدو الغد، وعدو اليوم، قد يكون صديق الغد. وهذا الأمر مقرر بين الدول، والشعوب، برمتها، بل ان الأشقاء قد يناصب بعضهم البعض العداء. ورأب الصدع بينهما يبدأ من الصلح، وينتهى بالقتال، حتى يفىء الأشقاء إلى أمر الله، ولعل اليهود هم أكثر الناس عداء لنا، وقد أعفانا الله مئونة الكشف عن تلك العداوة، بل وحددهم تحديدا دقيقا، حتى نحتاط

(١) محمد مصطفى الأعظمى، سنن الحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى، ابن ماجه، (٢٠٩-٢٧٣)، جـ١، ص ٣٧٣.

منهم، ونحذر من شرهم، ونستعد لكيدهم، والآية الكريمة صريحة فى هذا التحديد ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

ولئن أحسنا الظن بتلك الشعوب - وهو وهم حقيقى - فإن العدو الذى يعلن عن نفسه بالدرس والخديعة، والغدر والوقيعة - يتطلب منا تعليم النشء بطبيعة هذا العدو وحقيقته. وأضعف الإيمان فى مثل هذا الوضع ترسيخ مفهوم الجهاد، وكيفية جعله صمام أمان، يصد أى هجوم متوقع منه أو من غيره، تحقيقا لأمر المولى سبحانه فى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. لأن العداوة قد تظهر فجأة ولا يخمدها إلا القوة، وسرعة الحسم. والقوة ترغم الخصم على مراجعة حساباته، والتأنى فى قرار المواجهة خصوصا حروب هذا العصر، فإنها مكلفة، وخسائرها فادحة.

(٦) أن الجهاد الأكبر، قد يفضى بصاحبه، إلى أن يبلغ منزلة الشهداء، إذا كان صادقا فى طلب الشهادة. فعن سهل بن حنيف -رضي الله عنه- أن رسولا الله ﷺ قال: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه»[1]. وفيه حث على معايشة الجهاد، واستمرار طلبه، والاستعداد للقاء العدو فى أى لحظة. وهذا الاستعداد لن يضيع سدى عند الله، طالما توافرت النية الصادقة، والرغبة فى الشهادة.

والحق يقال: ان ترك الجهاد هو التهلكة بعينها، يدل عليه ما جاء فى سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ما رواه الترمذى فى هذا الخبر فقال:

---

(١) محمد بن علوى المالكى، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

«كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم، أو أكثر . . . فحمل رجل من المسلمين على صف الروم، حتى دخل فيهم فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله! يلقى بيديه إلى التهلكة. فقام أبو أيوب الأنصارى فقال: يا أيها الناس، انكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام، وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرا: أن أموالنا قد ضاعت وان الله قد أعز الإسلام، وكثر ناصروه، فلما أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه ﷺ ، يرد عليه ما قلنا: وأنفقوا فى سبيل الله . . . . الآية. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو[1].

ويؤكد هذا المعنى، ما روى عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة (بالنقد) وحتى ترجعوا إلى دينكم»[2]. رواه أبو داود.

٥- التأكيد على الحياة الأسرية : ستظل الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع الإنسانى، وستظل هى المسئولة عن التنشئة الاجتماعية الصحيحة للطفل، وستظل هى الحافظة للجوهر الإنسانى فى الطفل، وهو الفطرة «كل مولود يولد على الفطرة» وهى المسئولة عن إزالة أى شيء يلوث هذه الفطرة.

والأسرة نظام اجتماعى، اتفقت عليه كل الأديان، ويمثل ثقافة مشتركة للإنسان أيا كان، وان اختلفت بعض التشريعات فى نظم عنها فى الأخرى. ولعل الآية ٢٣ من سورة النساء، وهى التى تجمع المحرمات من النساء فيها إشعار

---

(١) أبى عبدالله بن أحمد الأنصارى القرطبى، الجامع لأحكام القرآن، جـ٢، بيروت: دار احياء التراث العربى، ١٩٨٥، ص ص ٣٦١، ٣٦٢.

(٢) الإمام الحافظ بن حجر العسقلانى (ت: ٨٥٢هـ)، بلوغ المراد من أدلة الأحكام، بيروت: دار إحياء العلوم. د. ص ٣٤٦.

بضرورة التكاتف، والتعاون مع الأب والأم فى تربية الأولاد، لأن البنات والاخوات والعمات والخالات. . .إلخ. المحرمات كل واحدة منها لديها خبرة ما فى تربية الأولاد، فهى مطلوبة لأن تقدم خبرتها، وتشارك برأيها، وتسهم بأمانيها لهذا المولود، لأن تربيته الصحيحة أمر يعود نفعه على الكل بل ان وجود طفل فى أسرة، بها الأجداد والجدات، والعم والعمات، أو يزورونها - لهو طفل يثق بنفسه، ويشعر بكيانه، ويحس بالأمان أكثر من غيره، ويحيط به الحب من كل جانب، وكل ذلك ينعكس عليه فيما بعد، لأن الطفل البشرى لا يمكن أن ينفصل عن تاريخه: تأثيراً وتأثراً، كما أنه يتأثر بما يدور حوله، خاصة بما يصدر عن الأب والأم، اتفاقا واختلافا، وحسنا وقبحا، وصدقا وكذبا، وغير ذلك. من هذا المنطلق فإن الطفل السوى هو محصلة مواقف ثقافية متعددة، منها مايلى:

أ - احترام آدمية الإنسان، بعدم ضربه، أو إيذائه، أو إهانته، انطلاقا من الحديث الشريف عن ابن حاتم عن النبى ﷺ قال: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه. فإن الله خلق آدم على صورته»[١]. وفى حديث هشام بن حكيم بن حزام. قال: «مر بالشام على أناس، وقد أقيموا فى الشمس، وصب على رؤوسهم الزيت. فقال: ما هذا؟ قيل: يُعَذبون فى الخراج، قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان الله يعذب الذين يعذبون فى الدنيا»[٢]. يتساوى فى هذا الاحترام: الأولاد، والأباء، والأمهات، وكل من يتصل بالطفل حتى الخادم أو الخادمة.

ب- الرفق بالحيوان الذى لا يؤذى، وعدم ايذائه، لما روى عن عبدالله، أن رسول الله ﷺ قال: عذبت امرأة فى هرة. سجنتها حتى ماتت. فدخلت فيها النار، لا هى أطعمتها وسقتها، إذ هى حبستها. ولا هى

(١، ٢) صحيح مسلم، جـ ٤، ص ٢٠١٧.

تركتها تأكل من خشاس الأرض»(١). وعن النبي ﷺ قال: «من يحرم الرفق يحرم الخير»(٢).

جـ- الحرص على سلامة الطريق، وخلوه من الأذى. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخذه. فشكر الله له. فغفر له»(٣).

د- الحرص على تقديم الخير للناس، وكل ما من شأنه الحفاظ على التماسك الاجتماعي، وزيادة الروابط الإنسانية بينهم، مهما كان مستوى هذا الخير. عن عبدالله بن الصامت، عن أبي ذر. قال: قال لي النبي ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»(٤).

هـ- الحرص على أداء الحقوق لأصحابها، والبعد عن الظلم، لأن أسوأ المشاعر الإنسانية الإحساس بالظلم، وعدم القدرة على رده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»(٥).

وهذا دليل على طمأنة المظلوم بأن حقه سيرد إليه إن عاجلا، أو آجلا، وبأن العادل لا تضيع حقوق العباد عنده.

و- المسارعة إلى بر الوالدين، وصلة الرحم، وعيادة المريض، وغير ذلك من أبواب البر. ورغم أن الإنسان يشعر بالراحة والمتعة، والسعادة، وهو يقوم بكل ذلك إلا أنه فوق هذا يثاب عليها من المولى سبحانه، وتضم إلى

(١) صحيح مسلم، جـ ٤، ص ٢٠٢٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٠٣.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٢١.
(٤) المرجع السابق، ص ٢٠٢٦.
(٥) المرجع السابق، ص ١٩٩٧.

قائمة حسناته. عن ثوبان عن النبى ﷺ قال: «ان المسلم إذا عاد أخاه المسلم، لم يزل فى خرفه[١] الجنة حتى يرجع»[٢].

ز - الفهم الصحيح على أن المرأة مثل الرجل تماما أمام الله، ولا فرق بينهما إلا فى الدور الذى يؤديه كل. فهما يتساويان فى العبودية لله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. الأمر الذى يؤكد أن احترام كل منهما للآخر ثابتة ثقافية فى الإسلام. وبدون هذا الفهم الصحيح يعد تعصبا ممقوتا ترفضه الشريعة الإسلامية وكما جاء فى لفظ الترمذى[٣] «ان النساء شقائق الرجال».

والرجل والمرأة شريكان أساسيان فى الأسرة، وفى الحياة. وعلى قدر التوافق بينهما يكون التوافق مع الحياة، وبالتالى توافق الأولاد أيضا مع الحياة. ونظرة التقدير والاحترام التى تغرس وتنمى منذ الطفولة عامل نجاح وإنجاح للولد وللبنت. وكرامة كل منهما أمر مقرر وثابت ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. والحفاظ عليها داخل الأسرة، وبين البنين والبنات، له آثاره الطيبة فيما بعد، إذ أن بيئة الطفل من أهم عوامل تشكيل الشخصية فى الطفولة المبكرة، وأثرها باق ومؤثر، إن ادرك الإنسان أو لم يدرك.

وتسهم المدرسة بمناهجها، والمضامين المقدمة للمتعلم على تهيئة الجو النفسى لكل من الولد والبنت، لتقبل مبدأ تكوين الأسرة، والبعد عن ثقافة تخويف الطرفين أو أحدهما، أو حذر كل واحد منهما من الآخر، مما قد يشوب هذه العلاقة فيما بعد عامل الشك، والريبة، بل وتربص أحدهما بالآخر. ان أساس استقرار الحياة هى الود بين الطرفين بل الود بين أسرتين، زاد أحدهما بالآخر،

---

(١) الخرفة: ما يجتنى من الفواكه فى الخريف.
(٢) المرجع السابق، ص ١٩٨٩.
(٣) سنن الترمذى (١/ ١٨٩)، رقم (١١٣).

وأضاف إلى رصيده قوة أخرى. والإسلام زاخر بكثير من المواقف التى تنمى فى الإنسان إنسانيته، وتربيه التربية المثالية، ولا أدل على ذلك من التشريعات المتصلة فى كتب الأحوال الشخصية من زواج، وطلاق، ورضاعة، وحضانة، ونسب، وميراث، وكل ما يحفظ للأسرة استمرارها، والقيام بدورها، وهى تشريعات صادرة عن المولى سبحانه، لا مجال فيها لمجامل، ولا نفع فيها لمنتفع، كما هو الحال فى القوانين الوضعية التى تفصل فيها القوانين أحيانا طبقا للهوى والمحسوبية، والمجاملات الفردية والجماعية.

ونظراً لأن الحياة الأسرية هى النواة الأولى للمجتمع، فإن هناك هيئات اجتماعية ومؤسسات تربوية، وجماعات أهلية تتولى تعليم النشء وغيره ما يتصل بالأسرة، إلا أن المدرسة تظل هى النافذة الرسمية التى يطل منها التلميذ على مجتمعه، والقادرة على اختيار جوانب الثقافة التى تسد الفراغ، الذى يعانيه، ويمثل حاجة أساسية لديه، فى الوقت الذى لايفقد فيه البيت دوره كمكمل، ومصحح لما فيه مظنة الخطأ إلى جانب البيئة المحيطة بالطفل. ولعل الأسئلة التى يطرحها النشء لفهم شىء ما ظاهرة صحية تتم عن رغبة أكيدة للسير فى الاتجاه الصحيح.

ومهما يكن من أمر فإن الزواج كله خير وبركة، لأنه يترتب عليه إقامة حياة أسرية تؤدى إلى الاستقرار، وتحقيق التوازن النفسى والاجتماعى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١].الأمر الذى لا يترك للصدفة فى تعليمه.

ويبدو أن التعبير بالفعل ﴿**تَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾ يوحى بأن الإنسان إذا لم يكن له سكن يأويه، أو بيت يضمه -فإنه يشعر بالتشرد والضياع وفقدان الراحة، بل ربما يهيم على وجهه إلى أن يجد له مكانا يأويه، وفراشا يهدأ إليه، وكذلك الزواج الذى توافرت له عوامل الاستمرار والبقاء فإنه يهيىء للإنسان الاستقرار وراحة

البال، موصولا بالمودة والرحمة، من هنا فإنه لابد من تقديم الأساسيات الثابتة لكيان الأسرة المسلمة.. ولعل من هذه الأساسيات مايلى:

١- إعطاء الطفل حقه من الرضاعة الطبيعية، لأن ذلك يزيد من التصاق الطفل بأمه، الأمر الذى يشعره بالدفء والحنان، فضلا عن زيادة الانتماء وتقدير حق الأمومة وإعطائه حقه من الإعاشة، واللعب، والملاطفة والتطبيع الاجتماعى المستهدف من قبل الوالدين، والأقارب ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. إذ القوة فى فترة ما بعد الطفولة، انما هى امتداد للعناية المقدمة فى فترة الطفولة.

٢- اختيار الاسم الحسن، وعدم التسمية بالأسماء القبيحة، لأن ذلك غير مرغوب فى الإسلام، فعن ابن عمر، أن ابنة لعمر كان يقال لها: عاصية، فسماها رسول الله ﷺ جميلة[١]. لأن الاسم القبيح ينفر الإنسان منه، ويتحاشى أن يناديه الناس به، كما ينفر الناس منه، والفأل الحسن -غالبا- يرجع إلى الاسم الحسن.

٣- استمرار الملاحظة والمتابعة لتصرفات الأبناء وسلوكياتهم، خاصة مع جماعة الأقران والجلوس معهم، لأن ذلك من شأنه التأثير على الأبناء. فعن أبى موسى، عن النبى ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك[٢]، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة»[٣].

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، جـ٣، ص ١٦٨٧.
(٢) يحذيك: يعطيك.
(٣) صحيح مسلم، جـ٤، ص ٢٠٢٦.

والمتابعة - على أى مستوى- تلعب دوراً مهما فى تعديل المسار، وتصحيح الخطأ، أو على الأقل تقلل منه، وإذا ما وصلت المتابعة إلى تأصيل المتابعة الذاتية، فإن الفائدة تكون أجدى وأنفع.

وتأتى عملية الملاحظة والمتابعة انطلاقا من الحديث الشريف، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته. فالأمير الذى على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته. والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم. والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهى مسئولة عنهم. والعبد راع عن مال سيده، وهو مسئول عنه. ألا فكلكم راع. وكلكم مسئول عن رعيته»[١].

٤- إفهام الأولاد: بنين وبنات دور كل منهم. وأن هذا الدور ناشىء من طبيعة كل منهم، وأن تبادل الأدوار يتأتى فى الأمور العرضية، وبالشكل الذى يجسد معنى التعاون والمشاركة فى الحياة، وأن سعادة الحياة تسود إذا أصر كل طرف على تقديم الفضل للطرف الآخر، والمبادأة به.

٥- تدريب الأولاد على الاستقلال، وتكوين الشخصية المبادئة، وعدم الانقياد للآخرين إلا بعد أن يعملوا فكرهم، ويستحضروا الحكمة فيما يصدر عنهم، ويقلبوا الأمور على أبعادها المختلفة، لأن التفكير مهارة تكتسب -مثله فى ذلك- مثل أى خبرة مربية مر بها الإنسان، وأحس بعائدها، وهذا التدريب هدفه حمل الأولاد على التفكير بطريقة موضوعية. وليس اعتمادا على مشاعرهم الشخصية، بحيث يدرسون آراء الآخرين بصورة حيادية، ومع أن للمشاعر الشخصية دوراً مهما لا يمكن إغفاله، إلا أنه لا يجب أن يحل محل التفكير.

وهناك شعور متنام لدى التربويين، بأن التفكير مهارة أن نوليها اهتماما مباشرا، كما أنه بالإمكان تحسين هذه المهارة، وذلك عن طريق الرعاية المركزة

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، جـ٣، ص ١٤٥٩.

لها، وممارسة بعض المهارات الأساسية المتصلة به[١]. ومن الممكن أن يقوم البيت بهذا التدريب مبكرا، ولو فى صورة أولية، ثم تدعمه المدرسة فيما بعد، بهدف تخفيف التبعية للآخرين، والتقليل من المحاكاة الضارة على الأقل، وفى الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ : «لا تكونوا امعة. تقولون: ان أحسن الناس أحسنا، وان ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم. ان أحسن الناس أن تحسنوا، وان أساؤا فلا تظلموا»[٢].

٦- تعويد الأولاد على قراءة القرآن الكريم، والقراءة الحرة، وكل ما يتصل بتحصين العقل، وتوجيههم إلى الكتب المفيدة، والصالحة للقراءة، وتشجيعهم تجاهها انطلاقا من قيمة الكلمة عند الإنسان، وكما قال مصعب بن عمير: ان الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويكتبون أحسن ما يسمعون. نظر المأمون إلى ابن له صغير، فى يده دفتر، فقال: ماهذا الذى بيدك؟ فقال: بعض ما تسجل به الفطنة، وينبه من الغفلة، ويؤنس من الوحشة. فقال المأمون: الحمد لله الذى رزقنى من ولدى من ينظر بعين عقله أكثر مما ينظر بعين جسمه وسنه.

ولعل هذا التعود – وحياة الإنسان – غالبا- تخضع للتعود- يحقق الفوائد التالية:

أ – تدعيم جانب الإيمان لدى الأولاد، وتوفير الاستقرار النفسى والاجتماعى لهم ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا**﴾ [الإسراء: ٨٢]. «وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسون بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم

---

(١) ادوارد دى بونو، التفكير الناقد والإبداعى (كورت) (ترجمة: على السيد) غير منشور، الكتاب الأول، المقدمة.

(٢) الإمام الحافظ أبى محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، جـ٦، ص ١٤٥.

الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه»[١].

ب- ترغيب الأبناء فى العلم، وزيادة الإقبال عليه عن طريق كثرة القراءة والاطلاع، لأن ذلك فى النهاية تنمية لشخصيتهم، واذكاء لروحهم، ورقبة لمشاعرهم «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»[٢].

جـ- الرغبة فى القربى من الله، وذلك عن طريق تحويل ما يقرؤه، وما يفهمه إلى واقع سلوكى فى حياته، ما أمكنه ذلك، لأن الإنسان يجاهد نفسه بمحاولة التغلب على شهواته خاصة فى وقتنا الحاضر، بعد زيادة المشهيات التى تدعو الإنسان إلى الإثم، وربما تدفعه بعيدا عن مجال البر والمعروف. وهذا هو الجهاد الأكبر، الذى يسيطر فيه الإنسان على النوازع الإنسانية، والشهوات غير المرغوبة.

٧- متابعة الأبناء بالتوجيه المستمر والتربية المثلى، لأن الرحمة بالأباء -فيما يبدو مقابل التربية الإسلامية الصحيحة ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء: ٢٤]. ولم يأت الأمر بالإحسان إلى الوالدين، وعدم التأفف منهما أو من كليهما - بعد الأمر بعبادة الله إلا لعظم مسئوليتهما تجاه الابن، والحرص منهما على تأكيد كل ماهو إيجابى فى هذه الحياة عند الأبناء، وذلك عن طريق المحافظة على سلامة الفطرة، وحمايتها من أى نوع من أنواع التلوث، سواء أكان هذا التلوث عقديا، أو خلقيا، أو علميا، إذ أن التلوث من هذه النواحى وغيرها مما يمس الفطرة ويخدش نقاءها - ربما أول ما يصيب، يصيب الوالدين، فضلا عن أن البعد عن هذا التلوث هو السعادة بعينها للآباء والأبناء، فضلا عن خدمة المجتمع.

---

(١) المرجع السابق، جـ٦، ص ١٤٥.

(٢) صحيح مسلم، جـ٤، ص ٢٠٧٤.

أن تربية الأبناء تربية صحيحة هى أكبر تركة يورثها الآباء للأبناء. فرب أحد الأبناء أو كلهم قد يصبح صالحا فى دينه ودنياه، مجاب الدعوة من الله، حينئذ يتحقق الغنى من الله، وإنجاز أعظم هدف يطمع إليه الفرد والمجتمع.

ولا ريب فى أن التربية مطلب إنسانى، وحق للفرد والجماعة، لأنه بدون التربية يصبح وصف الفرد بالإنسان أمراً عسيراً. ولا غرابة فى ذلك فهى وسيلة النهوض به وأداة تقدمه، والسبيل إلى إسعاده، وإسعاد مجتمعه؛ إذ السلوك المتحضر، والالتزام بالتربية، والتمسك بمراعاتها فى كل الظروف - عامل من عوامل شعور الفرد بذاته، والإعلان عن نفسه متى ترآى له ذلك.

ويتصل بالتربية إعداد الابن أو الابنة بالتعليم، لأن سوق العمل الحالية تتطلب عاملا على مستوى عال من الكفاءة العملية. فالأخلاق وحدها لا تكفى، وبالمثل فإن العلم وحده لا يكفى. وحسن الإعداد للحياة يتطلب الجمع بين الاثنين عن أبى ذر قال: قال لى رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله، خير لك من أن تصلى مائة ركعة. ولأن تغدو فتعلم بابا من أبواب العلم - عمل به أو لم يعمل - خير لك من أن تصلى ألف ركعة»[1].

وهذا الإعداد: تربية وتعليما كفيل بأن يأخذ الإنسان مكانه فى المجتمع، مهما كانت نوعية هذا العمل الحلال.

٨- غرس قيمة الاستقامة لدى الأبناء. وهى لا تتم بين يوم وليلة، وإنما هى محصلة ممارسات عديدة استشعرها الأبناء عبر حياتهم من خلال احتكاكهم بغيرهم، ممن يشعرون بالمسئولية تجاه أنفسهم، وتجاه الآخرين، ويجدون فى

---

(١) ابن ماجه، سنن الحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى (تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى)، مرجع سابق، ٧٩

أنفسهم أهلا للقدوة، وأصحاب تأثير فى من يحيطون بهم، باعتبار أن المجتمع كله يستهدف حماية النشء، لا فرق بين القريب والبعيد.

وقد جاء تحت عنوان «جامع أوصاف الإسلام» فى صحيح مسلم: حدثنا أبو أسامة عن سفيان بن عبدالله الثقفى، قال: قلت: يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»[1]، ومعناه: أن يؤمن الإنسان بأن الله واحد ولا يحيد عن التوحيد، إلى جانب الالتزام بطاعته سبحانه وتعالى، إلى أن يتوفاه الله على ذلك.

ولعل ملاحظة الآباء لمصادر التأثيرات الأربعة. وهى: المعلم، والكتاب، وجماعة الأقران، ووسائل الإعلام المختلفة خاصة القنوات الفضائية، التى تحاول جذب المشاهد بشتى الوسائل - هى التى تحدد الآثار الإيجابية، والسلبية منها على الأولاد، بل، وتجنبهم ماهو خارج عن دائرة الاستقامة.

ولا تتعارض محاولة غرس عملية الاستقامة من قبل الآباء والأمهات مع المشيئة الإلهية ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. لأن الآباء مطالبون بالقيام بما تفرضه واجبات الأبوة، أما النتائج فمفوضة إلى الله، يفعل فيها ما يشاء.

٩- تعويد الأبناء على تقديم الخير للناس، وتوسيع دائرة التسامح والعفو طالما كانت الكرامة محفوظة، لأن السيادة لا تتأتى إلا لمن كان قادراً على خدمة الناس، وتقديم العون لهم. وليست السيادة قاصرة فقط على جانب القيادة الشخصية للفرد، ولكنها المدخل الطبيعى لسيادة المبادىء التى تشربها، والقواعد الصحيحة التى آمن بها.

ولم تكن قيادة الإسلام للعالم فى فترة من فترات التاريخ صدفة، أو فلتة لا تتكرر وإنما كانت لأن المسلمين كانوا رسل خير، وأصحاب نفع، أفادوا

---

(١) صحيح مسلم، جـ١، ص ٦٥.

أنفسهم، وأفادوا من حولهم، بحيث أصبحوا مصدر إشعاع حضارى فى الدين والخلق والسياسة، فى السلم والحرب، وفى البلاد التى فتحوها وطمسوا معالم الظلم، والقهر، والاستبداد، بحيث يمكن القول أن الإسلام ثورة على الفساد.

أن الآباء والأمهات ليسوا مطالبين فقط بتعويد أبنائهم على تقديم الخير فى جانبه الإيجابى، وإنما هم مطالبون أيضا بتقديم الخير ولو فى أدنى مستوى له. وذلك مثل رفع الأذى، ولو عن الطريق. عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق. فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين، لا يؤذيهم. فأدخل الجنة»[١].

١٠- إنماء جانب الحب عند الأولاد. والحب هو الوداد، وعند الفلاسفة: ميل إلى الأشخاص، أو الأشياء العزيزة، أو الجذابة، أو النافعة[٢]، وهو عاطفة لا تعلم، وإنما هى وليدة مواقف عديدة تركت أثراً طيبا فى النفس، فزاد الميل إليها، وأصبحت مطلبا ضروريا لها، يشعر الإنسان إزاءها بالراحة وطمأنينة البال، بل وأحيانا يحمل نفسه على الوصول إليها، والتضحية فى سبيلها.

والحب عاطفة إنسانية، ربما لا دخل للفرد فيها، وأحيانا لا يجد العقل مكانا بجانبها «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[٣]، والعقل لا يعدم الحيلة فى أن ينفذ ما يعقله، أما الحب فيقف الإنسان أمامه ضعيفاً لا سلطان له عليه، لأن مكانه القلب. والقلوب معلقة بيد الرحمن يقلبها كيفما يشاء. وهو لا يخضع للتفسير، أو التعليل، وإنما

(١) صحيح مسلم، الجزء الرابع، ص ٢٠٢١.
(٢) المعجم الوسيط، جـ١، القاهرة: دار الفكر، ص ١٥١.
(٣) صحيح مسلم، جـ٤، ص ٢٠٣١.

هو محصلة عوامل عديدة، ومواقف مختلفة، فإذا استقر فى القلب أصبح موجها لصاحبه، وقائدا له.

ولا شك أن الحب عملية داخلية، لا يطلع عليه أحد، إلا أن الصب تفضحه عيونه، كما يقولون، تجاه الأشخاص، أو الأشياء، يرمق ذلك بنظرة صريحة، أو نظرة من وراء الستار: تشوقا وحنانا. من هنا فإنه يحتاج إلى دعم يقويه، وسند يؤكده، ولعل من هذه المدعمات مايلى:

أ - توافر الجو الأسرى الآمن، خاصة، عدم ظهور الخلافات بين الزوجين، وكلها بعيدا عن عيون الأولاد، وإبداء مشاعر الود بين الطرفين، الأمر الذى ينعكس أثره على الأولاد، مما يشعرهم بأن هذا الود ليس مفقودا بين الناس، لأنهم يرونه رأى العين، مجسدا فى الأب والأم والأخوة والأخوات.

ب- حسن التعامل مع الأشخاص والأشياء، داخل البيت وخارجه، وداخل المدرسة وخارجها حتى الممتلكات الشخصية، والمقتنيات الخاصة والعامة، بل والحفاظ عليها، مما يؤكد فيما بعد أن الملكية العامة، إنما هى فى مستوى الملكية الخاصة، حتى وان كان بين الفرد والحكومة خصومة من نوع ما. ولعل من المحكات فى ذلك الحفاظ على أثاث المدرسة، والمرافق العامة مثل وسائل المواصلات والطرقات، بل مملكات الآخرين وكذلك أشكال الاحتجاج، أو المظاهرات، التى لابد أن تتخذ شكلا سلمياً، لا عملا تخريبياً، كما يشاهد فى بعض البلدان.

جـ- وقوف جميع الأسر وراء أبنائها، الذين ينضمون إلى جماعة الأصدقاء، أو الأندية بتعريفهم ببعض المفاهيم الإسلامية السمحة، التى تنمى جانب الحب. مثل: المسلم. وهو من سلم المسلمون من لسانه ويده. ومثل الإيمان: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ومثل التكاتف والتعاون: والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه، ومثل مفهوم

البر. عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه»[(١)]، ومثل: الأخوة. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: لا تباغضوا، ولا تدابروا ولا تنافسوا وكونوا عباد الله إخوانا»[(٢)]. ووضوح هذه المفاهيم وغيرها تجعل الإنسان يركن إلى الحب.

د - تعويد الولد على أن يتواضع فى معاملته مع الناس، لأن ذلك يزيد من حبهم له، ووقوفهم بجانبه فى السراء والضراء، بل وفى الدفاع عنه، ورد غيبته، واعتباره جزءاً منهم، يفتقدونه إذا غاب، ويحترمونه إذا حضر، ويترحمون عليه إذا لقى ربه. والعكس بالعكس إذا تكبر، لأن الكبرياء لله وحده. قال رسول الله ﷺ: «العز إزاره. والكبرياء رداؤه، فمن ينازعنى عذبته»[(٣)]. والضمير فى الحديث الشريف يعود إلى الله تعالى. ومن هنا فإنه «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[(٤)] وهو عهد لله لعباده إذا استكان الكل للكل، وساد بينهم الود والحب.

هـ- تعويد النفس على كبح جماحها، والسيطرة عليها، والوقوف أمام ثورة غضبها، ومحاولة تهدئتها المرة بعد المرة، حتى يتعود المرء الإمساك بزمام نفسه، الأمر الذى يمكن أن يقلل أخطاءه وغلطه فى الآخرين، ويكسب مودة الناس له، وحبهم لشخصه. عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»[(٥)].

و - تعويد الطفل منذ نعومة أظافره على نبذ الخصام، واستبعاده من حياته، سواء مع أشقائه أو مع الآخرين، لأن ذلك يؤدى إلى قسوة فى القلب، وجفوة فى المعاملة، وإفساح المجال للكراهية، عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لمسلم أن يهجره أخاه فوق ثلاث ليال. يلتقيان

(١) صحيح مسلم، جـ٤، ص ١٩٧٩.
(٢) صحيح مسلم، جـ٤، ص ١٩٨٦.
(٣) صحيح مسلم، جـ٤، ص ٢٠٢٣.
(٤) صحيح مسلم، جـ٤، ص ٢٠١٤.
(٥) صحيح مسلم، جـ٤، ص ٢٠٠١.

فيعرض هذا ويعرض هذا. وخيرهما الذى يبدأ بالسلام»[١]. فالمبادىء بالود يكسب الخيرية فى كل شىء.

ز - التشجيع على تبادل الهدايا، لأن تلك تقرب ما بين القلوب، ويفتح باب الاتصال الاجتماعى والانفتاح على الآخرين. وفى الحديث: «تهادوا تحابوا». وستظل الهدايا عاملا أساسيا فى تأليف القلوب، واستمالة النفوس، ومفتاحا لمن استعصى التعامل معه من البشر.

ولعل من أسباب التأكيد على حب الأشخاص، والأشياء والقيم مايلى:

(أ) زيادة الاستقرار النفسى والاجتماعى والرغبة فى الإقبال على الحياة، وإثبات الذات فيها.

(ب) استبعاد التفكك الاجتماعى، والتقليل من حالات التباغض، والتحاسد، والتدابر، وشتى القيم السالبة. وفى المقابل زيادة التماسك الاجتماعى. قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[٢].

(ج) فتح باب القرب من الله، والحب فى الله. عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ان الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى. اليوم أظلهم فى ظلى. يوم لا ظل إلا ظلى»[٣].

(د) سعادة المحبين لا تقف عند حد الدنيا فقط، بل انها تمتد إلى الآخرة أيضا. جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: كيف ترى فى رجل أحب قوما، ولما يلحق بهم، قال رسول الله ﷺ : «المرء مع من أحب»[٤].

---

(١) صحيح مسلم، جـ٤، ص ١٩٨٤.
(٢) صحيح مسلم، جـ٤، ص ١٩٩٩.
(٣) صحيح مسلم، جـ٤، ص ١٩٨٨.
(٤) صحيح مسلم، جـ٤، ص ٢٠٣٤.

هـ- زيادة الاستيعاب والتحصيل فى المادة الدراسية، لأن الطالب إذا أحب مدرسه أحب مادته وأقبل عليها بنهم، الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى التفوق فيها، والاتقان فى العمل وليد الحب له.

و- الحفاظ على سلامة الأشياء لمدة طويلة، والانتفاع بها مدة أطول، سواء أكانت الأشياء مستهلكة أم معمرة.

وخلاصة القول، إن تضمين الثقافة العربية والإسلامية فى مناهجنا الدراسية تحقق ثلاثة أهداف:

الأصالة: إذا تغلغلت فى نفس المتعلم، ودخلت فى نسيج حياته، وأصبحت موجها تلقائيا فى سلوكياته، بدون إعمال عقل، أو محاولة للتفكير.

التميز: إذا أعلنت المضامين التى تعلمها المتعلم عن نفسها، وأصبحت لمسة تميز وإعلانا للحق والخير والجمال، ودليل صدق على المادة المتعلمة.

الوقاية: إذا حمت هذا المتعلم من أن يذوب فى الكيانات الأخرى أو الثقافات الأخرى، مهما كانت قوتها وإبهارها، فى إطار من الحياد، الذى يخاف مما يعاب به، أو يذم عليه.

وتلك محصلة طبيعية لرسوخ الإيمان، وقوة اليقين، لأنها التطبيق العملى لرسالة السماء.

الفصل الثالث

تحقيق أصل
«فرض العين وفرض الكفاية»
فى العملية التعليمية



الفصل الثالث

تحقيق أصل «فرض العين وفرض الكفاية فى العملية التعليمية»

يستهدف هذا الفصل الإفادة من المبدأ الإسلامى المعروف، وهو «فرض العين وفرض الكفاية» فى العملية التعليمية، إذا لم يعد التعليم ترفا يستمتع به شريحة من المجتمع، دون غيرها، كما لم يعد هدفا لتخريج فئة من الموظفين العاملين بجهاز الدولة، لتصريف أمور حياة الناس اليومية فقط، وإنما يستهدف ضمن ما يستهدف - ضمان السبق والتقدم من خلال رعاية المخرجات التعليمية، التى يمكنها ترك بصمة فى هذه الحياة، إلى جانب حل مشكلات المجتمع من خلال مواد دراسية، مكانها الآن فى ذمة التاريخ وتذكر على أنها سلسلة ضمن سلسلات تاريخ التعليم لدولة ما، وإنما يتم تحقيق الهدف من خلال مواد وعلوم المستقبل، وبعض المواد الدراسية التى تصل الطالب بمجتمعه، وتحقق له جانب الانتماء والولاء للوطن، والتى تميز هذا الوطن عن ذلك، لأن ارتباط المتعلم بوطنه الأم عملية لا يتم فكها، أو جعلها هامشية فى حياة هذا المتعلم.

ولعل من أول ما يضمن جانب الولاء والانتماء للوطن الآن فى عصر المشهيات، وزيادة الطلب على المستحدثات العصرية - امتداد الرعاية المادية من أجر، ومأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن لهذا المتعلم. والمؤلفة قلوبهم بُعْدٌ له جذوره التاريخية فى الشريعة الإسلامية.

وانطلاقا من اجتماعية التربية، التى تمثل نقطة البداية للمستقبل - فإن فرض العين - وهو ما يتعين على الفرد المسلم القيام به دون غيره كالصلاة - وفرض الكفاية- وهو ما إذا قام به البعض سقط الحرج، والاثم، عن الباقين مثل رد السلام - ليس مكانهما فى الالتزامات الدينية الإسلامية فقط، بل ان مكانهما،

وتطبيقاتهما لابد أن يكون فى مجال التربية، باعتبارها أداة الحاضر لصنع المستقبل.

ولعل فى جعل فرض العين - جنبا إلى جنب - مع فرض الكفاية فى مجال التربية يحقق الفوائد التالية:

١ - يقظة المجتمع للمجالات العلمية الجديدة، أو المستحدثة، والتى يتحتم الإلمام بها مهما كانت الظروف.

٢ - رأب الصدع للمجتمع، وحمايته من أى هزة يمكن أن يعانيها، بسبب عدم وجود متخصص فى مجال ما مستقبلا.

٣ استيفاء خط الدفاع الأول : علمياً، للمجتمع. وهو على رأس الخطوط الأخرى فى كل نواحى الحياة، لأن الاعتماد على الخبرات الشخصية، أو على رأى الجماعة - دون العلم - نهايته خراب العمران.

٤ - دعم الوجه الحضارى للمجتمع، لأن الحضارة الحقيقة لمجتمع ما، لا تتحقق بدون تغطية شاملة لجميع مناشطه استنادا إلى الأسلوب العلمى السليم، وبعيدا عن التزييف، وطلب الشهرة.

٥ - مساعدة الدارسين على أن يعيشوا عصرهم، وأن يفيدوا أنفسهم ومجتمعهم، مما يمكن أن يبدعون.

ومعنى ما سبق أن علوماً مثل :علوم الذرة، وعلوم الفضاء، وعلوم الطب والحاسبات الآلية، ودراسة المستقبل، وهو : اجتهاد علمى منظم يرمى إلى صوغ مجموعة تنبؤات، مشروطة، تحمل المعالم الرئيسية لأوضاع دائرة بعينها عند فترة خمسة عقود، وتنطلق من افتراضات تتصل بالماضى والحاضر لاستكشاف أثر إدخال عوامل فاعلة فى تطوير أو تغيير الواقع القائم(١). والهندسة الوراثية، التى تهدف إلى حل الشفرة الوراثية للإنسان، والتسويق، والإدارة، وعلوم الأرض

(١) أحمد صدقى الدجانى : النهوض بعلم دراسة المستقبل فى وطننا العربى، الأهرام، العدد ٤١٤٨٣، السنة ١٢٤، ٤/٧/٢٠٠٠، ص ٣٠.

والتنقيب عن المعادن، وعلوم البحار، وغيرها، ولو فرض أن واحداً منها، أو كلها غائب عنا لا نعرفه، فيصبح المشتغلون بالتربية آثمين، إلى أن يتم إعداد متخصص، أو متخصصين فى هذا المجال، انطلاقا من القاعدة الشرعية المعروفة «أن ما لا يتم الواجب إلا به : فهو واجب» وقد فرض هذا العصر عدم الاكتفاء بإعداد جيل واحد من الخبراء فى كل تخصص، بل إعداد خطوط دفاعية متعددة، ضماناً للمستقبل، وأملاً فى الوقوف على خبرات جديدة، خاصة أن ما تتوصل إليه الدول المتقدمة فى أبحاثها، لا تبوح به لغيرها، إلا نادراً .

بعض ميادين فرض العين وفرض الكفاية:

١ - الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية:

لا خلاف فى أن العالم اليوم تزداد وسائل الاتصال فيه يومياً بعد يوم، سواء بين الأفراد أو الجماعات والتى بينها علاقات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية، أو تلك التى لا توجد بينها تلك العلاقات، وبات أمراً مؤكداً ضرورة الخروج عن معرفة اللغات الست التى تستخدم فى الأمم المتحدة، إلى معرفة لغات أخرى غير هذه اللغات. بمعنى أنه إذا كان تعلم اللغات الست، أو أحداها يمثل فرض عين، فإن تعلم بعض اللغات الأخرى يمثل فرض كفاية.

ولعل الاهتمام بتطبيق مبدأ فرض العين وفرض الكفاية فى تعليم اللغات الأجنبية ينطلق من الفوائد التالية:

أ - الإفادة من هؤلاء الذين درسوا بعض اللغات الأجنبية فى مجال الدعوة الإسلامية، إذ أن كل مسلم حقيقى داع إلى دينه، ومبلغ عن ربه: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾ [الأحزاب: ٣٩]

ب- الإفادة منه فى جانب المعاملات السياسية والاقتصادية والثقافية، والعسكرية والاعتماد على الكفاءة الوطنية فى مثل هذه الحالات أكثر أمنا من غيرها، فضلاً عن توفير جانب الثقة، وشىء من الإنفاق المالى. ان

نقل الخبرة من لغة إلى أخرى يحتاج إلى معايشة تامة لهذه اللغة، لأن اكتساب لغة ما لا يتأتى فجأة، بل يحتاج إلى ممارسة، ومعايشة، فيفهم المرء أبعادها، ومراميها: القريبة والبعيدة.

جـ- توسيع دائرة البعد الحضارى، وذلك بزيادة الاحتكاك بين الثقافات المختلفة، والتى من شأنها إثراء الحياة العامة فى بعض أوجه النشاط فيها، عن طريقة زيادة حركة الترجمة، من العربية، منها وإليها، ولا يمكن الاعتماد فى اكتساب هذه اللغة أو تلك على الجهود الفردية، والميول الخاصة تجاه لغة ما، بل ان هذا الاكتساب لابد أن يتم عن طريق القنوات الرسمية، ممثلا فى أقسام اللغات بالكليات المختلفة، ويتم توزيع الأدوار على الكليات الجامعية، بدلاً من أن تكون الكليات المتشابهة نسخة مكررة من الأخرى. كما لا يمكن الاقتصار - مثلا - على قسم اللغة اليابانية فى آداب القاهرة، واللغة الصينية فى كلية الألسن جامعة عين شمس، وتترك باقى اللغات التى يتحتم معرفتها دون تدريسها فى بعض الكليات الأخرى، مثل اللغة الكورية.

ولا يقبل - ونحن فى الألفية الثالثة - أن يتم التعامل من خلال وسيط آخر، كما «نتعامل مع آسيا من منظور غربى»[1]، وفى هذه مخالفة لثقافتنا العربية، التى تؤكد «ما حك جلدك مثل ظفرك، فتول أنت أمرك بنفسك».

ولعل المحك الأساسى فى الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية: إنما ينطلق من عملية «فرض العين وفرض الكفاية» وما بدأته بعض الكليات الجامعية بتدريس بعض المواد باللغة الأجنبية - أمر مقبول إذا صاحبه تدريس اللغة الأم، وزيادة فى الاهتمام بها، وتقديم الكثير من النصوص العربية، التى تربط الطالب بلغته، ليذوق ما فيها جمال فى الفكر والمعنى.

---

(١) محمد السيد سليم : «العالمية والأقليمية والقومية- آسيا والوطن العربى» مستقبل التعليم فى الوطن العربى بين الأقليمية والعالمية ٢٠-٢١/ ٤/ ١٩٩٦م، المؤتمر العلمى السنوى الرابع، جـ١ ، ص٧٧.

ان اللغة العربية بحاجة إلى أن يمارسها أبناؤها، إذ «ليست وظيفة الجامعة إعداد خريجين ملائمين لشركات ومؤسسات معينة، ولكنها تعد خريجين يستوفون شروطاً أكاديمية واجتماعية معينة، ثم نوفر لهم فيما بعد فرصة العمل[١].

وسيظل الطلب باقيا على ضرورة إتقان الشباب للغة الإنجليزية، أو احدى اللغات الأجنبية الأخرى، بجانب إتقانه للغة الأم، وهى العربية، حتى لا تحدث الكارثة إذا فاتته العربية، ويتعذر تداركها بعد فوات الأوان. يؤثر عن الشاعر الجزائرى الشهير مالك حداد قوله: أنا المنفى فى اللغة الفرنسية، لأن لسانه العربى، قطع منذ صغره، وفرض عليه المستعمرون لغتهم الفرنسية. وحينما كتب الأديب الفرنسى لوى أراجوان فى الخمسينيات، أن أعذب شعر قرأه، هو ما نظمه مالك حداد - فإنه رد عليه قائلاً: أنا أرطن ولا أتكلم، أننى معقود اللسان، نعم يا أرجون، أننى لا أغنى ولو كنت أعرف الغناء لقلت شعراً عربياً. وهذه مأساة لغتى .. لقد كنت فى طفولتى أنادى أمى : ياما، أما فى شعرى فأقول عنها: مامير.. أماه، ياما. هل يمكن أن يكون اسمك مامير.

ان البعض يريد أن يشوه لساننا العربى، أو يقطعه، وتلك من علامات الساعة الثقافية والحضارية، إذا جاز التعبير، ويل لأمة اغتصب لسانها، واستسلمت لما يفعل به[٢].

٢ - الاهتمام بالتعليم التقنى والمهنى والفنى:

يعد تعلم القراءة والكتابة، وفهم المقروء فرض عين على الأفراد والجماعات، لأن هذا التعلم هو البداية الحقيقية للثقافة، وأساس كل تنمية، بل ان خطر الأمية أشد على الأمة من العدو المقاتل، بدليل أن رسول ﷺ جعل فداء أسرى بدر مقابل تعليم عشرة من المسلمين لكل أسير، مع أنه من الممكن أن يعود هذا الأسير مرة بعد

(١) المرجع السابق، ص ٦٨.
(٢) فهمى هويدى : «ويل لأمة مغصوبة اللسان»، الأهرام، ٢٤/٨/١٩٩٩، ص ١١.

الفداء إلى قتال المسلمين، لكنه فى هذه الحالة أقل خطراً من الأمية، ولقد بلغ «معدلها فى العالم الإسلامى إلى ٤٥,٥٪ وفى أريافه إلى ٦٠,٥٪ وفى الوسط النسوى ٨٠٪» [(١)].

وقد يكون من نافلة القول: إن التربية شرط ضرورى من شروط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فى عالم يتغلغل فيه العلم والتقنية فى جميع مرافق الحياة واشتغال المجتمعات، حيث من لا يمتلك مهارة الكتابة والإعلام مقضى عليه بالتبعية[(٢)].

والأمية كما تكون فى الأفراد - أمية أبجدية- تكون فى التكوين الاجتماعى نفسه أمية حضارية وتعنى حينئذ التخلف الاجتماعى فى معناه الواسع: علاقات، وانتاجا، وارتفاعاً[(٣)].

وقد وضع برنامج الأمم المتحدة الإنمائى معياراً جديداً لقياس التنمية البشرية ١٩٩٠ يتمثل فى المؤشرات التالية:

- معدل معرفة القراءة والكتابة (النسبة المئوية من مجموعة السكان).
- متوسط عدد سنوات الدراسة فى جميع مراحلها.
- عدد العلماء والفنيين لكل ألف نسمة.
- عدد العلماء والفنيين العاملين فى ميدان البحث والتطوير لكل عشرة آلاف نسمة.
- نسبة الخريجين الجامعيين إلى فئة العمر المقابلة (نسبة مئوية).

ويبدو أن واقع تكوين رأس المال البشرى العربى: «أن مقابل كل عربى يلم بالقراءة والكتابة هناك عربى آخر يجهلها تماماً»[(٤)]، وهذا يعنى أن الأمية تمثل

(١) عبدالعزيز عثمان التويجرى : نصف المسلمين أميون، المعرفة، العدد ٥٢ ، رجب ١٤٢٠ أكتوبر ١٩٩٩م، ص ١٩٠.

(٢) فديريكو مايور : التربية للجميع تحد لعام ٢٠٠٠، مستقبليات، المجلد العشرون، العدد٤، ١٩٩٠م، ص ٥٢٣.

(٣) محى الدين صابر: الأمية - مشكلات وحلول، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٧، ص١١.

(٤) حافظ قبيس: التعليم العالى العربى بين حق المواطن فى العلم وحق المواطن فى النخبة، عالم الفكر، المجلد الرابع والعشرون، العددان الأول والثانى، ١٩٩٥م، ص ص٨٣، ٨٤.

نصف الأمة العربية. ولم يقتصر الأمر على ارتفاع نسبة الأمية فى الوطن العربى، بل أن الذين يقرؤون لا يقرؤون مع أن أول أمر نزل به القرآن هو قوله سبحانه وتعالى «اقرأ» و «يشير بند توزيع الصحف إلى أن العرب لا يقرؤون، إذ أن نسبة قراءة الصحف عند العرب دون معدل الدول النامية، ولا تتعدى ثلث النسبة العالمية، وثمن النسبة لدى الدول الصناعية»[١] ومعروف أن الشعوب القارئة هى الشعوب المتقدمة.

ومعنى ما سبق أن معيار قياس التنمية البشرية، بوضعه الحالى، أو بشكله المعدل فيما بعد مستقبلا، لابد أن يجد طريقه إلى التنفيذ فى سياستنا التعليمية، ليس على مستوى الحد الأدنى وهو ما يفرضه فرض العين، ولكن على مستويات متعددة، وبأكثر من خط، تحسبا وخوفاً من مجريات الأقدار كالشيخوخة، أو العجز، أو الوفاة، أو غير ذلك من الأسباب التى تجعل حياة المجتمع فى حالة قلق دائم من غياب المعدل الطبيعى للتنمية البشرية، خاصة التخصصات النادرة منها.

ويندرج تحت ثواب فرض العين وفرض الكفاية التعليم التقنى، وهو «استخدام الإنسان للأدوات ومصادر الطاقة بغرض جعل عمل الإنسان أسهل، وأكثر إنتاجية»[٢]. وهذا يعنى تدريب المتعلم على كيفية الإفادة مما هو متاح، الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى خلق تقنية جديدة، تناسب البيئة التى يعيش فيها، وتصبح تلك التقنية هى الأحسن والأجدى فى حل المشكلات الخاصة بمجتمعه، كما يعنى أيضاً أنه ليس بالضرورة أن تكون التقنية الجيدة هى المستوردة، وإنما أن تكون هى المناسبة لحل المشكلة، والأوفر من حيث الوقت، والجهد، والمال، وتقبل الناس لها.

وقد ساهم العلم كثيراً فى التقنية الحديثة، لأن الخلفية الفكرية التى اكتسبها

---

(١) المصدر السابق، ص٨١.

(٢) محمد محمود مندورة، وآخرون، « إدخال مقرر الثقافة فى مراحل التعليم العام بدول الخليج، دراسة للسبل والإمكانات المتاحة، الرياض: مكتب التربية العربى لدول الخليج، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص١٢.

الإنسان من العلم تجعله أقدر على تقديم الإبداعات الجيدة، والحلول الممكنة، «إذ العلم يحاول تفسير كيف؟ ولماذا تحدث الأشياء بينما التقنية تهتم بعمل حدوث الأشياء، وهى كما ورد فى تعريف اليونسكو: الثقافة هى تطبيق المعرفة لغرض عمل وفعل الأشياء ذات الأغراض الصالحة... أو هى إيجاد طرق أفضل، وجديدة لحل المشاكل وسد احتياجاتنا[١]».

ولعل من أهم التقنيات ذات المفعول المؤثر فى عملية التعليم ما يلى[٢]:

١ - المثال أو النموذج، وذلك بقيام المدرس بالتنفيذ خطوة، تلو خطوة، أمام طلابه.

٢ - استخدام فكرة المستويات المعرفية العليا، وذلك بقيام المدرس بتشجيع طلابه، على التأمل فى كيفية تفكيرهم، حول القضايا المطروحة، ويطلب منهم ترجمة أفكارهم فى شكل كلمات مكتوبة، أو لفظية.

٣ - استخدام قوائم التدقيق، وذلك بوضع إشارة أمام كل خطوة، أو قياس، ثم استخدامه خلال إجراءات التفكير فى قضية معينة.

٤ - التدريب، وهو بمثابة بيان لمساعدة الطلاب على استدعاء ما يحتاجونه لتنفيذ الخطة، وكيفية إنجاز المهمة.

٥ - استعمال التنظيميات البيانية. وتتطلب عمل رسوم بيانية مثيرة للصور الذهنية، مثل خطوط بيانية، رسم تخطيطى، تصميم جداول.

٦ - التلميح، وذلك بتحديد المهارات التى تسهل على الطلاب عملية استدعاء وتذكر ما يحتاجونه.

٧ - التصنيف، وهى مشابهة لما قبلها تماماً، إلا أنها تحدث بعد أن تتم عملية التفكير تماماً.

---

(١) المصدر السابق، ص٨١.

(٢) جيمس كبين وهربرت ويلبرج، التدريس من أجل تنمية التفكير، (ترجمة: عبدالعزيز عبدالوهاب البابطين)، الرياض: مكتبة التربية العربى لدول الخليج، ١٩٩٥م، ص ص ١٧٧-١٧٩.

ويندرج تحت ثابتة فرض العين وفرض الكفاية موضوع التكنولوچيا، وهى المستوى الذى يحول المعرفة النظرية والتطبيقية إلى أسلوب إنتاج، وهى مرتبطة بالعلم، «وتختلف باختلاف الفروع الصناعية المختلفة. فهناك تكنولوچيا خاصة بالتعدين، وأخرى خاصة بصناعة الآلات، وثالة خاصة بصناعة المواد الغذائية. .الخ، إضافة إلى تضمنها لمجموعة الأساليب والطرق الهادفة لتحويل نتائج المعارف العلمية إلى حقائق إنتاجية[١].

إن الذين ينظرون للمستقبل يعتبرون أن ٢٠٪ فقط من سكان العالم هم الجديرون بالبقاء (المقصود بهم أبناء العالم الغربى)، أما أمثالنا من سكان العالم الثالث فينظرون إليهم بحسبانهم عبثا وعالة، واختفاؤهم أنفع للبشرية من وجودهم واستمراراهم. من هنا ينبغى أن نحسم أمرنا، وأن ندخل إلى عالم التكنولوچيا بكل ما نملك من عزم وقوة، لأنه ليس لنا خيار آخر إذا ما أردنا أن نعيش محتفظين باستقلالنا وبكرامتنا الوطنية[٢].

ويتحتم الأخذ بمبدأ فرض العين هنا خاصة، وأن «أكبر طاقة عاطلة فى مصر هى طاقة البحث العلمى، فعندنا فى العلوم الطبيعية والرياضية، وما يتصل بهما ٣٣ ألف PH.D [٣]. الأمر الذى يستلزم تشغيل هذه الطاقة، والانتفاع بخلفيتها العلمية، أو استشارتها فى المجال التطبيقى، وعدم استثمارها كلها، أو بعضها يدخل فى باب الأثم، فضلا عن الهدر الاقتصادى والعلمى لها، كمن بنى بيتا كبيراً جمله وحسنه، وضع فيه كل طاقته. ثم عزف عن الإقامة فيه، أو الإفادة منه. ولا ريب فى أن التعليم المهنى والفنى مساران مطلوبان للمجتمع، لا غنى عن أى منهما. فالتعليم المهنى هو الذى يحصل فيه الطالب على شهادة الثانوية العامة، تؤهله لدخوله الجامعة التى يدرس بها مواد من العلوم الأساسية البحتة»

---

(١) مصدق جميل الحبيب، التعليم والتنمية الاقتصادية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨١، ص٣٧.

(٢) فهمى هويدى «انتباه : الأمة فى خطر»، الأهرام، ٢٩/٦/١٩٩٩م، ص١١.

(٣) إسماعيل صبرى عبدالله : «دور التكنولوچيا المحلية فى النهوض بالاقتصاد العربى»، مستقبل التعليم فى الوطن العربى بين الاقليمية والعالمية ٢٠-٢١/٤/١٩٩٦، المؤتمر العلمى السنوى الرابع، الجزء الأول، القاهرة: الأهرام، ٢٥ ابريل ١٩٩٦، ص٧٩.

إضافة إلى ما يدرسه ضمن الخطط الدراسية الخاصة بالفرع الذى يدرس فيه. أما التعليم الفنى بشقيه: الفنى الماهر، والفنى العادى فمجالهما المدارس الفنية التجارية، والزراعية، والصناعية... الخ. وهذه الأنواع من التعليم عليها مسئولية الإعداد الجيد للمتعلم، انطلاقا من متطلبات سوق العمل، الذى لا يقبل إلا العناصر الجيدة، والجودة تفرض نفسها، إذ أنها تزيح كابوس الوساطة وتقضى على طابور المجاملة ، والمحسوبية.

ولعل مما يساعد على تنفيذ مبدأ «فرض العين وفرض الكفاية» إخضاع هذه الجوانب لعملية التخطيط، من خلال شبكة البحوث العلمية التى تحدد النسبة المطلوبة، آخذة فى الاعتبار الزيادة فى كل، لتغطية السوق المحلى أولاً، ثم تصدير تلك الكفاءات ثانيا لتكون رسل خير وإعلان لنظام التعليم وأساليبه، ومخرجاته.

٢ - تحقيق البعد الكيفى والكمى كفرض عين :

العملية التعليمية عملية إنتاجية بالقوة اليوم، وإن تأخر إنتاجها بالفعل إلى الغد. وبهذا المفهوم فهى فرض عين فى بعديها: الكيفى والكمى. وإذا كان التعلم - فى أحد تعريفاته - عبارة عن نشاط عقلى يقوم بالتحديد والتوجيه والتحكم فى العمليات العقلية، واستخدامها من معلومات جديدة، بحيث تصبح جزءاً أساسياً من المعرفة، التى تختزنها ذاكرة الطالب لمدة طويلة[1]- فإن هذه العملية يجب أن تقسم كل شرائح المجتمع - ما أمكن ذلك - باعتبارها تحقيقاً كميا، كما يجب أن تكون هذه العملية على أعلى مستوى باعتبارها تحقيقا كيفياً فى المواد الدراسية وعلى المستوى الفردى تحقيق أعلى كفاءة علمية، كيفيا، ويعنى بها كفاءة المخرجات التعليمية، وعلى الرغم من صعوبة الجمع بين الكم والكيف فى العملية التعليمية، انطلاقا من الفروق الفردية بين المتعلمين، واختلاف ميولهم.

---

(١) جيمس كيف، وهربرت ويلبرج، مرجع سابق، ص ١٢٦.

ورغباتهم، الأمر الذى يمكن القول معه أنه أمر مستحيل. إلا أنه يبدو الالتزام به عملية ضرورية للأسباب الآتية:

أ - ان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، انطلاقا من أن طلب العلم هو المدخل الوحيد للتنمية الشاملة.

ب- أن أى عمل مطالب به الفرد لابد وأن يكون متقناً « ان الله يجب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» والإعداد لهذا العمل إعداداً جيداً هو الموصل للإتقان.

جـ- أن مصاحبة الكيف للكم كفيل بتحقيق أعلى مكسب. ويتزايد الطلب على المتخصصين المهرة. والذين ينجزون أعمالاً عالية التعقيد، ويستوعبون التكنولوچيا المتقدمة لهم الأولوية فى الطلب.

د - أن الجودة فى العمل هى أقوى دليل على حسن من أجاد، وشهادة حق دون تزكية.

هـ- أن البطالة وزيادة العرض على العمل، أدى إلى استبقاء الأجود واستبعاد الجيد.

ويقصد بالجودة أو الكيف فى العملية التعليمية «بأنها تأسيس ثقافة مميزة فى الآداء، بحيث يعمل ويناضل المديرون والعاملون على نحو مستمر، ومتواصل لتحقيق توقعات المستفيد (الطلاب) وتأدية العمل الصحيح على نحو صحيح منذ البداية لتحقيق الجودة المرجوة بشكل أفضل، وفعالية أكبر، فى أقصر وقت ممكن[1]، أو هى التطابق مع الاحتياجات أو المواصفات، أو هى ملاءمة المنتج أو الخدمة للاستخدام المتوقع.

---

(١) ل.ر.جاى، مهارات البحث التربوى «ترجمة : جابر عبدالحميد جابر»، القاهرة : دار النهضة العربية، ١٩٩٣، ص١٥٤.

قياس الجودة فى التربية :

يمكن تقسيم الجودة إلى مداخل ومدارس متعددة. لعل من أبرزها مايلى[(١)]:

- قياس الجودة بدلالة المدخلات.
- قياس الجودة بدلالة العمليات.
- قياس الجودة بدلالة المخرجات.
- قياس الجودة وفقاً لآراء الخبراء.
- قياس الجودة بدلالة الخصائص الموضوعية.
- قياس الجودة بالمنظور الشمولى.

وتبدأ جودة التعليم من الفصول، وتعود إليها، وتشرق من عيون التلاميذ، ومن اهتمام الوالدين، والحرص على تجويده، ومن مثابرة المعلم، واهتمامه بالتدريس ومن مسئولية الدولة وتأكيدها على أن التعليم قضية قومية، لها الأولوية والصدارة، ليس عن طريق المؤتمرات والندوات، بل عن طريق الالتزام والإصرار، والتمويل والإنفاق والتشغيل والتدوير، والكفاءة المجتمعية والمؤسسية[(٢)].

مصادر اشتقاق معايير الجودة :

جاء فى المعجم الوسيط، الجودة: جودة الفهم (فى اصطلاح أهل النظر) صحة الانتقال من الملزومات إلى اللوازم، وعند الأخلاقيين، صفة تحمل صاحبها على بذل ما ينبغى من الخير لغير عوض. وتجود فى العمل: تأنق فيه، وتجود فى الشىء تخيره، وطلب أن يكون جيداً.

---

(١) محمود عابدين، الجودة واقتصادياتها فى التربية. دراسة نقدية. دراسات تربوية ، المجلد السابع، الجزء ٤٤، ١٩٩٢، ص٨٩.

(٢) حسان محمد حسان، رؤية إنسانية لمفهوم ضبط جودة التعليم، دراسات تربوية، المجلد التاسع، الجزء٦٥، ١٩٩٤، ص٥١.

والجودة بهذا المعنى مفهوم شامل، يسهم فيه كل ماله علاقة بتحقيق هذا المفهوم، ومن له وجهة نظر بتأصيله، وإثرائه، ومن هنا تتعدد مصادر هذه المعايير. ولعل منها:

١ - معايير سبق إعدادها من قبل المتخصصين، وأرباب الآداء الجيد. وهذه المعايير لا تتأتى فجأة، وإنما هى وليدة خبرة، وممارسة وطول احتكاك، تتغير بعدها تلك المعايير، وتتم تعديلها، وتطويرها من خلال التطبيق. وبما أن الواقع لا يظل على حاله - فإن تطوير هذه المعايير عملية مستمرة، وإلا تجمدت وتخلفت

٢ - معايير محلية/ داخلية. ربما هذه المعايير تتصل بما له علاقة بالمجتمع من فن أو أدب، لأن الفنون والآداب الأصيلة، لا ترقى إلى العالمية، إلا بمقدار التعبير عن خصوصية ثقافتها، ويندرج تحت ذلك فى العملية التعليمية العلوم الاجتماعية، إذ هى لها معاييرها الخاصة، ومن هنا جاءت احدى تعريفات «العولمة» «بأنها جريمة، أو مؤامرة تقضى على الخصوصية التى تميز الشعب، وهى أولاً وأخيراً قدر مفروض على المغلوب لمصلحة الغالب»[1].

٣ - معايير عالمية، لها صفة الحسم وتتجلى فى المنتج المادى بما يتميز به من المتانة وقوة التحمل، وسلامة الخامة، والقيام بمهام الوظيفة، وخلوه من الآثار الجانبية على الفرد والمجتمع، والبيئة ورخص ثمنه، وتوفير الراحة والمتعة للإنسان والبعد الجمالى. ولعل المعيار الأساسى فى هذا المنتج سهولة الاستخدام، وتوفير عنصر الأمان.

أما المعايير النسبية فهى التى تتصل بالعملية التعليمية، نظراً لارتباطها بمجتمعها، لأن المجتمعات لا تنعم بقدر متساو من الخدمة الصحية، والإنسانية، والاجتماعية. ومع هذا تظل المعايير العالمية هدفاً للمجتمعات الأدنى، ومصدراً تتطلع إلى تحقيقه تلك المجتمعات.

---

(١) من الكتاب، «المعرفة»، العدد ٥٢ رجب ١٤٢٠هـ- أكتوبر ١٩٩٩م، ص١٢.

٤ - الهيئات والمؤسسات المهنية بما تملك من إمكانات علمية، وملاحظتها على أرض الواقع - تغذى معايير الجودة سواء فى العاملين بها، أو فى المنتج الذى يصدر عنها، ومعروف أن لكل مهنة معاييرها الخاصة من خلال موقعها أو مستواها الذى تقع فيه وفق مقياس مدرج للمهن، بما يتمشى مع المعايير الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وغيرها. ويبدو أن عالم الفترة القادمة هو عالم تحكمه الهيئات والمؤسسات الدولية، والقطرية بسبب الحاجة إلى تعدد الخبرات، والإفادة من تراكماتها.

٥ - المعاهد والمؤسسات التعليمية، بما تضمه من أعداد هائلة، يتفاوتون فيما بينهم فى قدراتهم وإمكاناتهم، وتوافر المواقف المختلفة، التى تسمح باكتشاف المواهب الخلاقة، والقدرات غير العادية سواء أكان الكشف من قبل المعلمين، أم من قبل الأشخاص أنفسهم هؤلاء هم، وغيرهم يمكن أن يصدر عنهم ما يصلح أن يكون معياراً للآداء، يضاف إلى معايير الجودة.

٦ - الخبراء العالميون وهم تلك الفئة التى فرضت نفسها فى مجال عملها، وأصبحت نماذج عالية فى أدائه، بفضل ما أوتيت من موهبة صقلتها الخبرة، اكتسبتها عبر مراحل زمنية معينة فضلاً عن نوعية العمل الذى وكل إليها، وحققت إنجازاً يفوق ما كان متوقعاً منها، وفق قدراتها.

٧ - الخبراء المحليون، وهؤلاء يمثلون مصدراً من مصادر اشتقاق معايير الجودة، ليس فى المجال التقنى أو المجال الثقافى فقط، وإنما أيضاً فى المجال التكنولوچى، لأنهم أدرى الناس بمجتمعاتهم، وأقدرهم على فهم الطبيعة الفيزيقية والطبيعة الإنسانية لها. وقد يترتب على قدح زناد فكرهم أفكارا ومعايير تصل إلى العالمية.

وقد تقاربت المعايير المحلية مع المعايير العالمية، خاصة بعد زيادة اتصال العالم بعضه ببعض وسرعة اتصال الأفراد، والأموال، والسلع والخبراء من مكان لآخر، وأصبحت الجودة الشاملة مطلباً أساسيا للأفراد والجماعات تتوارى أمامها الانتماءات الوطنية، والغيرة الشعوبية.

بعض مظاهر البعد الكيفى، أو الجودة فى العملية التعليمية :

هناك مظاهر متعددة ترتبط بجودة التعليم، ويمكن وضعها فى التصنيف التالى :

١ - مظاهر ترتبط بالمتعلم، باعتباره المستهدف من التعليم، ومنها : وجود دوافع قوية للتعلم مثل : إثبات الذات، الحفاظ على وضع اجتماعى ما، التطلع إلى تحقيق هدف ما، التشجيع المستمر من قبل الآباء والأمهات، المنافسة بين الأقران فى المدرسة وخارجها، توافر المهارات المطلوبة لتحقيق الجودة، تكافؤ الفرص التعليمية، الإيمان بالعلم كوسيلة رئيسية لتنمية الشخصية «زمن التمدرس الذى يمنح للتلاميذ من حيث الأيام والساعات الدراسية. . . بالإضافة إلى ممارسة الأنشطة والبرامج المختلفة»[(١)] وكم الاستذكار، وارتباطها بالدرجات، والخلفية الثقافية.

٢ - مظاهر ترتبط بالمادة الدراسية. باعتبارها أداة خبرة وتوجيه منها : ملاءمة المنهج للمستوى الدراسى والعمرى للمتعلم، من حيث الهدف، والمحتوى، والطريقة، والوسيلة التعليمية، والنشاط المرتبط بهذا المنهج، وكذا أسلوب تقويمه، ومدى ارتباطه بالمتعلم : ماضيا، لربطه بثرائه ومجتمعه، وحاضراً، لتمكينه من معايشة واقعه وتنشيط دوافعه، ومستقبلا، لإعداده لحياة مهنية، يعتمد عليها فى تأمين وظيفته. ومنها كذلك توافر المعامل والمختبرات والأدوات، والتقنيات، والمبانى، وكل ما من شأنه استقطاب المتعلم لما يتعلمه.

٣ - مظاهر ترتبط بالمعلم، باعتباره المنفذ الحقيقى للمنهج المدرسى، ومنها : اختيار العناصر الجيدة للتدريس، ممارسته عن رغبة، لا على أنه وظيفة عمل، الإعداد الجيد، الالتزام الخلقى، التدريب المستمر فى أثناء الخدمة، كثرة الاحتكاك بنظرائه فى بعض البلدان الأخرى، الإدراك التام لقيمة الجودة

---

(١) حسان محمد حسان، رؤية إنسانية لمفهوم «ضبط جودة التعلم»، مرجع سابق، ص ٤٧.

فى التدريس، الوعى بمعايير الكفاءة فى عمله، الرغبة فى العمل مع الفريق، الموضوعية فى التقويم، المراجعة المستمرة لأسلوب عمله، المؤهلات التى يحملها من : شهادات، وتدريس، وخبرة.

٤ - مظاهر عامة. ويدخل فيها: الإنفاق المناسب لعملية التنمية البشرية. وتشمل: الأجور والمكافآت، المستلزمات السلعية والخدمية، تقدير قيمة العلم والعلماء، تشجيع روح الابتكار، الإدارة الجيدة، المكتبة التى تلبى احتياجات الدارسين، توفير الصلاحيات لمدير المدرسة، لتحقيق الجودة، القوانين واللوائح المحكمة، التغذية، الرعاية الصحية، التوجيه التربوى أو الاجتماعى، وحجم الفصل. وقد تزايد الاهتمام بمعايير الجودة فى التعليم بعد الإلحاح على التنمية الشاملة، وما يتبعها من تنمية اقتصادية واجتماعية، والتى تتوقف - بالدرجة الأولى - على التنمية البشرية. فأى تنمية من أى نوع ان لم يكن وراءها تنمية بشرية - فهى تنمية هشة، لا تستند إلى أساس.

ويبدو هذا الاهتمام واضحاً فى مصر بعد إصدار اللائحة التنفيذية للمركز القومى للبحوث التربوية والتنمية فى ١/ ٢/ ١٩٨٩م بالقرار الجمهورى رقم ٥٣، وبعد إنشاء مركز تطوير المناهج بالقرار الوزارى رقم ١٧٦ لعام ١٩٩٠ وإنشاء مركز تطوير الامتحانات والتقويم التربوى بالقرار الوزارى رقم ١٨٨ لسنة ١٩٩٠، مما يدل على شدة الاهتمام بالجودة التعليمية، لإصلاح التعليم فى مصر، تمشيا مع الاتجاه الدولى السائد.

وتجدر الإشارة إلى أن الأخذ بمبدأ «فرض العين وفرض الكفاية» إنما ينطلق من مرونته واختلاف تطبيقه من موقف لآخر. والأمور تقدر بقدرها. فجودة التعليم يمكن الاكتفاء فيه على عينة أو مجموعة من المتعلمين فى الأوقات التى يتمتع الوطن فيها بالغلبة والسيادة كما كان الحال فى فترة ما من فترات التاريخ. أما والحال التى عليها العرب اليوم، وهم يعانون من الضعف ، وسوء الحال، فإنه يتحتم الأخذ بفرض العين على كل متعلم ومتعلمة، فى أن يجود عمله، لأن تجويد أى فرد لعمله، إنما هو إضافة جديدة للقوة المتوقعة، وحساب جديد لرصيدهم الحضارى. و«مع إحلال المزيد من تكنولوچيات الموجة الثالثة - فان

الشركات تحتاج إلى نوع مختلف تماماً من القوى العاملة، ذات المهارات المتنوعة والمتقدمة، والقابلة للتطور باستمرار، وهذا من شأنه أن يغير من طبيعة مشكلة البطالة، أو عدم التشغيل، ويقلب النظرة إليها رأساً على عقب.

لقد ظهر الآن ان الاستراتيجيات القديمة للتشغيل لم تعد صالحة، لأنها تركز على دورة المال أكثر من التركيز على دورة المعرفة، ولم يعد من الممكن تخفيض البطالة بزيادة الوظائف، لأن المشكلة لم تعد مجرد أعداد، وإنما تجاوزت المفهوم الكمى إلى المفهوم النوعى[١].

ولعل من الأساليب التى تتصل بجودة التعليم، وجودة الأداء، وطرحت فى ميدان التعليم على أنها مداخل يمكن الأخذ بها فى رفع مستوى الجودة. ولعل من هذه المداخل أو المفاهيم ما يلى:

١ - **الجدارة فى العمل وهى:** خاصية ضمنية للشخص، لها علاقة سببية بأداء متفوق فعال، يعد مرجعاً معيارياً للوظيفة، أو الحالة[٢]. وهذه الجدارة ليست وليدة يوم وليلة، وإنما هى محصلة تعليم جيد، تضافرت كل الجهود، فى جعل المخرجات التعليمية عند هذا المستوى.

- **أقسام الجدارة:**

تقسم الجدارات إلى قسمين : جدارات استهلالية، وجدارات تمييزية.

ويقصد بالجدارة الاستهلالية تلك الخصائص الأساسية، التى لا يستغنى عنها أى فرد فى الوظيفة، ليحقق أقل قدر من الفعالية، دون أن تكون علاقة تميز المتفوقين عن المتوسطين.

أما الجدارة التمييزية فهى تلك العوامل التى تميز ذوى الأداء المتفوق، عن ذوى الأداء المتوسط[٣].

---

(١) ألفن وهايدى توفلر، نحو بناء حضارة جديدة، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٢) لايل.م، سبنسر الأصغر، سيجان م سبنسر، الجدارة فى العمل، نماذج للأداء المنظور (ترجمة: أشرف فضيل عبدالمجيد جمعة). المملكة العربية السعودية : مركز الطباعة والنشر بمعهد الإدارة العامة، ١٤٢٠هـ، ص٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠.

- **خصائص الجدارة :**(١)

أ - الدوافع : وهى الأشياء التى يفكر الفرد فيها، أو يرغبها باستمرار، وتتسبب فى إقدامه على تصرف ما. وتقوم الدوافع باختيار السلوك وقيادته وتوجيهه، نحو أفعال وأهداف معينة، بعيدة عن الأخرى.

ب- الصفات : وهى الخصائص المادية، والاستجابة المتسقة مع الظروف، أو المعلومات. وهذه الصفات تنبئ عما يفعله الناس فى أعمالهم على المدى الطويل، دون رقابة لصيقة.

جـ- المفهوم الذاتى : وهى توجهات الفرد، أو قيمه، أو صورته الذاتية، مثال: الثقة بالنفس- أى اعتقاد الشخص أنه بإمكانه أن يكون فعالاً فى أى حالة تقريباً - تعد جزءاً من المفهوم الذاتى للشخص.

د - المعرفة : وهى المعلومات التى لدى الشخص فى مجال معين. وهى جدارة مركبة مثل: معرفة الجراح بالأعصاب والعضلات فى الجسم البشرى. وهذه المعرفة تنبئ - فى أحسن الأحوال - عما يستطيع الشخص أن يفعله، لا ما سوف يفعله فعلاً.

هـ- المهارة : وهى القدرة على أداء مهمة ذهنية، أو مادية، فالجدارة الذهنية أو العقلية مثل: التفكير التحليلى (معالجة المعلومات والبيانات)، والجدارة المادية مثل: أن يحشو طبيب الأسنان الضرس، بدون أن يتلف العصب.

ان مدخل الجدارة أكثر عدلاً وحرية وكفاءة. تقدم الجدارات لغة مشتركة، وأسلوباً عاماً باستطاعته أن يحقق التكافل بين جميع الوظائف والخدمات فى حقل الموارد االبشرية، بما فى ذلك الاختيار، وتقييم الآداء والتخطيط، لإحلال الموظفين والتدريب والتطوير والتعويضات، وكل ذلك من أجل مساعدة الأشخاص، والمؤسسات للمجتمعات، لتصبح أكثر إنتاجية فى سنوات التحدى القادمة، عن طريق القيام بأداء عمل أفضل من مستوى الآداء الحالى.(٢)

---

(١) المرجع السابق، ص ص ٢٣ - ٢٥.
(٢) المصدر السابق، ص٤٩٩.

٢ - **الإتقان :** يقصد بالتعلم الإتقانى أن يصل التلاميذ إلى مستوى من التحصيل، يحدد لهم مسبقا كشرط لنجاحهم فى دراستهم للمنهج، أو المقرر المقدم لهم .. وعادة ما يستخدم معيار مستوى الإتقان بـ(٩٠/ ٩٠/ ٩٠) ويقصد به توقع أن يصل إلى ٩٠ من التلاميذ، إلى تحصيل ٩٠٪ من الأهداف فى ٩٠٪ من الحالات عند تقويمهم.(١)

ويعنى هذا أن استراتيجية التعلم حتى التمكن ماهى إلا مجموعة من الخطوات التعليمية المتتالية، والمخطط لها مسبقا، ووفق نظام معين للوصول بالمتعلم إلى مستوى تمكن ٨٠٪ فأكثر، بحيث لا يمكن الانتقال من وحدة إلى أخرى إلا بعد الوصول إلى هذا المستوى.(٢)

وهذه الاستراتيجية تشتمل على ستة ملامح مشتركة، هى: أهداف تعليمية محددة تحديداً واضحاً، وإجراءات قياسية صادقة وقصيرة، ومستويات تمكن مختلفة، وسلسلة من الوحدات التعليمية، وتوفير التغذية الراجعة للتقدم التعليمى للطلاب، ثم توفير الوقت الإضافى للمساعدة فى تصحيح أخطاء محددة للطلاب، والتى لا تتطابق ومستوى التمكن.

ويعتمد التعلم الإتقانى على حقيقة مؤداها: أنه إذا قدم لمجموعة من التلاميذ مادة تعليمية معينة، وتعرضوا لنفس التعليم من حيث كمية التدريس، ونوعيته، والوقت المسموح لهم به للتعلم - فانه من المتوقع أن يكون تحصيل هؤلاء التلاميذ مرتفعاً نسبياً، وموزعاً فى صورة التوزيع الجرس الاعتدالى المعروف، فى حين أنه إذا كان التلاميذ موزعين تبعاً للتوزيع الاعتدالى بناء على قدراتهم، ولكن نوعية التعليم والزمن المسموح به جعل مناسباً لصفات وقدرات كل تلميذ وحاجاته - فانه من المتوقع أن يصل معظم التلاميذ إلى درجة، أو مستوى إتقان المادة العلمية.(٣)

---

(١) نادية عبدالعظيم محمد، الاحتياجات الفردية للتلاميذ وإتقان التعلم، الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٩١، ١٣٧.

(٢) إسماعيل محمد الأمين، فاعلية طريقتين علاجيتين فى إطار استراتيجية التعلم حتى التمكن على تحصيل طالبات الصف الثانى الاعدادى وبقاء أثر التعلم لديهن وتنمية ميولهن نحو الرياضيات «تكنولوجيا التعليم، المجلد الثامن، الكتاب الرابع، ١٩٩٨، ص٢٥٢.

(٣) نادية عبدالعظيم، المرجع السابق، ص١٣٥.

وتناسب استراتيجيات التعلم حتى التمكن تعليم الأساسيات فى فروع العلم المختلفة، حيث أنه العامل الرئيسى والمحدد لتحصيل التلميذ، ليس قدرته العقلية، ولكنه الوقت الذى يحتاجه ليصل إلى إتقان مادة تعليمية ما.

وقد توصل اندرسون Anderson ١٩٨٥ من مراجعاته للأبحاث التى تمت فى مجال التعلم من أجل التمكن، إلى أن الطلاب الذين تعلموا بهذا الأسلوب، تفوقوا على الطلاب الذين تعلموا تعليماً تقليديا بالنسبة لمستوى التحصيل، والاستيعاب، ومعدل التعلم، والاتجاهات، وتقدير الذات، ويقترب هذا النوع من التعلم من التعليم الفردى، أو التعليم فى مجموعات، ولكنه معزز بوسائل مساعدة للوصول إلى درجة الإتقان.

وخلاصة القول أن تحكيم مبدأ « فرض العين وفرض الكفاية» فى ميدان التعليم أصبح ضرورة ملحة، تفرضها تحديات العصر» فقد تحدث «شيمون بيريز» وزير الخارجية الإسرائيلى (٢٠٠٢)، فى التليفزيون الاسرائيلى، وأشار إلى أنهم هنا يكرسون للدولة اليهودية، وأنه يوجد دول قريبة منا، تكرس للدولة الإسلامية، فإذا كانت الدول التى تكرس للدين الإسلامى فى هذه المنطقة تملك الثروات الطبيعية، والبترولية فإننا نستطيع أن نحسم الصراع لصالح إسرائيل، وعن طريق الثروة البشرية التى تمتلكها، وإتاحة التعليم الجامعى لكل فتى وفتاة فى إسرائيل.[1]

---

(١) حسين كامل بهاء الدين، محاضرة: الجامعات المصرية وتحديات المستقبل، القاهرة، وزارة التربية والتعليم، قطاع الكتب، ٤/٣/١٩٩٦، ص١١.

الفصل الرابع

تنمية التفكير

الفصل الرابع

تنمية التفكير

يتناول هذا الفصل الاهتمام بالتفكير كأساسية من الأساسيات التربوية، لأن الحضارات الإنسانية قوامها التفكير الخلاق، وفيما يلى بعض أبعاده:

١ - **التفكير وظيفة عقلية بحتة**، وعمل ملازم للإنسان لا يفارقه لحظة، يشتد إذا كان هناك موقف يتطلب الخروج منه، أو مأزق وضع الإنسان فيه، أو مسألة علمية تضطر الحاجة إلى حلها، وهو يصدر من الفرد، والاثنين، والجماعة، بل انه طلب من الجماعة فى سبع عشرة مرة فى القرآن الكريم -ولعله فى الأمور الحياتية - مقابل مرة واحدة للاثنين، ومرتين للفرد، ليضيف تفكير الآخرين لتفكيره، مما يدل على أن تفكير الجماعة مقدم على تفكير الواحد والاثنين، فى كثير من مجالات الحياة. وفى هذا اتساق مع الأمر بالشورى، لأنه الشورى تتطلب تفكيراً جماعياً، والرضوخ لما تسفر عنه عملية التفكير من الجماعة، ولو بالأغلبية. وتفكير الواحد والاثنين والجماعة كلها ضرورية للإنسان.

والتفكير فى اللغة : إعمال العقل فى مشكلة للتوصل إلى حلها، أما الفكر فهو إعمال العقل فى المعلوم للوصول إلى معرفة ومجهول، ويقال: لى فى الأمر فكر: نظر وروية.[1]

ويقصد بالتفكير كل سلوك يستخدم الأفكار، أى الصور الذهنية، والعمليات الرمزية، والإنسان هو الذى له القدرة على التفكير والتكلم، من بين سائر الحيوانات، أى استخدام العقل واللغة[2]، فعملية التفكير هى - أساسا - عملية

---

(١) إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، جـ٢، القاهرة، دار الفكر، ص٦٩٨.

(٢) كمال دسوقى، علم النفس دراسة التوافق، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٤م، ص١٥٧.

مرتبطة بالسلوك والتصرف تجاه موقف من المواقف، واتخاذ القرار، بالتأمل والرؤية، وتكوين رأى معين، للوصول إلى حكم ما، قد يكون مبدئيا، أو نهائيا.

٢ - الهدف من التفكير:

يستهدف التفكير ما يلى:

١ - إنجاز هدف ما، أو تحقيق شيء ما، يتوقع حصوله، والسيطرة عليه، بعيدا عن الفشل والإخفاق.

٢ - وعى الإنسان لما يدور حوله، واليقظة لمعرفة الأساليب الصحيحة والخاطئة، ليس فقط لاستعمالها، ولكن لكى يتعرف على هذه الأساليب حين يستعملها الآخرون. وما سؤال الطفل لأبيه وأمه، ما هذا؟ من الأشياء التى تحيط به، إلا بداية وعى لمعرفة البيئة التى يراها، ويحاول التفكير فيها، مهما كان هذا التفكير بدائيا.

٣ - تجنب المناقشات الفلسفية المعقدة، واستحداث الأساليب التى تضفى على التفكير روح الإثارة والاستمتاع.

٤ - تجنب المبالغة، وذلك باللجوء إلى التعميمات الخاطئة، وتقدير الشيء تقديراً جزافياً، وذلك أما بالتهوين من شأنه، أو التهويل منه. وكلا الأمرين خال من الموضوعية.

٥ - حمل الإنسان على التعامل مع التفكير من جهة العائد منه على الفرد أو المجتمع أو كليهما معاً، لأن هناك أموراً لا يمكن أن يصل الإنسان فيها إلى رأى، مهما طال به التفكير، وهى الغيبيات، وهى من الأمور التى تكفلت بها الرسل.

٦ - ممارسة عمليات التفكير، حتى يتم تنفيذها بطريقة آلية وسلسلة، وبدون أى مشقة أو عناء. بمعنى تعويد المتعلم على التفكير فيما يواجهه من موقف، أو مشاكل، لأن إعفاء الإنسان نفسه من التفكير وترك الغير يفكر له - يؤدى إلى حلول بعيدة عن الصواب.

٧ - تعميم عملية التفكير، لا فى المجال المدرسى، والتحصيل العلمى فقط، ولكن فى كل ما يحيط بالإنسان فى السماوات وفى الأرض، لأن الشمولية فى التفكير مدعاة إلى التنمية، وتحقيق الطفرة فى الحياة، إذ أن كل ما فى الوجود ليس عبثا، وما يلتفت إليه البعض من المفكرين، ربما لا يلتفت إليه الآخرون، وكلا الطرفين متمم للآخر، ومساعد له فى فهم أبعاد هذا الوجود.

٨ - ممارسة العقل لواجب من واجباته - مهما كان مستوى هذا التفكير - ليتصرف صاحبه وفق تفكيره : صواباً، أم خطأ، وليتحمل مسئولية تفكيره ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ [لقمان: ٢١]

٩ - حسم الشك باليقين، وإزالة موقف التردد، لأن فى ذلك راحة للإنسان من متاهة الظن والتخمين : ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ** ﴾ [الأنعام: ١١٦] وما يسرى على الجانب العقدى يسرى على كل شئون الحياة.

٣ - أهمية التفكير:

تنبع أهمية ممارسة التفكير، والتعود عليه لعدة أسباب، منها مايلى:

١ - أنه يعلم الإنسان كيف يقدر الموقف الذى يواجهه تقديراً سليماً، ويقلبه على وجوهه المختلفة بما لا يفوت الفرصة عليه من الإفادة من هذا الموقف، أو ذاك فضلاً عن الخبرات المكتسبة من هذه المواقف.

٢ - أنه يعلم الإنسان التروى فى إصدار الحكم. فإذا أصدر الحكم فإنما يكون قد أصاب الهدف. والبعد عن الخطأ فى الهدف - مدعاة إلى الثقة فى النفس، واستشعار لذة النجاح.

٣ - أنه يبين للإنسان وجه المفاضلة بين الشىء وضده، الأمر الذى ينتهى به إلى

الاختيار المطلوب. والاختيار السليم من بين البدائل المختلفة - لا يأتى من فراغ، وإنما هو وليد خبرة طويلة.

٤ - أنه يبين للإنسان متى ينحاز للعقل، أو للعاطفة، أو لكليهما معا، إذا ما أيدت المعطيات ذلك، لأن الأدلة المقنعة تحتاج - أحيانا- إلى سند يرجحها وميل يدعمها.

٥ - أنه يبين للإنسان الفرق بين وضوح الحق، وأساليب التموية والخداع، أو اللف والدوران.

٦ - أنه يبين للإنسان كإنسان أولويات التفكير، حتى لا تختط الأمور، ويضيع الهدف، ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]

٧ - أن القصص بأنواعها المختلفة ملئ بالمواقف والأحداث، والشخصيات، والعقدة والحل وغير ذلك مما يمكن أن تحمله القصص من مضامين تدعو إلى التأمل، وزيادة التفكير.

٨ - ان الأحداث التى تقع فى الحياة، ويمر بها الإنسان ليست من الصدفة فى شىء، وإنما تتطلب من المرء إيجاد الروابط بينها، وتفسيرها تفسيرا يخدم الحياة ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] لأن الصدفة -غالبا- لا تبنى قانوناً ولا توصل إلى تعميم يفيد الحياة، كما أن الوصول إلى الروابط أو العلاقات بين الأشياء يحتاج إلى فكر عميق، وفهم بعيد عن السطحية، وهذا ليس فى متناول كل فرد، بل فى متناول المفكر اللماح.

٩ - أنه يكشف عن نواحى الإعجاز والتميز فى القرآن الكريم، والتأمل فى كل ما نزل فيه، وخاطب الناس به ويهيب بهم، ويأمل منهم أن يعملوا عقولهم فى كتابه الكريم.

١٠- أن التفكير يدعو إلى البحث فى بعض مظاهر هذا الكون. وهى كثيرة. منها: رفع السماء بغير عمد، وسيادة الله للكون، وتسخير الشمس

والقمر، وبسط الأرض ووجود الجبال والأنهار، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين، ومن النحل يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، ووفاة النفس، وإرسال الأخرى ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر:٢١] ، بل يتعدى التفكير مظاهر الكون المعاش والمرئى إلى الآخرة، وان كان هذا التفكير يغلب عليه الجانب الخيالى يدل على ذلك الحديث الشريف عن الجنة: « فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» لينعش التفكير الخيالى، ويرغب الناس فى العمل، وتقديم الخير، وإدخال البهجة على النفس، وعلى الآخرين.

١١ - ان التفكير جزء من الحياة، وليس هناك مهارة أكثر أهمية من التفكير، إذ أنه عامل مشجع للإنسان إذا أحس بقدرته على التفكير فى أى موضوع يقابله بطريقة عاقلة وعملية، بعيداً عن المشاعر الذاتية، والانفعالات غير المضبوطة.

وانطلاقا من هذه الأهمية فان موضوع التفكير ليس باللغز المحير، إذ صممت دروس لتنمية التفكير، ومنها برنامج «كورت» لأن تكون عملية يسهل استخدامها وتطبيقها فى العديد من المواقف، والبيئات المختلفة. وهى -بوجه عام- قد استخدمت من قبل مدرسين، لم يدربوا عليها من قبل، وهى أى الدروس تصلح لقطاع كبير من الناس من أعمار مختلفة (ست سنوات فأكثر) كما أنها تلائم كل القدرات ممن يتراوح ذكاؤهم بين ٧٥و١٤٠. إذ أن هذه الدروس تهتم بعمليات التفكير الأساسية التى تتشابه فى كل فئة عمرية، كما أنها مصممة لكى تكون بسيطة وعملية وواضحة، وبعيدة عن التعقيدة[1].

---

(١) كورت، جـ١.

٤ - ضرورة التفكير:

يعد التفكير مطلباً ضرورياً للفرد والجماعة لأنه[1]:

١ - وسيلة للترقى، والمشاركة فى بناء الحضارة المعاصرة، ومن لم يشارك فيها فهو غائب.

٢ - صلة بين الإنسان وربه، قبل أن يكون صلة بينه وبين المخلوق، وصلة الخالق لها الأولوية، بل أن صلة الإنسان بربه ترسخ صلته بغيره، وتبعث على الاندماج مع الآخرين، والعلاقة الطيبة - على أى مستوى - مصدر من مصادر السعادة.

٣ - وقوف الإنسان على الأسرار التى أودعها الله فى خلقه ليحقق الاستخلاف عن طريق الإعمار فى الأرض.

٤ - حل لكثير من القضايا الملحة، سواء أكانت هذه القضايا فردية أو جماعية. والحل الصحيح لابد أن يستند للعلم.

٥ - التحديد الدقيق لما يمتلكه الإنسان، والكون من طاقة. والتحديد الدقيق لأى شىء هو بداية الانطلاق الحقيقى.

٦ - استغلال أمثل للوقت حتى لا يضيع هدراً، لأن كل فاصل من الوقت أكثر أهمية من الفاصل الذى سبقه.

٧ - استثمار للطاقات فيما يعود بالخير على الفرد، وعلى أمته، بل على الإنسانية قاطبة.

٨ - خروج من دائرة الإعالة التى فرضت علينا من قبل المتقدم. والمتقدم غالباً ما يفرض سلطانه على المتأخر.

---

(١) سليمان بن محمد العنزى، التفكير الإبداعى، المعرفة، العدد ٥٢ رجب ١٤٢٠هـ، أكتوبر ١٩٩٩، ص٨٢.

٩ - مظهر من مظاهر التكريم للإنسان. وبعد الإنسان عن التفكير يحوله إلى جسد بلا روح بل إلى أدنى من ذلك ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[الأعراف:١٧٩]

١٠- إثبات لوجود الإنسان : زماناً ومكاناً، انطلاقا من التطور الطبيعى للأشياء، وتقديم الراية للأجيال القادمة ينبغى أن تكون فى وضع أحسن، فضلاً عن جنى ثمرة التفكير.

١١ - استبعاد المبررات، التى قد يلجأ إليها أصحاب الأهواء الخاصة، والشهوات الجامحة، بعد ركونهم إلى تفكير غيرهم ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٨].

٥ - مجالات التفكير:

يمكن حصر مجالات تفكير الإنسان فى ثلاثة أبعاد رئيسية، انطلاقا من القسمة العقلية. وهذه الأبعاد هى:

ا - البعد الإلهى:

يقر المؤمنون بأن الله خالق هذا الكون، وأنه سبحانه أكبر من كل شىء. وهذه القضية تظل الشغل الشاغل للإنسان المسلم، وتتطلب التركيز عليها والتذكير بها من خلال نداء الصلاة، وأدائها فى كل الأوقات، وينطلق اللسان بكلمة «الله أكبر» ليؤكد فى كل لحظة أن الله أكبر مما فى هذا العالم، ومن فيه حتى من حواس الإنسان. ومن هنا فإن التفكير فى ذات الله أمر مرفوض فى الإسلام. فالبصر حاسة ضعيفة عاجزة ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]

وفى حديث أبى ذر قال: سألت رسول الله ﷺ :«هل رأيت ربك؟ قال: نور أنَّى أراه»[١]. وفى حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :« لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا، خلق الله الخالق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: أمنت بالله[٢]. والوقوف عند هذا الحد فيه مصلحة للفرد والجماعة. لأن العجز عن الإدراك إدراك، كما يقولون. فكروا فى آلاء الله، ولا تفكروا فى ذاته.

ومعنى ذلك أن العقل الإنسانى مهما حاول التفكير، ليصل إلى أمر ما فى الجانب الالهى، وكذا فى الأمور الغيبية - فانه لا يمكن أن يعرف شيئاً إلا ما كان عن طريق الوحى، الذى اختص به الرسل وزودهم به الله. ولعل السبب فى هذه المساحة من المعرفة عن الغيبيات ما يلى:

أ - ليكون الناس على صلة بربهم، وضمان جانب الانتماء للمولى سبحانه بحكم الخلق والرزق.

ب- لتوفير وقت من التفكير فى أمور يستحيل عليهم أن يصلوا إليها بعقولهم العاجزة، والأولى بهم أن تستثمر فى جانب يجلب لهم النفع والخير، لأن التفكير الجيد ما كان له عائد مادى أو معنوى، على الفرد، أو الجماعة.

جـ- لزيادة العمل، الذى يتيح لهم فرصة الفوز بنعيم الآخرة، والثواب عند الله، واستمرار هذا العمل حتى آخر لحظة من عمر الإنسان، وجهل الإنسان بموعد لقائه مع ربه، يحتم عليه دوام العمل.

د - لتعمير الكون، انطلاقا من أن كل إنسان ميسر لما خلق له، وكل يسهم بما تفوق فيه وأبدع، وينبع ذلك من تكامل الحضارة الإنسانية، وعدم وقوفها عند فرد أو جماعية معينة.

هـ- لتكون دليلاً على إيمان المخلوقين بالخالق، وتصديق من أرسل من الرسل، بمقتضى الطاعة والالتزام وإعمال العقل ﴿ **وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [القصص: ٦٠].

---

(١) صحيح مسلم، جـ١، ص ١٦١.

(٢) المرجع السابق، جـ١، ص ١١٩.

و - لتوفير جانب من الاستقرار النفسى، إزاء إشباع جانب من نهم المعرفة لدى الإنسان، وتلبية شاغل من شواغله، التى يمكن أن تؤرق عليه حياته، وتحيلها إلى هم دائم، وقلق مستمر.

ز - لتسد بابا من الأبواب التى يمكن أن يلج منها مدعو العلم، والمتاجرون ببعض ألوان المعرفة، التى يتعطش لها شريحة من الناس، خاصة الأمور الغيبية.

٢ - البعد الإنسانى :

لا شك ان الإنسان كائن حى مفكر، وهو ما يتميز به عن بقية المخلوقات، إذ هو قادر على التفكير فى المحسوسات وفى المجردات. وحضارات الأمم والشعوب أساسها ما انتهى إليه تفكير أبنائها وأثبت فيه ذاتها. فهى أى الحضارة ليست بكثر الأفراد، ولكن بوفرة الإنجاز والإبداع، وتقديم ما يسعد الإنسان فى حياته من فكر مبتكر، يصلح للعمل به فى الحياة اليومية.

ومجال الفكر من الإنسان موجه - ضمن ما هو موجه - إلى أن يكون فى الإنسان ليعرف طبيعته، وميوله واتجاهاته، وجسده لأن هذه الأشياء هى اللصيقة به، والملازمة له، وقد تعلم بعضاً من هذه الأشياء، ودرسها، وأخضعها للبحث: تفسيراً وتحليلاً، وانتهى إلى ما انتهى إليه بغض النظر عما تم الاتفاق عليه، أو الاختلاف حوله. وهذه الدراسة ربما كان باعثها مقولة: «اعرف نفسك» وما صرحت به الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: ٢١] فهى دعوة إلى الإيمان بالله من خلال دليل داخلى من الإنسان نفسه، عن طريق الفكر والتأمل.

واقتضت حكمة الله ألا يجعل فهم الإنسان لنفسه كله فهما مواتيا لكل أجهزته، لإشعاره بضرورة التسليم لله الواحد الأحد. ومن ذلك: روح الإنسان التى بين جنبيه فجعلها بيده سبحانه ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الاسراء: ٨٥].

ويبدو أن المسائل التى استأثر الله بعلمها فى الإنسان، انما هى بمثابة صمام أمان لهذا الإنسان خوفا عليه من الافتنان بالعلم، والتغنى بسلطانه، وليدرك أن سلطان الله فوق كل سلطان، لكن مجال التفكير أمامه مفتوح، انطلاقا من أن التفكير فريضة إسلامية. ومن هذه المجالات - مثلا - التفكير فى أمر الزواج، وما يتبعه من المودة والرحمة التى تنشأ من ائتلاف ذكر وأنثى بعد الزواج، وهما فى الغالب - جاءا من بيئتين مختلفتين: وطباعاً وتربية، وميولاً، واتجاهات. وهذا الائتلاف لا ينشأ بغتة أو مصادفة، وانما يأتى عن طريق الإرادة الألهية، مما يستدعى التأمل والتفكير. وقبل هذا التفكير فى خلق الذكر من الأنثى، والأنثى من الذكر ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] .

ويمكن القول إن تفكير الإنسان فى نفسه أمر مطلوب، لكنه ليس مطلقا، لأن عقل الإنسان يقف عاطلاً عن العمل أمام بعض المسائل، وفى هذا العجز فوائد ثلاث، هى:

الأولى : التسليم بأن تفكير الإنسان تفكير محدود، له إطار يمكن العمل فيه، وما خرج من هذا الإطار محكوم عليه بالعجز والفشل، لأن العقل مثل سائر الحواس، له قدرة محددة يقف عنها.

الثانية : التسليم بأن علم الله لا نهاية له، ولا مفر من الإيمان به سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ومن هنا فلا غرور بالعلم ولا تأليه له ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]

الثالثة : التقدير السليم لموقف الإنسان من العلم، وتقدير الموقف تقديرا سليماً هو بداية النجاح وإثبات الذات. والذين شقوا طريقهم فى الحياة، وتركوا بصمة فيها - هم الذين عرفوا إمكاناتهم وقدراتهم.

أما التفكير فى حياة الناس، وما يجرى معهم بالمشيئة الالهية، فذلك أمر مفتوح لكل عقل بشرى، يمارس فيها إمكاناته وقدراته بالقدر الذى يحقق له الاتساق مع الناس، ويضفى عليهم مزيدا من الإقبال على الحياة.

٣ - البعد الكونى:

هذا المجال من مجالات التفكير، لعله من أكثر المجالات سعة، ووفرة، وعمقاً للتفكير الإنسانى، لأنه يتعلق بالكون الذى يعيش فيه كل الناس، والذى ينتظر منهم تقديم أبدع الأفكار كل فى دائرة اهتمامه، فليس التفكير فيه -مثلا- وقفا على مجموعة من المتخصصين فى فرع واحد، أو أكثر من فروع المعرفة. فالتفكير فى عظمة الخلق الإنسانى، لا يدركه غالباً إلا المشتغلون بالطب، أو بعض التخصصات الأخرى، لكن البعد الكونى يفكر فيه كل متأمل فى نظام هذا الكون، وإبداعاته من سماء، وأرض، وبر، وبحر، جو.

والكون بما فيه من جمادات مثل الماء والمعادن، وكائنات حية وهى لا حصر لها، وكائنات منتجة، وكائنات مستهلكة، وكائنات محللة - تكون البيئة التى يؤدى الإنسان فيها دوراً مهما من حيث تفاعله مع غيره من العناصر: إيجاباً أو سلبا، بالتفكير الجاد، والملاحظة المستمرة، والتجربة العلمية، الأمر الذى يحقق السعادة للإنسان فى حياته، وهذا ما تترجمة الآية الكريمة ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية:١٣] . والتسخير لا يأتى صدفة، ولا يتم بغير جهد. والمدخل الوحيد لتسخير ما فى الكون وتذليله هو العمل العلمى الجاد، الذى ينتهى إلى التطبيق العملى فى الحياة.

ويوجه الإسلام أنظار معتنقيه بالتأمل فى هذا الكون، لأن هذا التأملْ ربما ينتهى إلى الفوائد التالية:

أ - إعمال العقل بصورة مستمرة، واستغلال منافذ المعرفة، وهى الحواس- فى الوصول إلى أسرار هذا الكون، والاستدلال بها على واحدنية الله، ولذا فإن تعطيل الحواس عن عملها سلوك خاطئ. وشغل العقل بالتفكير مطلب دينى وإنسانى.

ب- تحقيق بعد مهم من أبعاد العبادة بمعناها الحقيقى، وهو القرب من الله، وتنفيذ أمر من أوامره سبحانه وتعالى: ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي**

الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١] . فلا معنى لنظر، أو تأمل أو فكر لا يقود إلى الإيمان.

جـ- اكتشاف جوانب علمية جديدة، واستغلالها فى أوجه الحياة المختلفة، مما يزيد من سعادة الإنسان، وتحقيق جانب من جوانب الرفاهية له، الأمر الذى يفضى إلى تقدم الحضارة ونموها. فجاليليو استنتج من حركة الحبل كيفية قياس الوقت، وصموئيل براون صنع جسراً معلقاً (كوبرى) عندما أبصر عنكبوتا تحدد خيوطها من شجرة لأخرى، وتسير عليها، وبرونل صنع نفق نهر التيمس من خلال ملاحظته للأرضة، وهى تنقر الخشب، وتدهن ما تنقره بمادة لزوجة، ونيوتن استنبط من سقوط التفاحة قوانين الجاذبية، وزويل توصل إلى فيمتو ثانية، واحد من المليون على البليون من الثانية، إلى غير ذلك من الاكتشافات العلمية.

٦ - أنواع التفكير:

العقل الإنسانى نظام قادر على إبداع النماذج والعلاقات، وخلقها، واستعمالها ويمكن القول أن هناك ثلاث حالات ممكنة يكون عليها العقل فى حالة تفكير، وهى:

١ - التفكير التلقائى:

وفيه ينتقل العقل من فكرة إلى أخرى، وهى بدورها تقود إلى فكرة ثالثة، وهكذا والمحصلة النهائية لهذه الحالة لابد أن تكون عشوائية فقد يبتعد العقل كثيراً عن النقطة التى كان من المطلوب التفكير فيها.

٢ - التفكير المحورى:

وفيه يكون العقل يقظاً واعياً للموضوع المطلوب التفكير فيه، فلا ينساق العقل بعيداً عنه، وقد يكون هناك ميل لأن يندفع العقل وراء فكرة معينة، إلا أنه سرعان ما يعود إلى الموضوع الأساسى، ومع ذلك فان هذا النوع محدود فى استكشاف المنطقة موضوع التفكير، ولهذا فهو عشوائى إلى حد ما.

٣ - التفكير الموجه:

وفيه يكون الموضوع الرئيسى محاطا بدائرة من الاتجاهات المحددة لتوجيه التفكير، ولذلك فليس هناك مجال للانتقال من نقطة إلى أخرى بدون هدف، وهذا هو موضوع التفكير الناقد والتفكير الإبداعى.

(أ) التفكير الناقد:

وهو الذى يستمر فى تكوين الأحكام على القضايا العقلية Propositions هذه صادقة، وتلك فاسدة. هذه علة تلك، أو ليست علتها(١)، أو أن هذا التفكير يحدث عندما يحصل الشخص على معلومات جديدة، ويخزنها فى الذاكرة، ثم تترابط أو ترتب، وتقيم هذه المعلومات لتحقيق الهدف. وقد عرف بول وزملائه(٢) Paul, et al., 1990 التفكير الناقد بأنه «تفكير ذو توجيه ذاتى يعبر عن جودة التفكير التى تؤدى إلى الوصول للهدف. وهذه الجودة تتمثل فى الوضوح والإتقان والحرص والمناسبة، والتتابع، والمنطقية، والعمق، والاكتمال، والوحدة، والحرية والكفاءة.

(أ) التفكير الإبداعى : Greative

وهو ذلك النوع من التفكير الذى يكشف علاقات جديدة. ويحقق حلول مشاكل جديدة، ويبتكر طرقاً وتصميمات جديدة، ويستخدمْ موضوعات وصورا فنية جديدة، مستخدماً مهارات التفكير النقدى، لا فى المراجعة والفحص، بل فى خلق ما هو مبتكر وقيم(٣). فالإبداع، أوالخلق مفهوم يغطى مساحة كبيرة ولكنها عامة، تعنى ابتكار شىء جديد. فالرسام الذى يرسم لوحة لم ترسم من قبل هو مبتكر، وكذلك المخترع الذى اخترع شيئاً يعمل بكفاءة، والعالم الذى يكتشف شيئاً جديدا هو كذلك مبدع.

---

(١) كمال دسوقى، المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٢) نقلا عن : المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، التدريس لتكوين المهارات العليا للتفكير، القاهرة: قطاع الكتب، ١٩٩٥م، ص ص١٦، ١٧.

(٣) كمال دسوقى : المرجع السابق، ص١٥٧.

والتفكير كله من نوع معين، فهو تحليلى نقدى تنظيمى، ففى العلوم - مثلا- نجد التأكيد عل جمع الحقائق قبل التوصل إلى النتائج، بينما فى واقع الحياة نجد أن القرار العملى يستلزم، أو يتطلب حقائق قليلة، وفى المنطق يتم التركيز - عادة - على الأبنية القياسية، ورغم أهمية هذه الأبنية فى الجدل، إلا أنها تحتل جزءاً فى عملية التفكير العملى.

وهو أى التفكير جزء لا يتجزأ من حياتنا. فهو طبيعى مثل: المشى والتنفس، والجرى. ومع أن الجرى شيء طبيعى، إلا أن الرياضى يجب عليه أن يتدرب حتى يتحسن أداؤه أكثر مما هو عليه. فالآداء العادى يمكن أن يكون أقل بكثير من الإمكانات الكامنة فى البشر. وربما يكون هذا الآداء كافيا للتعامل مع المواقف المألوفة، لكنه غير كاف لأى مواقف جديدة، أو غير متوقعة، وهذا ينطبق بالتأكيد على التفكير. بمعنى أن القدرة الطبيعية على التفكير تقترب من القدرة الكامنة فى أى مجال من مجالات التفكير، إذا تم التدريب عليها، وذلك مثل الرياضى المتدرب فإنه يتفوق على الرياضى غير المتدرب، والذى يملك نفس القدرة الطبيعية، ويرجع ذلك لاستثمار طاقاته بطريقة رابحة، أو لامتلاكه قدرة أكبر على التحمل.

ولعل الأحاجى والألعاب يمكن أن تجعل من التفكير عملية مرئية، وهى بهذا عملية مفيدة، لأنها تتطلب تكرار نفس طريقة التفكير، لكنها لا تكفى بمفردها، أما مهارة التفكير فمن الصعب نقلها، ولعل الهدف الأساسى من الأحاجى والألعاب أن تخلق شعوراً لدى الطالب بالتفكير فى بعض أنماطه المختلفة.

٧ - تنمية التفكير ومراحله :

يعامل التفكير كمهارة يمكن تنميتها، عن طريق الانتباه والممارسة، واستخدام بعض التركيبات اللغوية، وقد يكتسب بطريق الانتباه العمدى، كما يمكن تطويره عن طريق ظروف خاصة، ربما تكون طبيعية، وبالرغم من ذلك فان التفكير مهارة، وليس قدرة طبيعية، وهو يشبه السباحة أو ركوب الدراجة أو قيادة السيارة. فإذا اعتبرنا معدل الذكاء هو القوة المحركة للسيارة يكون التفكير حينئذ هو المهارة التى تقاد

بها السيارة. وكما أننا نمارس أى مهارة نتقنها. فكذلك الحال بالنسبة للتفكير. فالدروس المقررة فى كتاب «كورت» Cort تعد تدريبات على التفكير.

ويمكن تلخيص أسلوب تدريس الـ «كورت» على النحو التالى:

- تعيين الموضوع بدقة.
- الإيضاح.
- العمدية.
- الوضوح.
- التحديد القاطع.

وتشرح العناصر الثلاثة: تعيين الموضوع بدقة، والإيضاح، والوضوح نفسها. ويأتى التحديد القاطع عكس الاندفاع غير الموجه - فهى تعنى الإيضاح فى الفعالية كشئ مميز عن الإيضاح فى الشرح. وتتضمن العمدية نية واعية لعمل شىء ما، وكذلك التنفيذ العمدى لهذه النية.

وتقدم الدروس الخاصة بتنمية التفكير إطاراً محدداً، وواضحاً للتفكير بشأن الأشياء. ويعنى هذا الإطار أن يقوم المتعلم بعمل شىء واحد فقط فى كل مرة، أو مهمة تفكير محددة، يجب أداؤه وبدون هذا الإطار العام يمكن الانتقال من نقطة إلى أخرى، والابتعاد عن النقاط المهمة، وبذل المزيد من مجهود التفكير، دون التوصل إلى نتيجة نهائية. وبدون هذا الإطار - أيضاً تصبح الأشياء معقدة ومركبة، كما نزدحم الأشياء فى ذهن المفكر، الذى عليه أن يتذكر كل شىء فى الحال.

ولعل أول شىء يمكن عمله بخصوص التفكير هو توجيهه نحو هدف محدد، والسعى وراء تطبيقه، واضحاً فى أى مجال، أو فى أى مادة دراسية تشتمل على التفكير، لأن الهدف هو المفتاح الحقيقى لما يأتى بعد. ويشتمل على الآتى:

١ - اعرف الهدف.
٢ - التزم بالهدف.
٣ - اكتشف أهدافاً أخرى.
٤ - اسع وراء تحقيق الأهداف المعطاه.
٥ - انشىء أهدافا أخرى.

والخطوة الثانية بعد الهدف هى الدراسة التمهيدية للهدف، وتوسيعه، والتحدث عنه، بقدر المستطاع. والخطوة الثالثة هى اختصار كل ما قيل فى صورة ملخص وخاتمة.

أما مراحل التفكير فهى:

- الغرض : ماذا يريد أن ينجز؟ ويعنى به: المعرفة الدقيقة لما يجب أن يختتم به التفكير.
- المدخل : ماذا يدخل فى التفكير ؟ ويعنى بالمدخل كل المقومات والعوامل والمعلومات والاعتبارات.
- الحلول: الأساليب البديلة لحل المشكلة، ويعنى بها المرحلة التى يقوم بها المفكر بالنظر والبحث والكشف عن الأشياء.
- الاختيار : الاختيار بين البدائل، ويعنى به دراسة وفحص سلسلة واسعة من الأشياء لاختيار أى الحلول أفضل.
- الفعالية : الخطوات الفاعلة للتطبيق العملى للتفكير. إن وضوح الرؤية بشأن كيفية ملاءمة الحلول البديلة للمتطلبات بشكل جيد هو مفتاح الفعالية.

وتنطوى خطوات الفعالية التامة على أن الحل يأخذ طريقه إلى التطبيق.

٨ - كيفية التدريب على التفكير:

هناك ثلاثة أشكال للتدريب على التفكير فى الدروس المختلفة - كل حصة دراسية مدتها خمس وثلاثون دقيقة، وهى:

١ - العمل الجماعى: حيث تقوم كل مجموعة من الطلبة - أربعة طلاب - بمناقشة المشكلة المطروحة فى الوقت المحدد لها. ثم يقوم متحدث بالنيابة عن المجموعة بعرض أفكارها على باقى الفصل، بعد ذلك تقوم باقى المجموعات بعرض أفكارها، أو بعرض النقاط التى تختلف فيها مع المجموعة الأولى، يتم بعد ذلك مناقشة مفتوحة ، وقد يقوم المدرس بسؤال بعض الطلبة للتعليق على أحد المجموعات.

٢ - العمل الفردى : يفضل هذا الأسلوب فى المدارس التى لم تتعود على العمل الجماعى، كما أنه يفضل فى الفصول ذات الأعداد القليلة، والقدرات العالية، يقوم الطلبة بالعمل بشكل فردى، فى حدود نفس المدة الزمنية المسموح بها فى العمل الجماعى، بعد ذلك يسمع المدرس من الطلبة المتطوعين، أو اختيار من يعرض مقترحاته.

ولعل العيب فى هذا الأسلوب أنه كثيراً ما ينتهى الوقت، قبل أن يستمع المدرس إلى كل طالب على حدة، كما أن الطلبة الآخرين ربما يشعرون بالملل. والبديل لذلك أن يطلب المدرس من كل طالب كتابة اقتراحاته ثم يجمعها، ويقوم بقراءة مقطوعات منها، يتم اختيارها عشوائيا.

٣ - المناقشة المفتوحة: ليس هناك وقت محدد للقيام بالمناقشة، وإنما يبدأ المدرس بالمناقشة على حين يقوم الطلبة بالتعليق، وتقدم الاقتراحات من البداية، كما يستطيع المدرس أن يطلب تعليقات من الطلبة فرداً فرداً، وعلى المدرس أن يكون حريصاً على طبيعة الدروس العملية، وألا يبتعد عن الهدف من الدرس، فضلاً عن المناقشات الفلسفية.

وتجدر الإشارة إلى أن للمدرس الحرية فى استخدام أى شكل من هذه الأشكال، تبعاً لما يراه مناسباً لطبيعة الطلبة وعددهم، كما تجدر الإشارة إلى أن الشعور بالتحسن والتقدم فى مهارة ما عادة ما يكون تدريجيا، حتى إن بعض الطلبة لا يكادون يشعرون من يوم لآخر، على عكس المواد الدراسية الأخرى، والتى يمكن فيها رصد التقدم الذى يحدثه الطالب، يوما بعد يوم، ولذلك فإن للمدرس الحرية فى إضافة تدريبات قصيرة لمدة خمس أو عشر دقائق فى بداية الحصة أو نهايتها، واستخدام هذه التدريبات كواجب منزلى.

وواقع الأمر أن دروس التفكير الناقد والإبداعى تعطى شعوراً أكبر بالإنجاز حيث أن الهدف هو الابتكار والوصول إلى فكرة جديدة، من منطلق الإصرار على تحديد التفكير.

ومهما يكن من أمر فان العالم اليوم على اتساعه قد ضاق، بسبب تقدم وسائل الاتصال وزاد ذلك من اتصال بعض الدول بالأخرى، ولم يعد البعد المكانى لها له اعتبار، بعد أن ألغى الاتصال بعد المسافات وفى الوقت نفسه نشأت قضايا ومشكلات: قصيرة الأجل أو طويلته، وتطلب ذلك مواجهة تلك المشكلات بالتفكير المتأنى، والحوار المبنى على الأدلة والبراهين، كما نشأن بعض البرامج التى تعالج هذه المشكلات وتطرحها على المستمع أو القارئ، أو المشاهد، وهذه البرامج لها طبيعة خاصة تتطلب نوعاً معيناً من التفكير، الأمر الذى يستدعى ضرورة دراسة طبيعة التفكير وملامحه، والردود المتوقعة لكل موقف، وكل ذلك يستخدم اللغة لأنها أداة عرض المشكلة.

ولعل قضايا التحكيم بين الدول حول حقوق كل تطلب إجادة التفكير، وقوة الرد المباشر، فى وقت يستحل كل طرف فيه حقوق الآخر، وهذا ما يفسره حديث رسول الله ﷺ عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ : «أنكم تختصمون إلى، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضى له على نحو مما أسمع منه. فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فانما أقطع له به قطعة من النار»[1]، والخطاب هنا للمؤمنين الذى لا يقبلون أن يأكلوا حقوق الآخرين، مهما كان مستوى كل من القوة، أما اليوم فإن القوة فوق الحق، وضياع حقوق الضعيف أمر لا جدال فيه.

والتدريب على تنمية التفكير من خلال البرامج المعدة لذلك - ليس هو المجال الوحيد لتنمية التفكير، وإنما تتم هذه العملية من خلال المواد الدراسية المختلفة بمعنى أن تنمية التفكير محمل على المواد الدراسية، كل مادة حسب طبيعتها، وكل مدرس بحسب خبرته، وخلفيته الثقافية، وكل موقف فى المدرسة بحسب إمكانية استغلاله لتنمية جانب من جوانب التفكير. وكل ذلك يصب فى النهاية فى العقل البشرى ليعاد صياغته ليظهر ملمح من ملامح التفكير. وقد يتم ذلك من خلال الحوار.

(١) صحيح مسلم، جـ٣، ص ١٣٣٧.

٩ - الحوار تنمية للتفكير:

ورد فى المعجم الوسيط أن الحوار هو: حديث يجرى بين شخصين أو أكثر فى العمل القصصى، أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح. وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم. وتجادلوا، وفى التنزيل العزيز ﴿**وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**﴾[المجادلة: ١].

ويقصد بالحوار: مراجعة بين شخصية أو أكثر، مراجعة تثرى القضية التى تعالج بهدف تحديد المعالم الأساسية لها، مما يستوجب العمل بها، والاعتماد عليها فى إصدار قرار سليم ونهائى «وغاية الحوار توليد الأفكار الجديدة فى ذهن المتكلم، لا الاقتصار على عرض الأفكار القويمة. وفى هذا التجاوب توضيح للمعانى، واغناء للمفاهيم، يفضيان إلى تقدم الفكر. وإذا كان الحوار تجاوبا بين الأضداد كالمجرد، والمشخص والمعقول والمحسوس سمى جدلاً»[(١)].

والحوار أسلوب رفيع من أساليب البحث عن الحقيقة، ومؤشر حضارى للمتحاورين، يعبر عن إيثار كل من المتحاورين للقضية، ودعمه للوصول إلى الحقيقة، وإذ أن الهدف محدد وواضح، وبالتالى فرفع الصوت مستبعد، وتعصب كل واحد لرأيه مستقبح، والحرص على أن يرى كل واحد موقعه فى المحاورة مرفوض، ومعنى ذلك أن الحوار يعنى ضمنا أن هناك ما يجب أن أتعلمه من الآخر.

ويتصل بالحوار «الجدل: وهو طريقة فى المناقشة والاستدلال، صورها الفلاسفة بصور مختلفة. وهو عند مناطقة المسلمين: قياس مؤلف من مشهودات، أو مسلمات. الجدليون: من اشتهروا بالجدل، كالسفسطائيين من اليونان، والمعتزلة من المسلمين. والمجادلة: (فى علم المناظرة): هى المناظرة، لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم[(٢)]، والجدل منه ما هو ممدوح: وهو كل جدال أيد الحق، وانتهى إليه، ومنه ما هو مذموم وهو عكس ذلك.

---

(١) جميل صليبا، مرجع سابق، ص ٥٠١.
(٢) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص١١١.

أما المناظرة بالبصيرة من الجانبين فهى النسبة بين الشيئين، إظهاراً للصواب، وقد يكون مع نفسه. ولا تزال اللغة – وستظل دائماً – بكيفية استخدامها، والقدرة على صياغتها صياغة جميلة هى الطريق البسيط والمختصر للوصول إلى الهدف، وتحقيق ما يراد تحقيقه. من هنا فان تدريب الطالب على أدب الحوار، وكيفية استغلاله استغلالاً طيباً لصالح قضيته، هو أحد الأهداف التربوية لأنه هدف إنسانى بالدرجة الأولى، ونفعى بالدرجة الثانية.

ويلاحظ أنه يمكن اختصار شروط أدب الحوار فى ثلاثة شروط هى:

١ – الصدق : وهو أقرب الطرق لقلب المحاور. وليس هناك مستوى أرفع مما ورد فى القرآن الكريم، فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[المائدة: ١١٦-١١٩]

ومع أن هذه المساءلة من الله لعيسى عليه السلام تكون يوم القيامة، يوم يجمع الله الرسل – إلا أن الآية ترينا أن الصدق ، وإقرار الحق – هو الضمان للفوز بالنجاح فى القضية المعالجة.

٢ – الإقناع : وهو القدرة على تقدم الأدلة الدامغة، التى لا يجد المحاور بدا من التسليم بها، بعيدا عن رفع الصوت، أو ما يتمتع به المحاور من وجاهة يحرج بها الطرف الآخر. وهذا الإقناع لا يتم من فراغ، وإنما باستغلال الواقع المعاش الذى لا يمكن أن ينكره أحد، أو المنطق الذى لا مفر من التسليم به. وفى

القرآن الكريم مثال من هذا النوع ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٧٨-٨٢].

والآيات الكريمات تعرض حواراً بين من ينكرون البعث، ويرون أن رد الحياة إلى العظام عملية غير معقولة، ولا يمكن أن يصدقها إنسان، ولذا عرضت أدلة مقنعة تمثلت فيما يلى:

أ - أن عملية خلق الإنسان من العدم، أصعب من رد الحياة إلى العظام، التى سلبت منها روحها.

ب- أن خلق الضد من الضد عملية مستحيلة فى عالم البشر، لكن القدرة الآلهية جعلت من الشجر الأخضر ناراً.

جـ- إن خلق السموات والأرض، والسيطرة عليهما لدليل على قدرة الخلاق العليم، الذى يقول للشىء كن فيكون. ولعل تعدد الأدلة فرصة للمنكرين أن يختاروا من البدائل المتعددة، ما يقنعهم، ويردهم إلى جادة الصواب.

وقد تصل درجة الإقناع على درجة الإفحام، بحيث لا يستطيع المحاور الرد ولا أن ينطق ببنت شفه كما يقولون. ومنه قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة: ٣٥٨].

ويتم الإقناع - عادة - عن طريق البرهان، وهو نوعان: حقيقة ورأى. فالحقائق تشمل الحقيقة البسيطة، والتجربة الشخصية والتجربة العامة، وأمثلة حدثت بالفعل، أما الآراء فتشمل الآراء، والمشاعر والميول، والمعتقدات، والحدس، وبشكل عام،

فكل ما هو شخصى يندرج تحت عنوان الآراء، وكل ما هو موضوعى يندرج تحت عنوان الحقائق. وهى لها خاصية التطبيق عالميا، إذ من المفترض قبولها من جميع الناس، أما الآراء فهى شخصية، وليست لها خاصية التطبيق عالميا.

ويمكن القول: أن البرهان عبارة تشير إلى النقاط والأفكار والحجج التى تسوقها، لكى تبرهن على صحة وجهة نظر ما. وأعلى درجات البرهان البرهان الرئيسى، وهو الحجة التى يعتمد عليها الموقف الجدلى من أساسه. وهو فى ذلك مثل حجر الزاوية، فإذا تم تفنيده فسوف ينهار الموقف الجدلى كله[١].

ولعل من الأمثلة التى تجمع بين الحقيقة والرأى الموقف التالى:

كتب المنصور إلى زياد عبدالله الحارثى، أن يوزع ما عنده من المال على القواعد والعميان، والأيتام فدخل عليه أبو زياد التميمى - وكان رجلا مغفلا - فقال له: أصلحك الله! اكتبنى فى القواعد. فقال له: عافاك الله! القواعد من النساء اللاتى قعدن عن أزواجهن. فقال له : اكتبنى فى العميان. فقال: اكتبوه منهم، فان الله يقول: فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور، فقال أبو زياد: أما وقد أحسنت إلى، فاكتب ابنى فى الأيتام لينال من فضلك. فقال: نعم سأكتب ابنك فى الأيتام، لأن من كنت أباه، فهو يتيم.

٣ - التلطف فى الأسلوب : وهو أن يساق الحوار فى الأسلوب يغلب عليه اللين، بعيدا عن الإجابات الحادة، والمواجهة المباشرة، لأن ذلك يدفع إلى التحدى، ويجعل الإنسان يركب عقله ويتمادى فى الصدام، أما التلطف فى الأسلوب فيستل الغضب من المحاور، ويجعله يركن إلى التسليم بما يرتضيه ذلك المحاور.

شكا بعض أهل الأمصار واليا إلى المأمون، فكذبهم، وقال : قد صح عندى عدله فيكم، وإحسانه إليكم، فاستحيوا أن يردوا عليه، فقام شيخ منهم، وقال:

---

(١) ادوارد دى بونو، التفكير الناقد الإبداعى البناء «كورت» المجلد الثالث، ترجمة عزه طه، ص ١٩.

يا أمير المؤمنين: قد عدل فينا خمسة أعوام، فاجعله في مصر غير مصرنا، حتى يسع عدله جميع رعيتك، ونربح الدعاء الحسن. فضحك المأمون، واستحيا منهم، وصرف الوالي عنهم.

وهذا التلطف لا يأتي فجأة، ولا يتحقق بين يوم وليلة، وانما هو وليد تدريب، وممارسة في مواقف متعددة، أما أن تكون طبيعية في الفصل فيستغلها المدرس، ويعلم التلاميذ من خلالها، وأما من مواقف يقدمها المدرس، اعتمادا على ثقافته العامة، ومعرفته بأصول الحوار، والأساليب المتبعة في مثل هذه المواقف لأن ذلك يمس مصلحته، ومصلحة. جماعته وجماع شخصية الإنسان في قدرته على التعبير المناسب، في الموقف المناسب.

وهناك مجموعة من مقاييس التقدير للدروس الباعثة على التفكير، وهي ليست نهائية، وإنما يمكن للمدرسين إضافة مقاييس أخرى. وأهم هذه المقاييس ما يلي:[١]

١ - تصميم درس يتناول عدداً قليلاً من المواضيع، بدلا من تغطية سطحية لعدد كبير منها.

٢ - عرض الدرس عرضاً مترابطاً منطقياً، لأن الدرس المبني على المعارف الدقيقة والأساسية، وذات الصلة بالموضوع، والسعي نحو التطور المنطقي للأفكار وتكاملها - يساعد على فهم الموضوعات المركبة والمعقدة.

٣ - منح الطلاب وقتا كافياً ومناسباً للتفكير في الإجابة عن الأسئلة المطروحة، ويتطلب ذلك فترات صمت تسمح للمتعلمين، التأمل في صحة الإجابات، والردود البديلة، ولإيجاد استدلالات مفصلة ودقيقة ولاكتساب خبرة في التأمل.

٤ - قيام المدرس بتوجيه أسئلة تتحدى تفكير الطلاب، لأن عملية التفكير - بالشكل الصحيح - تتم عندما يتطلب الأمر عملاً عقلياً غير عادي، يعرف كيف

---

(١) هيربرت ويلبرج وآخرون، مرجع سابق، ص ص ٧٥، ٧٦.

يستخدم المعرفة السابقة للوصول إلى معارف جديدة، بدلاً من مجرد استدعاء تلك المعارف.

٥ - توافر النموذج الأمثل فى التفكير العميق من جانب المدرس، ليكون مثلاً يحتذى، ونمطاً يقلد.

٦ - تقديم الشروح، مع ذكر المبررات المؤيدة لوجهة النظر، والداعمة للآراء المطروحة.

الفصل الخامس

المعلم والكتاب الدراسى

الفصل الخامس

المعلم والكتاب الدراسى

يستهدف هذا الفصل الوقوف على قيمة كل من المعلم والكتاب، والعلاقة بينهما، انطلاقا من أن العملية التعليمية تدور حول ثلاثة محاور، هى: المعلم، والمتعلم، والمادة التعليمية، ثنتان منها يمثلان جانب الخدمة والتأثير على الطرف الثالث، وهو التلميذ. وفيما يلى بيان لهذين المحورين.

تؤكد كل المؤشرات أن هناك الآن وفرة فى عدد المدرسين، على اختلاف تخصصاتهم. وربما كان العجز فى عدد المدرسين باعثا على فتح الباب لكثير من الطلاب على الالتحاق بكليات إعداد المعلم، ومعاهدة، الأمر الذى يمكن أن يفرز بعض الخريجين والخريجات، الذين هم ليسوا على المستوى المهنى المطلوب، أما وأن هناك وفرة فإنه يتطلب مراجعة القبول فى هذه الكليات، واختيار العناصر الصالحة لعملية التدريس، وذلك للأسباب الآتية:

١ - أن الجودة فى التعليم أصبحت مطلبا ملحاً، لا غنى عنه، ومهما قيل عن ضرورة وجود خطوط دفاعية متعددة تغذى جبهة المواجهة فى عملية التدريس، وإرجاء هذه الجودة لحين العمل فى الميدان - وهو المحك الرئيسى فى ربط الجانب النظرى بالجانب التطبيقى - فانه لا يغنى عن الانتقاء من البداية، حتى لا يتسرب للمهنة، من ليس جديراً بها، أو غير قادر على القيام بمهامها.

٢ - ان الاهتمام بالكيف لا مناص منه فى ظل التنافس الدولى، وفى إعداد القوى البشرية الإعداد الجيد. ولضمان وجود المدرس الكفء، الذى يغطى سوق العمل، فى الداخل، أو فى الخارج - يستلزم إجراء الاختبارات الضرورية التى تنتهى إليها النوعية المطلوبة.

٣ - أن دخول أعداد كبيرة فى عملية التدريس، وفى غياب عملية الانتقاء والاختبار ترتب عليه خلخلة فى مستوى التعليم، وفى جانب التربية. وهو ما أثر ويؤثر على ما يجرى فى المجتمع باعتبار أن المدرس هو روح المواطنة الأصلية، والمؤشر الصادق لتوقع سلوكيات هذا المواطن فيما بعد.

٤ - أنه رغم تقدم الأجهزة والمستحدثات التى تخدم العملية التعليمية فانه لا غنى عنه المدرس الإنسان، الذى لاند له فى عملية التفاعل، وإشعال جذوة التفكير لدى المتعلم.

٥ - أن من المعلمين من له فراسة لا تكاد تخطئ فى التمييز بين قدرات المتعلمين، وميولهم، وكذا الاستعداد لأن يمشى معهم بالتفريد، والتدريج والتفهيم.

٦ - أن الضغوط الكثيرة التى تقع على شريحة كبيرة من الناس ومنهم المختارون للتدريس - تستدعى الدقة فى اختيار هؤلاء المختارين، الذى يرغبون إلى الانضمام إلى مهنة التدريس حباً ورسالة، وليست تكوين ثروة من جراء ممارسة الدروس الخصوصية.

أما فيما يتعلق بالكتاب فمن الممكن الاستئناس بما قاله الجاحظ فى كتابه «الحيوان» من وصف الكتاب، بقوله: والكتاب وعاء ملئ علماً، وظرف حشى ظُرفاً وإناء شحن مزاحاً وجداً، ان شئت كان أبين من سحبان وائل، وإن شئت كان أعياً من بأقل وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألهتك طرائفه، وإن شئت أشجتك مواعظة. ومن لك بواعظ مله، وبزاجر مغر، وبناسك فاتن، وبناطق أخرس، وببارد حار!

والكتاب هو الجليس الذى لا يطريك، والصديق الذى لا يغريك، والصديق الذى لا يمتدح، والمستميح الذى لا يستريثك، والجار الذى لا يستبطيك، والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدمك بالنفاق، ولا يحتال لك بالكذب. ورغم تعدد مصادر المعرفة فى وقتنا الحالى -إلا أن الكتاب سيبقى له الأولوية، والمكان المتقدم بين تلك المصادر.

والمعلم هو صاحب رسالة، وموجه أمين، ومرشد صادق، وهو المستقبل الكامن فى كل منا وإرهاصة الأمل فى حياة الشعوب، ولذلك قيل: قل لى: من علمك؟ أقل لك من أنت؟ لما دفع عقبة بن أبى سفيان ولده إلى المؤدب، قال له: ليكن أول من تبدأ به من إصلاح ابنى، اصلاحك نفسك، فان أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهددهم بى، وأدبهم دونى. وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكلن على عذر منى، فانى قد اتكلت على كفاية منك.

والمعلم والكتاب بهذا الوضع يمثلان بعدا أساسياً فى العملية التعليمية، كما أنهما من العوامل المهمة فى التأثير على المتعلم. فالمعلم بما يملك من قدرات ومواهب، نموذج فى السلوك الإنسانى، والكتاب المدرسى بما يحتويه من مفاهيم وحقائق ومعلومات، فضلا عما يحمل من مضامين أخلاقيه، وسير ذاتية، لكن الكتاب مصدر صامت، أما المعلم فهو مصدر ناطق، وأعنى بها قدرته على التفكير فى مستوياته المتعددة، والتصريح أو التلويح، بما يحب أن ينقله إلى المتعلم. وبهذا الاعتبار فإن علاقة المعلم بالكتاب علاقة وثيقة، يمكن عرضها فيما يلى:

١ - أن المعلم مطالب بأن يفسر المبهم من الكتاب، والغامض منه، كما أن عليه أن يشرح الصعب حتى يصبح هذا الكتاب فى متناول الطالب، لأنه أى الكتاب قد يكتفى ببعض الإشارات، أو الرموز اعتمادا على إعداد المعلم، ومهارته فى التعامل مع الكتاب، أو على أمل الإثارة العقلية - حالياً ومستقبلا لدى المتعلم.

وليس معنى ذلك الاكتفاء بما فى الكتاب، ونقل ما فيه، وترجمته إلى الطالب ولكن لا بد أن يخلع المعلم على الكتاب كل خبراته الشخصية، أو بعضها على الأقل، وانطباعاته الذاتية، مما يمكن أن يستقطب الطالب، ويستميله إليه، بل

ويحاول أن يكون قريبا منه فى الشخصية، الأمر الذى يحول أن تكون العملية التعليمية نسخة مكررة، تنطبق على كل الطلاب، كما أن هذا الاختلاف بين المعلمين فى تناول الكتاب المدرسى، وتقديمه للطلاب - هو مقدمة التمايز بينهم، واكتشاف الموهوب منهم، كما أنه يميز بعض الفصول عن بعضها إلى جانب شيئين مهمين، هماً:

١ - زيادة انتماء الطالب لمعلمه، بل والتشيع له ولأفكاره، وربما كان مثلاً أعلى له.

٢ - إذكاء روح المنافسة بين الفصول، وتحويل المدرسة إلى مركز علمى خلاق.

وهذه العلاقة - وهى تفسير المبهم من الكتاب - مفيدة من عدة نواح، هى:

أ - تعويد الطالب دقة الملاحظة، وفهم كل ما يقرؤه، بحيث لا يمر على أى كلمة مطبوعة ألا وفهمها - على الأقل طبقا لمستواه، إذ الملاحظ أن بعض التلاميذ بعد أن ينهوا قراءتهم وقد سألتهم فيما قرءوه كله، أو بعضه، يتعثر فى الإجابة، وربما لا يعرف معنى ما قرأ إلا بإعادة القراءة مرة ثانية، ومحاولة العثور على إجابة السؤال الموجه إليه.

ب- تعويد الطالب الاستمتاع بالقراءة، وربما أمكن القول ان الاستمتاع بالقراءة يعمق معنى المقروء، ويفتح الباب لتقديم البدائل المتعددة، والأفكار التى يمكن أن تتحملها المادة المقروءة. أما القراءة الآلية فما أشبهها بالأكل دون المضغ. يتخم المعدة ولا يستفيد الجسم منه إلا القليل.

جـ- زيادة التفاعل بين المعلم والتلميذ. وهذا التفاعل بين عقلين، أو أكثر فى مسألة ما - من شأنه تنمية التفكير لدى كل الأطراف المشاركة فى الشرح. ومعلوم أن التفكير ينمو بالممارسة شأنه فى ذلك شأن السباحة، أو ركوب الدراجة أو قيادة السيارة، إذ التفكير مهارة، وليس قدرة طبيعية، تزيد بالتعود، وتنمو بالممارسة.

د- استدعاء ما نسى من قاعدة، أو بيانات، أو قانون، أو غير ذلك، ولم يتضمنه الكتاب. ومع أن الكتاب يخضع للمراجعة، والتصويب من قبل المؤلفين، ومن غيرهم، إلا أنه أحيانا يتم عرض موضوع ما بصورة موجزة، أو كثرة الاستطراد وسواء أكان ذلك سهواً أم عمداً - فان مهمة المعلم تغطية ذلك كله، أو إعادة تقديمه من خلال خبرته الشخصية.

٣ - ان المعلم لابد أن يكون قادراً على كشف الأخطاء الموجودة فى الكتاب المدرسى، خاصة تلك التى تمس تخصصه، لأن الخطأ وارد، والسهو متوقع. ولن يتأتى إقناع الطالب بهذا الخطأ إلا إذا أنس من المعلم الكفاءة العلمية، والثقافة الواسعة، لان قداسة الكلمة المطبوعة أقرب إلى ذهن المتعلم المبتدئ، وربما لا يحيد عنه هذا المتعلم، إلا إذا اطمأن إلى معلمه. وكشف هذا الخطأ يحقق عدة أهداف:

أ - تعويد الطالب التحرر من قداسة الكلمة المكتوبة. وهذا أمر طبيعى، لكنه لا يسرى على القرآن الكريم والسنة النبوية. والتحرر من أسر الماضى العلمى يحمل فى طياته القدرة على التغيير والتطوير.

ب- تعويد الطالب الموضوعية، وعدم التحيز للمادة المقروءة، إلا إذا استندت إلى الحق والصواب.

جـ- إفهام الطالب أن ما فى الكتاب ليس هو نهاية العلم، وليس كلمة الفصل، وإنما هو أمر قابل للمراجعة، وتكرار تصحيح الخطأ ينمى فى الطالب الاتجاه إلى الموضوعية، والبعد عن أنصاف الحلول، فضلا عن زيادة الثقة فى المعلم.

د - إفهام الطالب أن المعلم بشر نام، وقادر على العطاء وأن المعرفة مكتسبة بمثل ما اكتسبها هذا المعلم. وبالتالى فان الوصول إلى مستوى علمى أعلى - أمر ممكن، إذا كان المعلم يتمتع بذلك.

هـ- إفهام الطالب أن المعلم والكتاب يكمل أحدهما الآخر، ويمثلان جزءاً من كل، وهو محتوى المنهج.

وليس كشف الأخطاء قاصراً على الأخطاء العلمية، أو اللغوية، أو الإملائية، ولكن يمتد إلى الجانب الخلقى، والقضايا التى تمس توجهات المجتمع، وتخدش تقاليده وعاداته، فإذا استشعر المعلم أن صياغة لغوية ما، أو مفهوماً ما محملاً بقيم لا يقبلها العقل، ولا يقرها الشرع - حنيئذ يجب التنبيه عليها، وتصحيح ما بها من خطأ، وتوجيهها الوجهة التى يتم الفهم عليها. ومن هنا فان على المعلم أن يقرأ الكتاب المدرسى، المخصص لمادته قبل بداية العام الدراسى، حتى يتأتى له التصويب فى الوقت المناسب، فضلا عن جو المعايشة المطلوب.

٣ - أن المعلم عليه أن يتخذ مما فى الكتاب منطلقاً لإثارة البحث، والكشف عن طبيعة الأشياء لدى الطالب، ولا يخلو أى كتاب - عادة - من الإشارة إلى مسألة علمية، أو قضية اجتماعية، أو مفهوم يتطلب تحديده، أو تعميقه، وتركيز المعلم على ذلك ربما يستثير فى الطالب حب الاستطلاع عن ذلك الشىء ومعرفته، وربما تستمر هذه الإثارة معه فى مستقبل الأيام. وتحقق هذه الاستثارة عدة فوائد:

أ - تعويد الطالب عملية التعلم المستمر، إذ أن التعلم المستمر يمكن أن يكون كذلك إذا وصل إلى حد العادة. ومعلوم أن التعلم المستمر مطلب مهنى ملح، وضرورة اقتصادية وتنموية للفرد والجماعة.

جـ- التخلص - ولو قليلاً - من ممارسة القراءة بهدف الامتحان، إلى القراءة بهدف تنمية النفس واشباعها لإثبات الذات، وحب القراءة، والارتباط بالكتاب مطلب أساسى لرفع مستوى البعد الإنسانى فى الإنسان، لأن القراءات الخارجية مصدر الخبرات غير المباشرة.

د - تغطية مساحة كبيرة من مجالات المعرفة الإنسانية، تبعاً للميول العلمية للعديد من الطلاب، انطلاقا من اختلاف القدرات والمواهب. وفى هذا مصلحة للوطن والمواطن.

هـ- بث روح المنافسة بين الطلاب وتشجيع من لديه الرغبة فى البحث والاطلاع. وفى هذا تحقيق لعملية تنمية الميول المهنية مبكراً، الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى التجويد والإتقان، وهو أمر مطلوب.

ويمكن القول أن طول احتكاك المعلم بالكتاب المدرسى - يمكنه من تحديد النقاط التى تبعث على التفكير وطول التأمل، كما تعينه على معرفة الكفاءات من الطلاب، التى يمكن أن تلعب الدور المتوقع لها فى الحياة.

وتجدر الإشارة إلى أن معالجة الكتاب بهذه الصورة، إنما يلبى حاجة من حاجات المتعلم مثل « الحاجة إلى الإثارة، أى حاجة الإنسان لتلقى المؤثرات البيئية، أو تلقى مثل هذه المؤثرات من الآخرين، أو تلقى المؤثرات المختلفة : من أفكار، وآراء، ومشاعر، ومثل: الحاجة إلى المعرفة، أى معالجة، وإدخال، واستيعاب نتائج كل من الاستكشاف والتشكيل والنشاط، والإثارة، وذلك لحل المشكلات، أو المتناقضات، وإيجاد حل لها، وكذلك إيجاد نظام ذاتى مستمر للمعرفة[1].

وهذه المعالجة بكل أبعادها، ربما تعمل على تنمية الميول القرائية لدى المتعلمين، إذ أن هذه الميول هى أحد الأهداف الرئيسية للمدرسة، برمتها، وبتخصصاتها المختلفة، فليست تنمية الميول القرائية مقصورة على مادة دراسية دون أخرى، وإنما هى مفتوحة لكل معلم فى استطاعته استنفار طلابه للقراءة، وجعلها عادة ملازمة لهم، خاصة أن القراءة اليوم محاصرة بالعديد من التحديات وهى كثيرة، ومتعددة، مثل كثرة القنوات الفضائية، وكثافة البرامج المسلية، واستغلال الوقت فى العمل الإضافى، لزيادة الدخل، وارتفاع أسعار الكتب . . . الخ، ولا ريب أن القراءة تنمى الإنسان من كل الجوانب، وقلتها تجمد تلك التنمية، أو تقلل منها.

٤ - الحفاظ على ثقافة الكتاب بعد انتشار ثقافة الصورة، أو الصوت، أو هما معاً. وليس من قبيل التحيز للكتاب، أنه سيظل أداة الثقافة وتنوعها، ووسيلة التعليم وخادم التربية، وصاحب اليد الطولى للتقدم الحضارى، وذلك للأسباب التالية:

أ - أن لفظ الكتاب ارتبط بكل المعانى الخيرة، مثل الحق، والصدق منذ أن عرف الإنسان الكتاب إلى اليوم، وما بعد اليوم. وهو بهذا الاعتبار يعد مرجعاً، إذا اختلف الناس حول موضوع ما نظراً لأن الكاتب يتحرى فيه -غالبا- الأمانة، والموضوعية. ويبدو أن هذا الاتجاه امتداد طبيعى للثقافة الإنسانية الأصيلة، التى تشربت المفاهيم الثابتة من تلك الثقافة ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة:١٧٦] وقد يكون تقديس الكلمة المطبوعة لدى شريحة كبيرة من المتعلمين نابعاً من قداسة الكتب السماوية ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢].

ب- ان الكتاب مهما اختلف القراء فى تفسير ما يرمى إليه إلا أنه يظل مفهوماً باعتباره مكتوباً برموز متفق عليها، من قبل الجماعة اللغوية، أو مسجلة فى المعاجم الصادرة من تلك الجماعة وربما تسعف الشروح والتعليقات لكتاب ما فى إفهام القارئ، وتحديد المرامى التى يتوخاها الكاتب.

جـ- أن الكتاب يسهل حمله، والرجوع إليه، فى أى زمان ومكان، دون أى توابع تلزمه كما يسهل على القارئ الاطمئنان إلى ما فيه، إذا عرف مؤلفه، أو الجهة التى صدر منها، أو مقارنة ما فيه بما تضمنته الكتب الأخرى، لاكتشافه وجه الخلاف فيما قرأ وهو بهذا مدعاة للتأمل والتفكير﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [ص:٢٩]

د - أنه بقدر ما يرتفع عدد الأشخاص الذين يقتنون الكتب - تتسع القدرة على التعبير، والوصول إلى فكر الآخر، وتتعدد الثقافات، وبالتالى تتاح لروح التسامح والتفاهم المتبادل والسلام - أن تجد مكانها فى عقول البشر، علينا أن نكون قادرين على كتابة وقراءة الأمل(١).

---

(١) كوتشيرو ماتسورا، رسالة من مدير عام اليونسكو بمناسبة اليوم العالمى للكتاب وحقوق المؤلف، ٢٣/٤/٢٠٠٠، الأهرام، كتاب فى جريدة، ٥/٧/٢٠٠٠، ص٢.

٥ - القيام بربط ما فى الكتاب بالواقع المعاش: ليست مهمة المعلم نقل ما فى الكتاب إلى أدمغة المتعلمين، فذلك أمر يمكن أن يقوموا به أنفسهم عن طريق الحفظ والتكرار، أو أن يعلم بعضهم البعض، أو بأسلوب التعليم التعاونى، أو الاستعانة بمعلم خاص، وانما إلى جانب ذلك وغيره بربط ما فى الكتاب وما يجرى حولهم من واقع: قريب أو بعيد، انطلاقا من التعليم هو الإعداد للحياة.

ومعنى ذلك أن التلاميذ يجب أن يتعلموا «كيفية الاستفادة الواعية من المواقف الحالية فى التطبيق على مواقف جديدة مشابهة، على أن يتم ذلك فى مراحل التدريب. وفى التدريب يتعلم التلاميذ كيفية البحث عن الإجابة، وإيجادها، وليس فقط تعلم الإجابة. وبهذه الطريقة فقط يصبح ما يتعلمه التلاميذ متميزا بالمرونة. ويمكن نقله أو إدخاله، فى تركيبات جديدة.. أى أن ما نعلمه لابد أن يكون قابلاً للتطبيق، وقابل للنقل، ويمكن تذكره أيضاً، ويمكن استعادته فى الوقت المناسب، ولابد أن يكون مفهوماً»[1].

ويتحتم على المعلم مساعدة تلاميذه فى الخروج من دائرة الكتاب إلى دائرة الحياة، إذ الحياة ثرية بالمواقف التى تدعم العملية التعليمية، وتنشط استعدادات التلاميذ وتقبلهم للعملية برمتها.

٦ - استغلال الإشارات والايحاءات التى ترد فى الكتب الدراسية وغيرها وتقديمها للمتعلم بصورة، يستوعبها، ويعيها، اعتمادا على ثقافة هذا المعلم، التى تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ، انطلاقا من أن الثقافة المكتوبة وغير المكتوبة التى يتشربها المعلم، هى البعد الذى يحمى المتعلم من بعض الاتجاهات التعليمية التى تحملها بعض الكتب المقررة والمغرضة أحياناً، سواء من قبل المؤلفين، أو من بعض الاتفاقيات الثقافية التى قد تشكل قيداً على

---

(١) باول برونهوبر، مرجع سابق، ص٧١.

العملية التعليمية، خاصة بعض الكتب فى مجال اللغة الأجنبية، والتى يكون مؤلفوها من غير الوطنيين، أو الكتب التى خلت من الرقابة الذاتية للمؤلفين.

ان دور المعلم الحقيقى هنا هو دور المسئول الوطنى، الذى يقوم بعملية الغربلة والتصفية لكل ما هو دخيل على الثقافة الوطنية ويتحتم هذا الدور فى ظل ما يسمى بالعولمة التى تستهدف تنحية الثقافات المحلية للدول الضعيفة، وفرض ثقافة القوة الكبرى. وهنا يصبح التعليم بمختلف مراحله الحجاب الحاجز، والدرع الواقى من الاختراقات والتشوهات، كما يعمل على تعزيز تمسكنا بالثقافة العربية والإسلامية، ونحن أمة فطرت على الإيمان، القيم الأخلاقية الرفيعة.

تربية المربى:

التربية سلوك وعادة، وفى المعجم الوسيط، رب الولد ربا: وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه. فهى عملية مزدوجة تتجلى فى التغذية المادية من مأكل ومشرب، وملبس.. الخ، وتغذية معنوية تتجلى فى التغذية الروحية، والنفسية، والأدبية، والفنية بما يتوائم مع فطرة الإنسان.

ولما كان من أهم ما يتميز به الإنسان هو العقل، فإن هذا العقل يمكن أن يرفض ما يصل إليه من تربية صادرة من الآخرين، من منطلق المساواة فى الإنسانية، وأيضاً باعتبار عدم أولوية أحد فى فرض ما يراه من تربية على الآخرين. والإنسان - فى الأغلب- يستنكف أن يعطى لغيره فرصة السيادة له: أيا كانت هذه السيادة، خاصة سيادة التوجيه والتربية، إلا إذا كان مصدرها القرابة -مثلا- وفى حديث ابن عباس مع الزبير «لأن يربنى بنو عمى، أحب إلى من أن يربنى غيرهم»[1].

(١) المعجم الوسط، جـ١، ص ٣٢١.

ومن هنا فان للتربية مصدرين، هما: المصدر الوضعى، وهو الذى يتفق مع الإنسان كإنسان، وهو ما وصل إليه الإنسان الفطرى من تربية على مر العصور، واكتسب قوة البقاء، خاصة بعد ما أكده المصدر الثانى وهو المصدر الإلهى، وهو الذى عبر عنه رسول الله ﷺ « أدبنى ربى فأحسن تأديبى» وهى تربية متسقة مع شرع الله، الذى كلف بتبليغه، لتظل نموذجا يقتدى، ومثلاً يحتذى. وتربية فى هذا الإطار كفيلة بأن تزيل أى نوع من التلوث التربوى، وهو الذى يمكن أن يتسلل إلى تربية المربين.

وتتأكد ضرورة تربية المربى - معلما، أو أبا، أو مسئولاً - للأسباب الآتية:

١ - إن المربى إنسان - وهو - بكل ما يملك من قدرة على التفاعل، والأخذ والرد، والقبول والرفض مصدر تأثير فى غيره، وهذا الأثر - بكل ما يحمل من دلالات - لا بد أن يكون محموداً، وتربويا، وإلا فقد وظيفته كمرب.

٢ - أن المربى - ومن يفترض فيه، ومنه التربية- قدوة فى كل ما يصدر عنه: قولاً، أو فعلاً، الأمر الذى يتطلب منه أن يقيم من نفسه على نفسه حكما عدلاً - ما أمكن - ليظل محل ثقة من حوله واحترامهم.

٣ - ان عيون من حوله، أى المربى، ترقبه وترمقه، لا لتصيد أخطائه، ولكن لتتعلم منه شيئاً يفيدها وتضيف إلى خبرتها خبرة أخرى. فإذا حدث العكس كان الإحباط، الذى لا يقف عند حده، بل إلى الآخرين من أمثاله. وإصدار التعميمات فى مثل هذه الحالة أمر وارد، مهما كان المتلقى موضوعيا، وواعيا.

٤ - ان المسئولية الاجتماعية - ربما كانت أعلى درجات المسئولية على اختلاف مستوياتها لأنها تتصل بالحياة التى يعيشها الناس، وهى مسئولية جماعية. فكلنا مسئول عن رعيته، فالرجل فى بيته راع ومسئول عن رعيته، لا بتوفير لقمة العيش فقط، ولكن بتربية الأبناء، وكذلك الأم، وهى قطب الرحى فى

البيت، ولذا فإن إعدادها، وتربيتها، ليس تربية لها فقط، وانما هى تربية للأمة بأسرها – هى مسئولية الإعداد والتوجيه.

الأم مدرســة إذا أعددتـها أعددت شعباً طيب الأعراق

وقد تبين من الدراسات العديدة، أن تربية البنت أحد أهم الاستثمارات التى يمكن لأى بلد نام أن يحققها لمستقبله، ذلك أن التعليم يسهم بشكل واضح فى دعم شخصية المرأة، ويمنحها الثقة بالنفس، ويجعلها أكثر وعياً وإدراكاً للأمور، وأكثر قدرة على الاختيار، وعلى الدفاع عن حقوقها، ويساعدها على رفع مستواها الاقتصادى، والمساهمة بشكل أفضل فى عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لبلدها، كما يجعلها أقدر على تنظيم أسرتها، وعلى تحسين مستوى تغذية أطفالها وصحتهم، وعلى رفع مستواهم العلمى، وخفض معدلات تسربهم ورسوبهم[١].

وليست الأم وحدها هى التى بحاجة إلى اهتمام وإعداد من خلال دراستها فى مراحل التعليم المختلفة، وإنما يتطلب الأمر مشاركة الآباء فى تربية الأبناء، الأمر الذى يحتم إعدادهم للقيام بمسئولياتهم التربوية تجاه أبنائهم. وهناك العديد من برامج التدريب لكل من يتصدى للتربية. فهناك برنامج «تعليم الآباء والرعاية للطفل» وفيها يتم العمل مع أفراد من وكالات الخدمات الصحية والاجتماعية لتحديد المناهج التى تقدمها المدارس فى الفصول المدرسية، وهناك برنامج «تعليم الحياة الأسرية. وفيها تشترك المدارس مع الوكالات الاجتماعية، ودور العبادة، وآخرين فى تدريب الآباء على الحياة الأسرية، ويتضمن هذا التدريب عناصر تشجيع وإعداد الآباء ليكونوا مشاركين فاعلين نشطين فى المدارس، وفى أى مكان آخر، دفاعاً عن أطفالهم»[٢].

---

(١) رفيقه سليم حمود، «تعلم الاناث فى الوطن العربى: الإنجازات والمعوقات»، مستقبل التعليم فى الوطن العربى بين الأقليمية والعالمية، ٢-٢١/ ٤/ ١٩٩٦م.

(٢) واين هولتزمان : مدرسة المستقبل (تخليص وتعليق: المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية) القاهرة، قطاع الكتب ، ١٩٩٦ ، ص ص ٧٠ – ٧٥.

ويبدو أن الأمر بالإحسان إلى الوالدين، بعد الأمر بعبادة الله فى كثير من الآيات القرآنية ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[الاسراء:٢٣] -ليس مرده فقط أنهما سبب وجود الأولاد فى الدنيا، بل أيضاً - إلى جانب ذلك- الجهد المبذول فى سبيل تربيته، وإعداده للحياة، وفق ما آمنا به، واقتنعنا بصحته، استنادا إلى ما ورد فى التشريع الإسلامى.

ويشتق الإنسان المسلم تربيته عن طريق مسارين يكمل أحدهما الآخر. المسار الأول مسار تكليفى ينص الشرع. وسنده فى ذلك أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وهو ما يطلق عليه بلغة الخطاب التربوى «التعلم الذاتى» والحلال بين والحرام بين، والحسن ما حسنه الشرع، والقبح ما قبحه الشرع. أما المسار الثانى فهو التعليم المدرسى، والذى ينضم فيه المتعلم إلى السلم التعليمى، وفيه يحصل هذا المتعلم على الأساسيات التى تكفل له الاستمرار فى التعليم وتنمية نفسه.

المادة الدراسية:

قال الإمام المازنى : قرأت كتاب الرسالة على الإمام الشافعى ثمانين مرة، فما من مرة إلا ويقف على خطأ. وفى المرة الأخيرة تنهد الإمام الشافعى، وقال: «أبى الله أن يكون كتاباً سليماً غير كتابه».

ويبدو أن السلامة هنا، ليست السلامة من الأخطاء العلمية فقط، وإنما السلامة من مناسبته للمتلقى أو لجماعة المتلقين، أو للبيئة التى وجد فيها هذا الكتاب، أو لعصره، أو للهدف الذى ألف من أجله، وهذه ظاهرة صحية، تؤدى إلى تحسين التعليم، ورفع مستواه ويبدو أن هذه الظاهرة ظاهرة عامة فى كثير من الدول. فهناك صيحات كثيرة من عدم الرضا عن الكتاب المدرسى، إذ قد سمعنا - من وقت لآخر- طلابا يشكون من عدم ملاءمة مواد دراسية معينة، وعدم فائدتها فى إعدادهم لمعترك الحياة، وكذلك يصدر المعلمون - أحيانا- أحكاما مماثلة، ويعتقد بعض المعلمين الذين يحللون الكتب المدرسية فى مجال

تخصصاتهم أن كثيرا من محتواها غير مهم لدرجة كافية لتدريسه بينما حذفت جوانب أخرى من المحتوى، نعتقد أنها ذات أهمية كبيرة»[١].

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب ليس هو المادة الدراسية، وإنما هو جزء منها، لأن الكتاب يشمل موضوعات متصلة بالمادة التى يدرسها التلميذ بالمدرسة، وغيرها، وذلك لتنمية مهارات أساسية مستهدفة، يضاف إليها الخبرات التى يقدمها المدرس من عندياته، والقراءات الخارجية التى يكلف بها التلاميذ، وكذا العلاقات الاجتماعية، كل ذلك يشكل المادة الدراسية، انطلاقا من أن الإنجاز الدراسى يكاد يكون ممتدا فى الحياة، وفى العلاقات الاجتماعية، وباختصار فان المادة الدراسية مالها زمن محدد فى جدول المدرسة، حتى لو شملت هذه المادة فروعا متعددة.

ولا ريب أن المحاولات مستمرة لتحسين الكتاب، حتى يكون فى صورة يتقبلها معظم التلاميذ، إن لم يكن كلهم، بدءاً من عملية التقويم، ثم التطوير، ثم التقويم. وهكذا، لأن هناك عوامل مؤثرة فى مداولات المادة الدراسية، أو الكتاب المدرسى - إن صح القول - وهذه العوامل منها:[٢].

- المطورون : قيمهم المتبناه، ومستواهم العلمى، وخلفيتهم الثقافية، وكفاءتهم فى العمل.
- الطلاب: قيمهم، وقدراتهم، وأهدافهم، أنماط تعلمهم، بيئاتهم التى جاءوا منها، حجم الكتب التى يحملونها، وعددها، درجة الإفادة منها، ومدى ارتباطها بحياتهم المعاصرة.
- المدرسون : قيمهم، ومعارفهم، وأنماط تدريسهم، واهتماماتهم، وإعدادهم الاكاديمى والتربوى.

---

(١) هوارد سلفان، ونورمان هجنز، التدريس من أجل الكفاية، (ترجمة: محمد عيد ديوانى، ومصطفى متولى)، الرياض: عمادة شئون المكتبات - جامعة الملك سعود، ص١٧.

(٢) Allan a Clottbaern, Curriculum Leadership, U.S.A., Copyright Scott, 1987.

- المجتمع الأكبر: هدفه، القيم المتبناه، سياسته التعليمية، مواصفات الخريج، مفهوم المواطنة فيه.
- أولياء الأمور: اهتماماتهم، خبراتهم السابقة، طموحاتهم المستقبلية فى أولادهم.

وقد يبدو إمكانية تحسين صورة الكتاب فى ظل نظام اللامركزية التعليمية، والتى تسمح للمعلم بتغيير بعض موضوعات الكتاب، حسبما يراه، لأنه المنفذ الحقيقى للمنهج، بينما يصعب ذلك فى ظل النظام المركزى، فضلا عن زيادة التكلفة المادية فى حالة الرغبة فى تعديل الكتاب، أو تغييره كل خمس سنوات، أو ست أو أكثر، أو أقل.



خاتمة

يمكن القول أن الثوابت التى تم عرضها لابد وأن تراعى فى المنهج الدراسى. وهذه الثوابت هى من صميم المجتمع العربى والإسلامى، وتعبر عن ثقافته المكتوبة وغير المكتوبة، والتى تتناقلها الأجيال عبر الحس الوطنى، باعتبار أن النشء يعيش فى حضن هذا المجتمع، الأمر الذى تنطبق عليه مقولة العاملين بالمنهج الدراسى. أى أن المنهج غير قابل للاستيراد أو التصدير، اللهم إلا فى العلوم الطبيعية، والتى تتعلق بالمتغيرات الناشئة عن تقدم العلم.

وقد عبرت الاستراتيجية للتعليم فى الوطن العربى عن ذلك، وحددت الأسس التى يجب أن تراعى فى توحيد المناهج[1]. وهى:

أ - الأساس الاجتماعى: ويتمثل فى جانبين:

الجانب الثقافى المتمثل فى توحيد الثقافة والفكر بشكل شامل، بحيث تستند إلى القيم الاسلامية والتاريخ الحضارى للأمة العربية الواحدة، مولية اهتمامها للعقائد والقيم الإسلامية واللغة العربية، باعتبارها وعاء هذه الثقافة، ومؤكدة على القيم الخلقية والروحية للأمة العربية، وتراثها العربى والإسلامى، ومراعية العقائد والقيم الدينية، والمساهمات الثقافية للفئات العربية غير المسلمة.

والجانب الاقتصادى العملى والمتمثل بالعمل على وضع مناهج تعملْ على تطوير المجتمع العربى من مجتمع متخلف إلى مجتمع متطور اقتصاديا، منتج لا مستهلك، قادر على استغلال موارده الطبيعية، وتطويرها، يؤهل كل فرد للعمل، واحترامه وتلبية احتياجات العمل بأنواعها، ومستوياتها المختلفة.

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، خطة لتوحيد أسس المناهج والخطط الدراسية فى الوطن العربى، تونس، ١٩٨٢، ص١٦.

٢ - الأساس العلمى:

ويتمثل فى وضع مناهج موحدة تراعى التطور العلمى، فى مختلف مجالاته، وتركز على أسس المعرفة وطرق تحصيلها، وتستفيد من تجارب الدول الأخرى، وبين الإنجازات، والتجديدات التربوية والعلمية، وبخاصة فى ميدان العلم والتكنولوچيا.

٣ - الأساس التربوى والنفسى:

ويتمثل فى وضع ينشئ جيلاً عربياً متوازناً من الناحية النفسية والصحية، واعيا بقيمة العمل، بعيدا عن الانفعال، موضوعيا فى تفكيره، وأحكامه، وتصرفاته وتلبى هذه المناهج احتياجات مراحل النمو المختلفة، وتتلاءم مع تطور القدرات العقلية للمتعلم.

أما المتغيرات الطارئة فيمكن وضعها فى الاعتبار فى المنهج الدراسى بنسبة لا تتجاوز من ١٠-٢٠٪ انطلاقا من ضرورة إلمام المتعلم بتلك المتغيرات أو التيارات العارضة، ليطل المتعلم منها على عصره.

والملاحظ فى النصف الثانى من القرن العشرين أنه قد انتشرت بعض هذه التيارات، وانعكست على المناهج الدراسية. ومنها على سبيل المثال: القومية العربية والاشتراكية، والآن تطل العولمة مستندة فى ذلك إلى الضغوط القوية التى تمارسها القوى الكبرى.

فالقومية العربية أخذت حظها منذ بداية النصف الثانى من القرن العشرين، وزاد إدراك المواطنين لما يربط أجزاء الوطن العربى من لغة عربية، ودين وجوار، وسهولة اتصال، وتشابه فى العادات والتقاليد والآمال. وهيأ المنهج الدراسى فرصا مناسبة لتعريف التلاميذ بالتدريج أوجه تشابه مجتمعهم مع غيره من مجتمعات بقية الدول العربية، وعنى بتنمية الاتجاهات النفسية والعادات والمهارات الضرورية للمواطن العربى المنشود.

وبعدها ساد الاتجاه إلى الاشتراكية بمعنى إقامة اقتصاد وطنى، والعمل على تنمية هذا الاقتصاد ثم تطويره ليواجه حاجات المجتمع، والعمل على إقامة عدالة اجتماعية، وفهمها البعض على أنها أسلوب حياة وتخيل المواطنون أنها ستحقق إذابة الفوارق بين الطبقات، وانعكس ذلك على المنهج من محاولة تحقيق خصائص المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى، ثم انحسرت الاشتراكية، كأى اتجاه أو تيار عارض، بعيداً عن ثوابت المجتمع، وثقافته الأصلية.

وظهر الاتجاه إلى العولمة، باستخدام السلاح الاقتصادى، لتزيد الغنى غنى، والفقير فقرا، وارتداء عباءة النظام الرأسمالى، بعد خلع عباءة الاشتراكية، وإذا كان هذا التيار من الممكن أن ينجح فى الجانب الاقتصادى، والسيطرة على مجريات السوق - فانه لا يمكن أن ينجح فى البعد الثقافى، باعتبار الثقافة مكوناً أساسياً للمواطن، تدخل فى نسيج حياته، وتوجيه مساره. ومعنى ذلك أن هذا الاتجاه اتجاه مؤقت لا يلبث أن يزول، تماماً بتمام مثل ما تم الترويج له من ثقافة السلام، وانحسارها بعد موجات العنف والظلم.

ومعنى هذا كله أن ثوابت المنهج الدراسى هى صمام الأمان للمجتمع العربى والإسلامى، بعد أن جرب بعض التيارات الوافدة، والاتجاهات المغرضة.

هذا وبالله التوفيق...



المصادروالمراجع

١ - **القرآن الكريم.** (١٩٨٠م).

٢ - **صحيح البخارى.**

٣ - **صحيح مسلم.**

٤ - **ابن ماجة.**

٥ - **مسند الأمام أحمد بن حنبل.**

٦ - **إبراهيم أنيس وآخرون** ، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الفكر.

٧ - **إبراهيم محمد عطا،** طرق تدريس التربية الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٨.

٨ - . . . .، المناهج بين الأصالة والمعاصرة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٢.

٩ - . . . .،« أساسيات ضرورية لطالب المرحلة الثانوية»، المؤتمر العلمى الثالث، «التربية والثقافة فى علم متغير»، كلية التربية بالفيوم، أكتوبر ٢٠٠١م.

١٠- **ابن الأثير،** الكامل فى التاريخ، بيروت، دار صادر، د.ت.

١١- **ابن منظور،** نساب العرب.

١٢- **أبو الحسن الماوردى،** أدب الدنيا والدين«تحقيق: مصطفى السقا»، القاهرة، مطبعة الحلبى، ١٩٧٣م.

١٣- **أبو الفضل عياض الحطبى،** الشفا بتعريف جفون المصطفى، بيروت، دار الفكر.

١٤- **أبو منصور اسماعيل الثعالبى،** كتاب فقه اللغة وسر العربية.

١٥- **أبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى**، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: ، دار إحياء التراث العربى، ١٩٨٥ .

١٦- **أحمد زكى صالح**، الأسس النفسية للتعليم الثانوى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٢ .

١٧- **أحمد زكى صفوت**، جوهرة خطب العرب، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٩٦٢ .

١٨- **أحمد صدقى الدجانى**، النهوض بعلم دراسة المستقبل فى وطننا العربى، الأهرام ٤/ ٧/ ٢٠٠٠، ص ٣٠.

١٩- **أحمد عثمان**، السياسيات اللغوية فى اليونسكو، الأهرام ٧/ ٧/ ٢٠٠٠ .

٢٠- **أدوارد دى بونو**، التفكير الناقد والابدعى «كورت»، ترجمة: على السيد وآخرين، غير منشور .

٢١- **اسماعيل صبرى عبدالله**، دور التكنولوچيا المحلية فى النهوض بالاقتصاد العربى، مستقبل التعليم فى الوطن العربى بين الأقليمية والعالمية ٢٠-٢١/ ٤/ ١٩٩٦، المؤتمر العلمى السنوى الرابع، القاهرة: الأهرام ٢٥ أبريل١٩٩٦ .

٢٢- **اسماعيل محمد الأمين**، فاعلية طريقتين علاجيتين فى اطار استراتيچية التعلم حتى التمكن على تحصيل طالبات الصف الثانى الاعدادى وبقاء أثر التعلم لديهن وتنمية قبولهن نحو الرياضيات، تكنولوچيا التعليم، ١٩٩٨ .

٢٣- **ألفنى وهايدى توفلر**، نحو بناء حضارة جديدة سياسية الموجة الثالثة (تلخيص وتعليق: المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية)، القاهرة، قطاع الكتب، ١٩٩٥ .

٢٤- **الامام الحافظ أبى محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى**، تحفة الأحوزى بشرح جامع الترمذى، المدينة المنورة، المكتبة السلفية .

٢٥- **الامام الحافظ بن حجر العسقلاني** (ت: ٨٥٢هـ) بلوغ المراد من أدلة الأحكام، بيروت: دار احياء العلوم، د.ت.

٢٦- **الأمام الحافظ زكي الدين**، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف.

٢٧- **باول برونهوير**، مبادئ التدريس الفعال (تلخيص وتعليق وترجمة: المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية)، القاهرة، قطاع الكتب، ١٩٩٥.

٢٨- **بنجامين سبول**، تربية الأبناء في الزمن الصعب (ترجمة : منير عامر، وشريف منير) بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٩.

٢٩- **جاك أتالي**، الألفية الجديدة الرابحون والخاسرون في النظام العالمي القادم، ترجمة: سعيد حسن عبدالعال، القاهرة، قطاع الكتب، ١٩٩٥.

٣٠- ....، **جاك حلاق**، الاستثمار في المستقبل، تحديد الأولويات التعليمية في العالم النامي، ترجمة: وفاء حسن وهبة، عمان، مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في الدول العربية، ١٩٩٢.

٣١- **جيمس كبين وهربرت ويلبرج**، التدريس من أجل تنمية التفكير، ترجمة: عبدالعزيز عبدالوهاب البابطن، الرياض، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ١٩٩٥.

٣٢- **جميل صليبا**، المعجم الفلسفي، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٤.

٣٣- **حافظ قبيس**، التعليم العالي العربي بين حق المواطن في العلم وحق المواطن في النخبة، عالم الفكر، المجلد الرابع والعشرون، العددان الأول والثاني، ١٩٩٥.

٣٤- **حسان محمد حسان**، رؤية إنسانية لمفهوم ضبط جودة التعليم، دراسات تربوية، المجلد التاسع، الجزء ٦٥، ١٩٩٤.

٣٥- **حسين كامل بهاء الدين**، محاضرة : الجامعات المصرية وتحديات المستقبل، القاهرة، وزارة التربية والتعليم، قطاع الكتب، ٤/ ٣/ ١٩٩٦.

٣٦- **رشدى أحمد طعيمه،** المحتوى الثقافى فى برامج تعريب العربية كلغة ثانية فى المجتمعات الإسلامية، اطار مقترح، مؤتمر«نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة»، ٢٣-٢٧/ ٧/ ١٩٩٠.

٣٧- **رفيق سليم حمود،** تعلم الاناث فى الوطن العربى: الانجازات والمعوقات، مستقبل التعليم فى الوطن العربى بين الأقليمية والعالمية، ٢٠-٢١/ ٤/ ١٩٩٦.

٣٨- **زكى نجيب محمد،** المعقول واللامعقول، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨١.

٣٩- **سليمان بن محمد العنزى،** التفكير الإبداعى، المعرفة، العدد ٥٢، رجب ١٤٢٠هـ، أكتوبر ١٩٩٩.

٤٠- **سيد أحمد عثمان،** الاثراء النفسى دراسة فى الطفولة ونمو الإنسان، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٦.

٤١- **السيد عليوة،** استراتيجية الإعلام العربى، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.

٤٢- **عبدالحليم محمد السيد،** الابداع، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٧.

٤٣- **عبدالحميد محمد الهاشمى،** أصول علم النفس العام، جدة، دار الشروق.

٤٤- **عبدالغنى قاسم، وأمة الرزاق الحورى،** فى الفكر التربوى الإسلامى، «دراسة مقارنة لنسق التعلم لدى كل الزرنوجى والشوكانى»، مؤتمر: نحو بناء نظرية تربوية اسلامية معاصرة، ٢٤-٢٧/ ٧/ ١٩٩٠ المملكة الأردنية الهاشمية.

٤٥- **عبدالعزيز التويجرى،** «نصف المسلمين أميون»، المعرفة، العدد ٥٢، رجب ١٤٢٠هـ، أكتوبر ١٩٩٩.

٤٦- **عبدالقادر يوسف،** «حول النظرية العربية فى التربية» المستقبل العربى، السنة الرابعة- العدد السادس والثلاثون، فبراير ١٩٨٢.

٤٧- **عمر محمد عمر باحاذق،** أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والاعجاز البيانى، بيروت، دار المأمون للتراث، ١٩٩٤.

٤٨ - **فهمى هويدى**، «انتباه: الأمة فى خطر» الأهرام، ٢٩/٦/١٩٩٩م.

٤٩ - ....، ويل للأمة مغصوبة اللسان»، الأهرام ٢٤/٨/١٩٩٩م.

٥٠- **فديريكو مايور**، التربية للجميع، تحد لعام ٢٠٠٠، مستقبليات، المجلد العشرون، العدد ٤، ١٩٩٠م.

٥١- **كمال ابراهيم موسى**، «مسئوليات الفرد فى الإسلام وعلم النفس»، أبحاث ندوة علم النفس، القاهرة، ١٩٨٩م.

٥١- **كمال دسوقى**، علم النفس دراسة التوافق، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٤م.

٥٣- **كونشيرد ماتورا**، رسالة من مدير عام اليونسكو بمناسبة اليوم العالمى للكتاب، وحقوق المؤلف.

٥٤- **لايل.م. سبنسر الأصغر، سنجمان م. سبنسر**، الجدارة فى العمل، نماذج للآداء المتطور «ترجمة: أشرف فضيل عبدالحميد جمعة». السعودية، مركز الطباعة والنشر بمعهد الإدارة، ١٤٢٠هـ، ل.ر.جاى. مهارات البحث التربوى «ترجمة: جابر عبدالحميد جابر» ، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م.

٥٥- **لطفى بركات أحمد**، القيم والتربية، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٣.

٥٦- **مجمع اللغة العربية**، المعجم الفلسفى، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٧٩م.

٥٧- **محمد بن علوى المالكى**، فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب، جدة، مطابع سحر، ١٩٨٣م.

٥٨- **محمد الحجار**، بداية الهداية، دمشق، دار التراث العربى، د.ت.

٥٩- **محمد حسين هيكل**، حياة محمد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٨م.

٦٠- **محمد الخضرى بك**، تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة الأموية، بيروت، دار القلم، ١٩٨٦م.

٦١- ....، نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م.

٦٢- **محمد السيد سليم،** العالمية والأقليمية والقومية، مستقبل التعليم فى الوطن العربى بين الأقليمية والعالمية ٢٠-٢١/ ٤/ ١٩٩٦م.

٦٣- **محمد عبدالمنعم خفاجى،** الإسلام والحضار الإنسانية، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ١٩٧٣م.

٦٤- **محمد مصطفى الأعظمى،** سنن الحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى، ابن ماجة، ٢٠٩-٢٧٣.

٦٥- **محمد منير مرسى،** فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٣م.

٦٦- **محمد مندورة وآخرون،** ادخال مقرر الثقافة فى مراحل التعليم العام بدول الخليج، دراسة للسبل والإمكانات المتاحة، الرياض: مكتبة التربية العربى لدول الخليج، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٦٧- **محمد عابدين،** الجودة واقتصادياتها فى التربية، دراسة نقدية، دراسات تربوية، المجلد السابع، ١٩٩٢م.

٦٨- **محمد السيد أبو النيل،** علم النفس الاجتماعى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٥م.

٦٩- **مصدق جميل الحبيب،** التعليم والتنمية الاقتصادية، منشورات، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨١م.

٧٠- **مصطفى سلامة،** العولمة بين التهويل والتهوين، الأهرام ١٣/ ٨/ ١٩٩٩م.

٧١- **محى الدين صابر،** الأمية: مشكلات وحلول، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٧م.

٧٢- **منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة،** النشرة الإعلامية لبرنامج اليونسكو، ١٩٨٦م.

٧٣- **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**، خطة لتوحيد أسس المناهج والخطط الدراسية فى الوطن العربى، تونس، ١٩٨٢، ص ١٦.

٧٤- **نادية عبدالعظيم محمد**، الاحتياجات الفردية للتلاميذ واتقان التعلم، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٩١م.

٧٥- **هوارد سلفان، ونمان هجتز**، التدريس من أجل الكفاية، ترجمة: محمد عيد ديوانى، الرياض، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود.

٧٦- **واين هولتزمان**، مدرسة المستقبل، تلخيص وتعليق: المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، قطاع الكتب، ١٩٩٦م.

٧٧- **وزارة التربية والتعليم**، مؤتمر تطوير مناهج التعليم الابتدائى.

٧٨- **وزارة المعارف**، ألف باء عنف، المعرفة، العدد ٥٢، رجب ١٤٢٠هـ، أكتوبر١٩٩٩م.

٧٩- **يحى الرخاوى**، البعد الايمانى ومستقبل البشرية، الأهرام، العدد ٤١١١٥.

٨٠- **يوسف القرضاوى**، الخصائص العامة للاسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م.

٨١- Allan, A clotthorn, Curriculum, Leandership, U.S.A., 1987

٨٢- Brensten, Basel, Glass, Cades And Control Towards Theory of Educational Transmission, London, And Kegan Paul, 1977.

رقـم الايـداع :
٢٢٩٧ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 247-X

مطـابـع آمـــون

٤ الفيروز من ش إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦